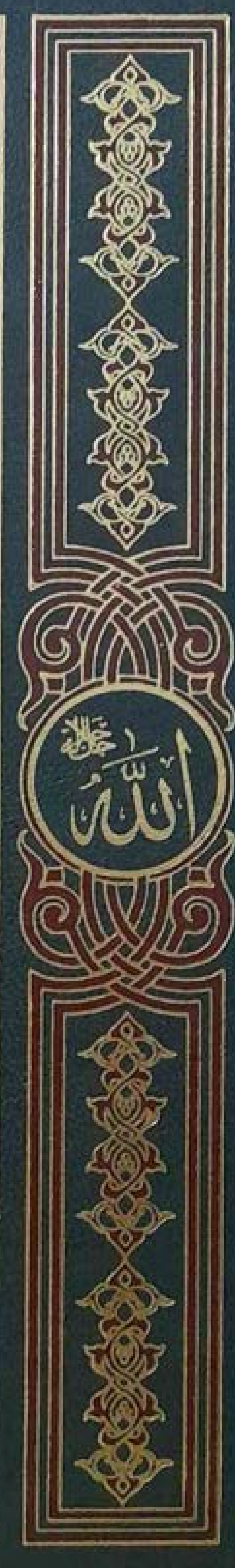
رسالة جامعية

أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى

تأليف

الدكتورة صفاء مصطفى المسلماني



دار اليسر

رسالة جامعية

أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى

تأليف

الدكتورة صفاء مصطفى المسلماني





أصل هذا الكتاب رسالة علمية حصلت بها الباحثة على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية الدراسات الإسلامية والعربية شعبة أصول الدين جامعة الأزهر الشريف، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الكبير المتعال المتفرد بالجلال والكمال على التفصيل والإجمال، أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات والأرض، وأثني عليه بأسمائه الحسنى عدد خلقه ورضاء نفسه وزنه عرشة ومداد كلماته، لا إله إلا هو العزيز الغفار.

وأصلى وأسلم على خير خلقه، ومن لا نبى بعده، أرسله تعالى بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد.

فإن الناظر فى كتاب الله الكريم تتراءى له وجوه كثيرة من الإعجاز...

فالقرآن جاء بأسلوب رائع خلاب تحدى به أساطين الفصاحة ومقاويل البلاغة فأعجزهم وأخرس ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان، فمنهم من اعتزل قول الشعر، لأنه لن يبلغ بلاغة القرآن، ومنهم من كابر واستكبر فراح يحاكي كلام الرحمن، فجاء بكلام غث رتيب، لا يحمل معني غير الوقاحة، ولا ينم عن أية فصاحة.

ولما كان الإسلام هو خاتم الشرائع والأديان، لذلك اختار سبحانه أن تكون معجزته معجزةً تصلح للبقاء، فكانت دون سواها كلاماً يتلى فى أذن الدهر

وحديثا يقرأ على سمع الزمان بلسان عربى مبين. ففى هذا اللسان سعة وجمال وفنون شتي لا ينكرها إلا الجاحدون، ومن ثم جاءت معجزة القرآن الكريم أنقى وأبقى وأرقى، وفوق كل المعجزات.

ولما كانت وجوه إعجاز القرآن كثيرة ومتعددة ولا يمكن حصرها، لذا سنبحث- إن شاء الله تعالى -، طرفاً من أسماء الله الحسني للوصول الى الحديث عن ختم الآيات التى تنتهي بأسماء الله الحسني فى سورتي البقرة والنساء.

وإن مما يبين أهمية البحث أموراً كثيرة. منها:

أن العلم بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم على الإطلاق، لأن شرف العلم من شرف المعلوم، والمعلوم فى هذا العلم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته وأفعاله.

أن الاشتغال بأسماء الله وصفاته علماً وعملاً هو الاشتغال بتحقيق غاية العبودية إذ ان معرفتها أصل الإيمان، وإليها يرجع الأمر كله، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة، شرح للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسني وصفاته العليا» [١]

إن معرفة الله تدعو الى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له.

إن معرفة الاسم الذى تختم به الآية وربط هذا الإسم بمضمون الآية لمن التدبر الذى أمرنا المولى عز وجل به.

إن ختم الآيات بأسماء الله الحسني يعد سراً من أسرار إعجاز القرآن وبلاغته لهذه الأسماء الحسني لها من أهمية عظمي فى نفس السامع، ولما للخاتمة خاصة من أهمية فى إتمام المعني وتوضيح الفكرة، ولما لها من أثر واضح فى نظم الكلام.

---

(١) البرهان فى علوم القرآن للزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث ص ٦

أهم أسباب اختيار الموضوع:

ندرة الكتب والباحثين الذين تكلموا فى هذا الموضوع، ولم يفرد – على حد علمي – بحث مستقل يجمع الأسماء الحسني فى سور القرآن كلها أو فى سورةٍ واحدةٍ ويصنفها الي مباحث، فكان من المهم جمع ما كتب عن علاقة الخاتمة بالآية، وتنسيقه، واستخلاص نتائجه وجني ثماره.

رغبتي فى الوقوف على أسماء الله الحسني الثابته فى الكتاب والسنة كمقصود أصلى من الدراسة، أستنير به، وأتبرك فى مطالعته، وأطمع فى أن أكون فيمن قال عنهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»[1]

الرغبة فى مساعدة حفاظ كتاب الله ﷻ فى تمييز الاسم او الاسمين اللذين تختم بهما الآية.

إن اختيار هذا الموضوع لم يكن سهلاً وإنما كانت له رهبة، فهو بحث فى أمر عظيم الشأن، لكننى مضيت مستعينة بالله جلت قدرته، أستلهم هدية، وأتحسس أنواره، وقد كانت خطتي فى البحث على النحو التالي:

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحد (١١/ ٢١٨) فتح البارى بشرح صحيح البخاري، وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء، باب فى أسماء الله تعالى

قسمت البحث إلى مقدمةٍ وبابين وخاتمة:

المقدمة: وذكرت فيها:

أهمية البحث.

أسباب اختيار البحث.

خطة البحث.

منهجي فى البحث.

الباب الأول: أسماء الله الحسني وفيه فصلان:

الفصل الأول: الأسماء الحسني والدعاء بها، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد مع بيان التوحيد وأقسامه

المبحث الأول: تعريف الاسم وإثباته لله.

المبحث الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة فى الأسماء إجمالاً.

المبحث الثالث: الدعاء بأسماء الله الحسني.

المبحث الرابع: حقيقة الإلحاد فى أسماء الله وأقسامه.

الفصل الثاني: إحصاء الأسماء الحسني، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الأحاديث التى ورد فيها أسماء الله الحسني

المبحث الثاني: عدد الأسماء الحسني واختلاف العلماء فى ذلك.

المبحث الثالث: المراد بإحصاء الأسماء الحسني.

المبحث الرابع: الثابت من الأسماء الحسني.

المبحث الخامس: ختم الآيات بالأسماء الحسني.

المبحث السادس: التصنيفات الدلالية للأسماء الحسني.

الباب الثاني: أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسني وارتباط الخاتمة بالآية،

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسني فى سورة البقرة وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: أسماء تدل على قدرته تعالى (مجموعة القدرة).

المبحث الثاني: أسماء تدل على إحاطته تعالى الكاملة ورقابته الشاملة لكل من سواه.

المبحث الثالث: أسماء تدل على صفتي الحب والرحمة.

المبحث الرابع: أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة)

الفصل الثاني: أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسني فى سورة النساء وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

المبحث الأول: أسماء تدل على تدبيره تعالى لشئون خلقه.

المبحث الثاني: أسماء تدل على إحاطته الكاملة ورقابته الشاملة لكل من سواه.

المبحث الثالث: أسماء تدل على صفتي الحب والرحمة.

المبحث الرابع: أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة).

المبحث الخامس: أسماء تدل على قدرته تعالى (مجموعة القدرة).

وأخيرا ملخص نتائج البحث.

ثم الفهارس اللازمة للبحث.

منهجي فى البحث:

حرصت قدر الإمكان على تركيز المادة العلمية.

اعتمدت المراجع المتقدمة والأصلية والموثوق بها فى البحث.

اعتمدت فى بيان الثابت من الأسماء الحسني على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة الواردة فى إثبات الإسم بصيغة الاسم دون تقييد أو إضافة.

رتبت الأسماء فى البحث تبعا لترتيبها فى آيات السورة وعلى سبيل المثال فى سورة البقرة.

بدأت بمبحث القدرة حيث ان اسم (القدير) هو أول اسم ختمت به أول آية انتهت خاتمتها باسم من الأسماء الحسني.

كذلك إذا اقترنت خاتمة الآية باسمين من أسمائه تعالى – وهذا هو الغالب على الآيات – وضعت الآية ضمن المبحث الذى يتبع الاسم الأول، وعلى سبيل المثال: إذا انتهت الآية باسم (الغني الحليم) وضعت الآية ضمن مجموعة العظمة.

عزوت الآيات الى سورها، وذكرت رقم الآية، وإذا كانت جزءًا من آية وضحت ذلك.

اعتمدت فى تفسير الآيات على أمهات الكتب.

خرجت الأحاديث الواردة فى البحث، وإذا وجد الحديث عند البخاري ومسلم أو أحدهما اكتفى به، أما إذا كان فى غيرهما فإنني أتتبعه فى أكثر من مصدر وأذكر حكم العلماء عليه.

عزوت كل نصٍ إلى مصدره إلا فيما ندره وما تعذر فأنقله بالواسطة، مع ذكر المرجع والإشارة إلى المؤلف والجزء والصفحة وذكر اسم المحقق – إن وجد –

ورقم الطبعة – وتاريخها خصوصاً عند أول ذكر للمرجع أو المصدر.

عرفت بالفرق التى ورد ذكرها فى الرسالة.

شرحت الكلمات التى تحتاج الى إيضاح.

ترجمت للأعلام غير المشهورين، ولم أترجم للمشاهير، كالصحابة والأئمة الأربعة، ومشاهير العلماء طلباً للاختصار.

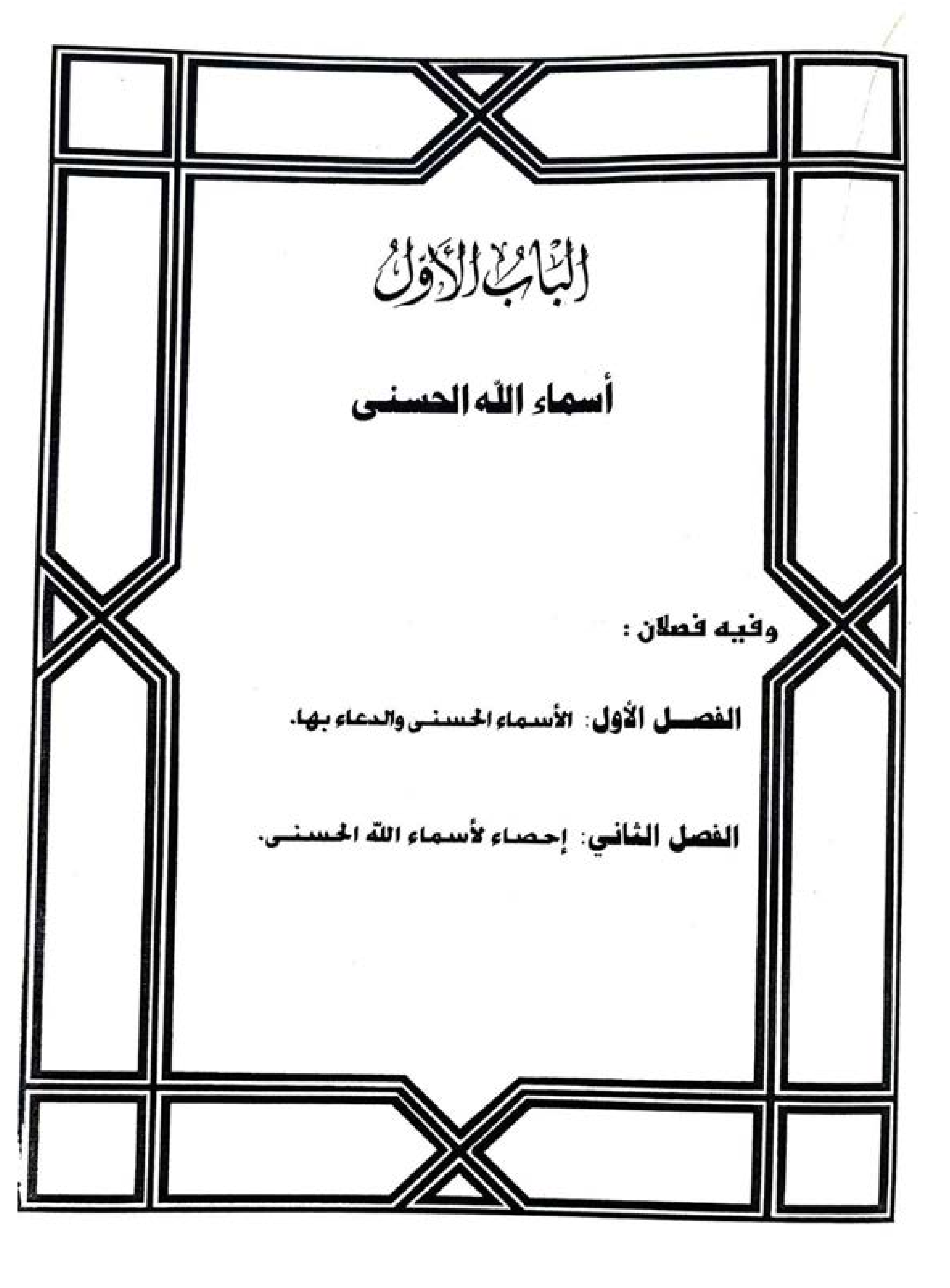
جعلت فى خاتمة البحث ملخصاً بينت فيه أهم النتائج التى وصلت إليها من خلال البحث، وما أراه من مقترحات وتوصيات.

وضعت الفهارس اللازمة للبحث وهى:

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

وختاماً فتلك قصة هذا البحث وقد بذلك فيه ما وسعني، وأرجو أن أكون قد وفقت، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٢٣١].



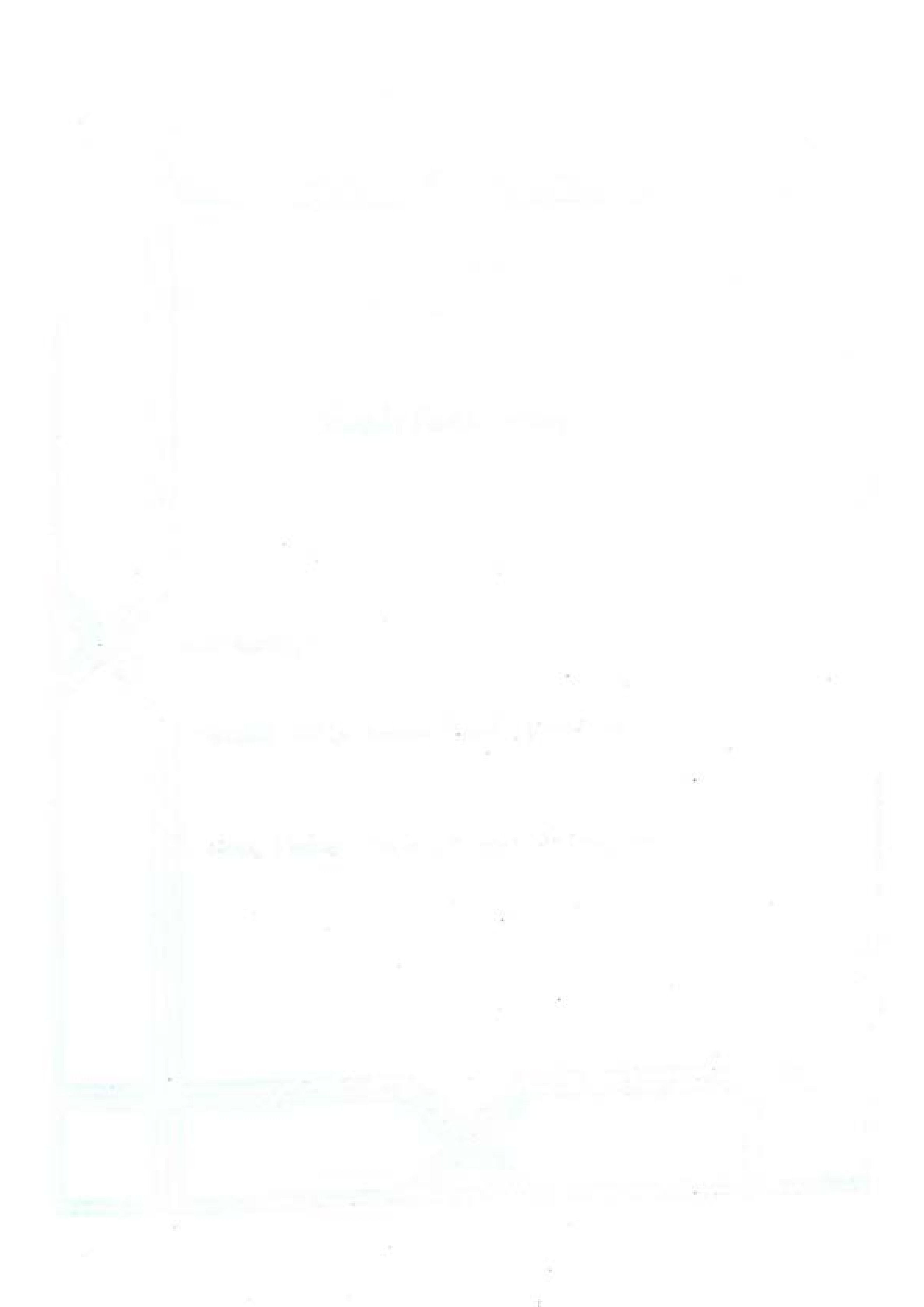
الباب الأول

أسماء الله الحسنى

وفيه فصلان :

الفصل الأول: الأسماء الحسنى والدعاء بها.

الفصل الثاني: إحصاء لأسماء الله الحسنى.



تمهيد

بيان التوحيد وأقسامه عند العلماء:

إن للمعرفة بالله تعالى مراتب يترقى فيها المؤمنون بربهم ﷻ؛ حتى يبلغوا الكمال فى معرفته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبقدر معرفتهم له ﷻ تكون تقواهم له وخشيتهم منه ومحبتهم وطاعتهم له، وتقربهم وتوسلهم إليه ﷻ.

وبمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته التى أثبتها المولى ﷻ لنفسه فى كتابه، وأثبتها له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى سنته على قدر هذه المعرفة تكون هداية القلب البشرى وربطه بربه جل وعلا، فهى -الأسماء الحسنى- تتعدد وتتكرر فى الكتاب والسنة لتحيط بالقلب البشرى من جميع الاتجاهات وفى جميع الأحوال، فحينما فكر، وأينما توجه وجد ربه ﷻ تجاهه، فلو أراد الرزق مثلاً وجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] ولو أراد الذرية فالمولى ﷻ ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠].

ولو أراد النصر على أعدائه فالمولى ﷻ هو الذي بيده النصر قال تعالى ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٠]، وقال تعالى ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:١٠].

ولو أراد العزة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] .

ولو أراد السلام والحفظ ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤].

ولو أراد العلم فالمولى ﷻ هو ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢] قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

ولو أراد التوبة والرجوع إلى الله فالله ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

وهكذا مع كل اسم وكل صفة يجد الله ﷻ تجاهه في كل حين وعلى كل حال فيهدأ قلبه ويطمئن، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[التغابن:١١].

ويستحيّ أن يفعل ما يغضب ربه، ويكثر من عمل الصالحات ليدخل في زمرة من قال عنهم المولى ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

ومن هنا تأتي أهمية معرفة أسماء الله الحسنى والتى اعتبرها العلماء ضمن أقسام التوحيد، والتوحيد هو:

مصدر وحد الشيء يوحده توحيدًا إذا أفرده ونفى عنه التعدد[١] .

والتوحيد في عرف الشرع: «نفي الكفء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ونفي الشريك في ربوبيته وعبادته ﷻ»[٢] .

قال تعالى في نفي الكفء: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ

---

(١) راجع أساس البلاغة للزمخشري ٢/ ٤٩٥ لسان العرب لابن منظور ٣/ ٤٥٠، معاني مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ٨٥٧.

(٢) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري دار السلام للطباعة والنشر ص٥٥.

﴿ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [سورة الإخلاص].

١- وقال تعالى فى نفي الشريك فى الربوبية: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الرعد:١٦].

٢- وقال تعالى فى نفي الشريك فى العبادة : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه:١٤] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

ومن هنا قسم العلماء التوحيد ثلاثة أقسام :

أولها: توحيد الذات والكلام فى الصفات[(١)].

الثاني : توحيد الربوبية.

الثالث : توحيد الألوهية.

أولًا : توحيد الذات والكلام فى الصفات[(٢)]:

---

(١) اخترت هذه التسمية من تعريفات العلماء، فهذا القسم قال عنه شارح العقيدة الطحاوية على بن محمد بن أبى العز الحنفى (الكلام فى الصفات) انظر شرح العقيد الطحاوى، ص ٢٠. وقال عنه شارح العقيدة الوسطية العلامة محمد خليل هراس (الكلام فى الصفات) ص ١٥٥ قالوا: التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع أولها: الكلام فى الصفات- والثاني: توحيد الربوبية والثالث توحيد الألوهية. ولم يذكرا توحيد الأسماء والصفات لأن ذلك ربما أوحى بتأييد كلام نفاة الصفات قال ابن أبى العز: فإن نفاة الصفات أدخلوا نفى الصفات فى مسمى التوحيد، كالجهم بن صفوان ومن وافقه فإنهم قالوا إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة فان إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج وهذا غاية التعطيل. ص٢٠-٢١ وإن كان معنى التوحيد فى الشرع يجيز استخدام التعبير بالتوحيد في الصفات.

(٢) ذكر هذا النوع ابن تيمية فى كتابه التدمرية باسم: التوحيد فى الصفات ص ٦-٨ وهذا أفضل مما

وهذا النوع يدور على إثبات أسماء الله تعالى وصفاته، ونفى الشريك فى الأسماء وعدم التمثيل[١] والتأويل[٢] والتعطيل[٣] فى الصفات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل.

والأصل فى هذا الباب أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفيًا، وإثباتًا، فنثبت لله ما أثبته لنفسه، وننفى عنه ما نفاه عن نفسه من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

الثاني: توحيد الربوبية:

بيان أن الله وحده خالق كل شيء، وهى اختصاصه تعالى وفعله مثل: تفرده بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتدبير الأمور لسائر الخلق والملكوت، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ

= يستخدم بعض الباحثين باسم: توحيد الأسماء والصفات. انظر رسالة تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات فوز عبد اللطيف، كامل الكردي، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢١هـ رسالة ماجستير ص١٠٨- ١٠٩- ١١٦- ١١٩.

(١) التمثيل فى باب الأسماء والصفات – يعني مساواة غير الله بالله ذاتًا وصفاتٍ أو العكس..

(٢) التأويل: فى باب الأسماء والصفات يعني تغيير ألفاظها أو معانيها عن مراد الله بها.

(٣) التعطيل: فى باب الأسماء والصفات يعني نفى الأسماء والصفات أو بعضها أو نفى معانيها وإنكار قيامها بذات الله تعالى.

ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

ولكون الله تعالى هو الرب الخالق للعالمين اختص بالربوبية دون سواه ووجب توحيده فيها وامتنع عنه الشريك فيها، بحيث لا تصلح الربوبية لغيره من سائر خلقه ولا تصح. وهذا التوحيد هوَّ الذى أقر به الكفار على زمن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولم يكونوا يعتقدون فى الأصنام أنها مشاركة لله فى خلقه العالم بل كان حالهم فيها كما أخبر عنهم المولى ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾[يونس:١٨].

ولم يدخلهم هذا التوحيد فى الإسلام وقاتلهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واستباح دماءهم وأموالهم، لذلك فالتوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية دون العكس- فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:١٧].

الثالث : توحيد الألوهية :

المتضمن توحيد الربوبية، وهو: عبادة الله وحدة لا شريك له، أى توحيد الله بأفعال العبادة والتى هى من فعل العبد، أى اختصاصه تعالى بسائر العبادات، واستحقاقه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يعبد وحده لا شريك له، وتفرده بها دون سائر مخلوقاته، مثل: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والرغبة، والرهبة،

والنذر، والاستعانة، وجميع ما أحب الله تعالى أن يعبد به من أعمال القلوب والجوارح، وألا يشرك معه غيره فى شيء منها، مع عدم الاعتراف بعبادة غيره تعالى، كما أن توحيد الألوهية أيضًا هو: إسلام الوجه لله تعالى ووقف الحياة كلها عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وهو أيضًا مضمون كلمة (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) التى جاء بها خاتم النبيين والمرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا إلى قولها واعتقادها؛ لان ذلك يستلزم الكفر الكامل بكل ما عبد الناس من آلهة دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1].

هذه هى أنواع التوحيد الثلاثة التى ذكرها العلماء كما ذكروا أنها متلازمة فيما بينها، فمن أشرك فى نوع منها فهو مشرك فى البقية.

من ذلك نرى أن منزلة العلم بأسماء الله تعالى وصفاته فى الدين عالية، وأهميتها عظيمة، ولا يمكن لنا أن نعبد الله على الوجه الأكمل حتى نكون على علم بأسمائه تعالى وصفاته لنعبده على بصيرة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨].

وبيان المقصود بالأسماء الحسنى فى المبحث التالى .

---

(١) راجع التدمرية لابن تيمية ص ٦-٧ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية على بن أبى العز الحنفي ص٢١-٢٩، شرح العقيدة الوسطية لمحمد خليل الهراس ص ١٥٥، عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى ص ٥٥-٦٦.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الأسماء الحسنى والدعاء بها

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

تعريف الاسم وإثباته لله

معني الاسم:

لو نظرنا إلى الألفاظ التى كان العرب يستعملونها فى كلامهم ونقلت إلينا، نجدها لا يخلو واحد منها من أن يكون واحدًا من ثلاثة أشياء: الاسم، والفعل، والحرف.

فالاسم فى اللغة:

هو ما دل على مسمي، وهو ما يعرف بذات الشيء، ويستدل عليه. وجمعه: أسماء، وأسامٍ .

وفى اصطلاح النحويين : الاسم كلمة دلت على معنى فى نفسها، ولم تقترن بزمان، نحو: محمد، وعلى، ورجل، وتفاحة ...

وللاسم علامات فهو يعرف بإدخال حروف النداء عليه، وبالتنوين وبدخول الألف واللام عليه، وحروف الخفض. ويمكن الإسناد إليه أى الإخبار عنه مثل (الكتاب مفيد) ويكفي أن تقبل الكلمة علامة واحدة أو أكثر من هذه العلامات لتكون اسمًا[1] وجمعها ابن مالك في قوله :

---

(١) راجع المعجم الوجيز ص ٣٢٣، مختار الصحاح ص ١٣٣، التحفة السنية لشرح المقدمة

بــالجرّ والتنــوين والنّـــدا وآل ومســند للاســم تميــز حصــل

وأسماء الله تعالى هي الكلمات التى سمى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها نفسه، وأخبر ببعضها عباده ليدعوه بها، وقد وردت نصوص عديدة فى إثبات لفظ الاسم ونسبته إلى الله تعالى، نحو قوله تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠].

ومن الأحاديث ما رواه البخارى ومسلم من أن النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم باسمك أموت وأحيا»[(١)].

أما الإثبات المفصل لأسماء الله ﷻ فهو كثير فى القرآن الكريم، والسنة النبوية، فيما ورد فى الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٣-٢٤]

ويختم المولى ﷻ كثيرًا من الآيات فى كتابه العزيز بأسمائه الحسنى مثل قوله

= الآجرومية تأليف محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة السنة طبعة يناير ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ص٧-٩ حروف الخفض أى حروف الجر مثل: على -فى- إلى... قواعد اللغة العربية تأليف فؤاد نعمة الطبعة التاسعة ص١٧.

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحة، كتاب الدعوات باب ما يقول إذا نام. فتح البارى بشرح صحيح البخاري (١١/ ١١٧) حديث ٦٣١٢ ومسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب ما يقول عند النوم وأخذ المضطجع حديث ١/ ٢٧ (٤/ ٢٠٨٣). صحيح مسلم بشرح النووي.

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣] .

فبين الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فى هذه الآيات بعض أسمائه وهى: الله، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، التواب، الرحيم، الغفور.

ومن السنة قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله جميل يحب الجمال»[1].

معني الحسنى:

الحسن: الجمال، وكل مبهج مرغوب فيه، وذلك بثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس[2].

والأسماء الحسنى:

ألفاظ دالة على المعاني فهي إنما تحسن بحسن معانيها ومفهومها، وأسماء المولى ﷻ كذلك بالفعل من حيث دلالتها ومعانيها، لأنها كذلك بالنسبة لهذا العالم بما فيه من كائنات هى التى اقتضت وجوده، وكذلك إليها يستند كل ما فى عالم الرحمن من قوانين، وسنن، وآيات، وعلوم، وكائنات، وعلى رأسها الإنسان الذي خلقه الرحمن وعلمه البيان.

فالأسماء الحسنى هى محور هذا الدين وركن عقيدته المتين ؛ لأنها تتضمن أسمي ما لدى الإنسان من معرفه بربه الرحمن.

وأسماء الله حسني، دالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات مع تحقيق وجودها،

---

(١) أخرج الحديث مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩٣) حديث ٩١ صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٩٣.

(٢) راجع: المعجم الوجيز ص ١٥١، مختار الصحاح ص ٥٨، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٧.

وثبوت الاتصاف بها على أتم الوجوه، وهي بالغة الحسن في الاسماع، والقلوب تدل علي توحيد الله تعالى ورحمته، وأفضاله بما تتضمن من كمال مطلق لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وبما تدل عليه من صفات العلو والعظمة والكبرياء، وأيضًا بما يستحق الذاكر لها والداعي بها من جزيل الثواب.وحسن المآب من إجابة الدعوات إلي دخول الجنات[1].

---

(١) راجع: مدارك السالكين لابن القيم ١/ ٢٥، بدائع الفوائد لابن القيم تحقيق هانى الحاج المكتبة التوفيقية ١/ ١٤٦ وما بعدها، الأسماء الحسنى فى القرآن العظيم لحسن أحمد خلف مكتبة النهار للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م ص ١١.

المَبْحَثُ الثَّانِي

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى إجمالاً

بعض الناس قد ضل في هذا المضمار فراح يتأول، والآخر يتقول، وبين هذا وذاك كان أهل السنة والجماعة[1] الذين ارتضوا المنهج الحق في الفهم، فاستعانوا بالله فما عرف الله إلا بالله، ثم ذهبوا إلى أعرف الناس بالله من خلقه وهو النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فكان المنهج السلفي[2] أفضل المناهج على الإطلاق في التعامل مع أسماء الله ﷻ وصفاته بلا تيه في دروب الفلاسفة، أو ضلاله في نزهات المتكلمين، بل هو الاعتدال والتوسط، فأهل السنة والجماعة يثبتون من الأسماء الحسنى ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يتجاوزون فيها التوقيف فلا مجال للعقل فيها لأنها من الأمور الغيبية التي لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة، فلا يجاوزون إثبات شيء من الأسماء إلا ما أثبته الشرع ولا نفي ما أثبته الشرع .

---

(١) المراد بأهل السنة والجماعة: سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذي اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- شرح العقيدة الوسطية لابن تيمية- محمد هراس، ص ٢٠.

(٢) السلف: هم من كانوا قبل الثلاثمائة من الهجرة والخلف من أتوا بعدهم. الشرح الجديد لجوهرة التوحيد للشيخ البجوري، ص ٦٣.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى وما دلت عليه من الصفات، وما ينشأ عنها من الأفعال، مثال ذلك: القدرة مثلاً: يجب الإيمان بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علي كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأن قدرته نشأ عنها جميع الكائنات . . . وهكذا بقية الأسماء الحسنى.

وكذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضا، والغضب، والكراهية، والمحبة، والأفعال المتعلقة بخلقه كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وأنواع التدبير المختلفة.

إثبات تفرد الرب جل شأنه بكل صفة كمال، وأنه ليس له شريك أو مثيل في شيء منها، فيثبتون المثل الأعلى له وحده، ونفي الند والمثل والكفء والسمي والشريك عنه وتنزيهه تعالى عن كل نقص وعيب وآفة.

كذلك إثبات جميع ما ورد بالكتاب والسنة من الصفات بلا تحريف[1] ولا تعطيل[2] ولا تكييف[3] وتمثيل[4] والمخالف في هذا الأصل فريقان:

---

(١) تحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح، فلابد فيه من قرينة تبين أنه المراد.

(٢) التعطيل: مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك ومنه قوله تعالى: (بئر معطلة) سورة الحج: جزء من آية ٤٥. أي أهملها أهلها، وتركوا وردها، والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالى.

والفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها. فإن التعطيل أعم مطلقًا من التحريف.

(٣) التكييف: أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا أو يسأل عنها بكيف.

(٤) التمثيل: «اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

١ - الجهمية[١]: ينفون الأسماء والصفات جميعًا.

٢ - المعتزلة[٢]: ينفون جميع الصفات ويثبتون الأسماء فيقولون عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وحي بلا حياة . . .

وهذا القول في غاية الفساد، فإن إثبات موصوف بلا صفة، وإثبات ما للصفة للذات المجردة محال في العقل كما هو باطل في الشرع.

أما الأشعرية[٣] ومن تبعهم فإنهم يوافقون أهل السنة في إثبات سبع صفات

وليس المراد أن أهل السنة ينفون التكييف أي أنهم ينفون الكيف مطلقاً فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو ﷻ».

انظر العقيدة الوسطية لابن تيمية شرح محمد خليل هراس، ص ٢٣-٢٥.

(١) الجهمية: نسبة إلى جهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال وقد توسع في هذا اللفظ وأصبح يطلق على كل من نفي شيئًا من الأسماء والصفات: شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن أبي العز، ص ٤٥١.

(٢) المعتزلة: مؤسسها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وسموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري وكانوا يجلسون معتزلين، بنوا مذهبهم على الأصول الخمسة التي سموها: العدل والتوحيد وإنفاذ الوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهم مشبهة الأفعال إذ قاسوا أفعال الله على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العبد يحسن منه، وما يقبح من العبد يقبح منه وقالوا يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع إلا بعدها.

وأما المنزلة بين المنزلتين فعندهم أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر.

والأمر بالمعروف: فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به وأن نلزمه ما يلزمنا، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا. شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٤٩-٤٥١.

(٣) الأشعرية أو الأشاعرة: نسبة إلى أبي حسن الأشعري وهو مذهب كلامي في أهل السنة نهض لتقويم اعوجاج المعتزلة ومغالاتهم، ولانحراف أهل القدر ممن تأولوا القرآن على آرائهم في استحالة رؤية الله تعالى بالأبصار وإنكار شفاعة الرسول ﷺ وعذاب القبر، والقول بخلق القرآن، وخلق العباد للشر، وخلود العصاة في النار، ونفي الوجه والعين والتنزل لله تعالى،

يسمونها صفات المعاني، ويدعون ثبوتها بالعقل وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

ولكنهم وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخبرية التي صح بها الخبر.

أما أهل السنة والجماعة فهم وسط في باب الصفات بين من ينفيها ويعطل الذات العلية عنها، ويحرف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن معانيها الصحيحة إلى ما يعتقده هو من معانٍ بلا دليل صحيح، ولا عقل صريح كقولهم: يده: قدرته، عينه: حفظه وحمايته، استواؤه علي العرش: استيلاؤه... إلى أمثال ذلك من أنواع النفي والتعطيل التي أوقعهم فيها سوء ظنهم بربهم، وتوهمهم أن قيام هذه الصفات به لا يعقل إلا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق.

أهل السنة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه ومثلوه بعباده، فهم يثبتون الصفات لله تعالى إثباتاً بلا تمثيل، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل، فأهل السنة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستوٍ علي عرشه بائن من خلقه بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه، فالاستواء معلوم والكيف مجهول.

فجمعوا أحسن ما عند الفريقين أي التنزيه والإثبات، وتركوا ما أخطئوا وأساءوا فيه من التعطيل والتشبيه.

وقد رد المولى ﷻ على الطائفتين بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] فهذا يرد علي المشبهة، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فهذا يرد على المعطلة.

ما شابه ذلك. ومن رجال هذا المذهب الباقلاني ٤٠٣هـ، البيضاوي ت ٦٨٥هـ الشريف الجرجاني ٨١٦، انظر المذاهب الإسلامية ٢٦٥-٢٨٦، (الفاصلة في القرآن للحسناوي ص ٩١).

خلاصة ما تقدم:

أن أهل السنة يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر عنه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيمانًا سالمًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته بابًا واحدًا، فإن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يحتذي فيه بحذوه، فإن كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف فكذلك إثبات الصفات، فلا يوصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتجاوز القرآن والحديث، ومن شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تعطيل[1].

فالمولى ﷻ له أسماء الكمال والجمال، منزه عن كل نقص وعيب، منزه عن مماثلة المخلوقين، وكلما إزداد العبد معرفة بأسماء الله الحسنى ازداد إيمانه وقوي يقينه لذا ينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره في معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وأن يكون مصدر معرفته الكتاب والسنة، وأن يدعوه تعالى بها كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

فما هو الدعاء، وما معنى الدعاء بالأسماء الحسنى، هذا في المبحث التالي.

---

(١) راجع شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرح العلامة محمد خليل هراس (ص٢٣-٨٨)، التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٦-١٦٤)، لمن أراد التوسع، وعقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري (ص٥١-٥٤، ٦٨-٧١).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

الدعاء بالأسماء الحسنى وأنواعه

الدعاء لغة:

كالنداء إلا أن النداء قد يقال بـ(يا) أو (أيا) ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، قال تعالى:

(كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) [البقرة:١٧١].

كما يستعمل استعمال التسمية نحو: دعوت ابني زيدًا، ودعوته إذا سألته قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة:٦٩] أي سله، أي اطلب منه، والدعاء إلي الشيء: الحث علي قصده قال تعالى علي لسان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

والدعوى بمعنى الدعاء قال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠][(١)].

اصطلاحاً:

استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية واستمداده إياه المعونة، ومن أظهر معاني الدعاء سؤال العبد ربه، واستغاثته إياه جل جلاله، لذلك فإن الدعاء من

---

(١) راجع لسان العرب ١٤/ ٢٥٧، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ١٧١، ١٧٢.

سنن الإسلام وحقيقته: إظهار الافتقار إلي الله تعالى، واعتراف العبد بالبراءة من حوله وقوته، وهو سمة العبودية، ومظهر من مظاهر الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء علي الله تعالى، والاعتراف بالقوة والجود والكرم الإلهي والحاجة هي التي توجه المرء إلي مناجاة ربه، وتجعل جلاله حاضرًا بين عينيه، ولذلك كان الدعاء من أفضل الوسائل التي يتضرع بها العبد إلي ربه لقضاء حوائجه، وتحقيق مطالبه الدينية والدنيوية، فهو تعبير صادق عن العبودية الخالصة، ووفاء بحق الربوبية بقدر طاقة العبد ووسعه، فإنه لن يستطيع أن يؤدي للربوبية حقها مهما بذل من جهد ودفع من عناء .. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤ - النحل:١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الزمر:٦٧ - الأنعام:٩٢] أي ما عرفوه، وما عبدوه حق عبادته، وما شكروه حق شكره لكنهم عرفوه وعبدوه وشكروه بقدر طاقاتهم[١].

والدعاء نوعان أحدهما: دعاء يطلب به الأعراض الدنيوية، وهو عبادة ترجع فائدتها إلي الداعي، والآخر: دعاء نقبل به على الله بالكلية ولا نطلب به عَرَضًا دنيويًا بل يكون الداعي فيه بين خوف من عذاب الله، ورجاء رحمته، وهو أيضًا عبادة ترجع فائدتها إلي الداعي، وهي النجاة من النار والفوز بالجنة والأول سماه العلماء دعاء مسألة وطلب والثاني: دعاء ثناء وعبادة، وهو بقسميه نصاب تام من العبادة سواء كان للرغبة في خيري الدنيا والآخرة أم كان لملء القوى الفكرية والقلبية بملاحظة جلال الله وعظمته، أم كان للاثنين معًا، ونبدأ بدعاء الثناء والعبادة:

---

(١) راجع شأن الدعاء حمد بن محمد الخطابي تحقيق أحمد بن يوسف الدقاق -- دار المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ، ص٤، صفحات من نور في الدعاء المنثور لابن بكر إسماعيل، ص٤، تفسير أبي السعود ٤/ ٣٩٨.

ويكون بلسان الحال وهو تعبير يظهر توحيد الله ﷻ وإفراده وتنزيهه في كل اسم من أسمائه تعالى، وكل وصف من أوصافه، فهو دعاء سلوكي في الأقوال والأفعال، ومظهر أخلاقي، وحال إيماني يبدو فيه المسلم موحدًا لله وتنطق أفعاله أنه لا معبود بحق سواه، مطيعًا لأوامر ربه، ممجدًا له، مثنيًا عليه، وقد أمرنا المولى ﷻ بذلك فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

كما حثنا رسول الله ﷺ علي ذلك وقال: «يقول الله ﷻ أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلي ذراعًا، تقربت منه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكه فمر علي جبل يقال له جمدان فقال: «سيروا هذا جمدان. سبق المفردون» قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»[٢].

ومن دعاء العبادة إن النبيّ ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال:

«اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[المائدة:١١٦]، حديث (٧٤٠٥) ١٣/ ٣٩٥، فتح الباري بشرح صحيح البخاري وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى حديث (٢/ ٢٦٧٥) صحيح مسلم بشرح النووي. (٩/ ١٧/ ٥)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث (٤/ ٢٦٧٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٥.

قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت. أو لا إله غيرك»[(١)].

ومن دعاء العبادة أيضاً دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الكرب: «لا إله إلا أنت العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض رب العرش العظيم»[(٢)].

ومن دعاء العبادة ما ذكره أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: علمني دعاء العبادة أدعو به في صلاتي، قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[(٣)].

كما روى البخاري في صحيحه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سيد الاستغفار أن يقول: «اللهمّ أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنًا بها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الدعاء إذا أتيته من الليل- حديث (٦٣١٧). ١١/ ١٢٠ فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد- باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم- حديث ٧٤٢٦. ١٣/ ٤١٦ فتح الباري بشرح صحيح البخاري- صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب دعاء الكرب حديث (٨٣/ ٢٧٣٠) ٩/ ١٧/ ٥٠ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الدعاء في الصلاة حديث (٣٦٢٦) ١١/ ١٣٥ فتح الباري شرح صحيح البخاري.

فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[(١)].

ثانياً: دعاء المسألة:

ويكون بلسان المقال، وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب منفعة، أو دفع مضرة فيسأل الله بأسمائه الحسنى التي تناسب حاجته ومطلبه، ويتوسل إلي الله بذكرها وذكر ما تضمنته من كمال الأوصاف وجلالها.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم:٤-٦] والمعنى «ولم أكن بدعائي إياك خائبًا في وقت من الأوقات هذا العمر الطويل، بل كلما دعوتك استجبت لي . . . وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف من المولى ﷻ من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن، وضعف الحال، فإنه تعالى بعدما عوَّد عبده الإجابة دهرًا طويلاً، لا يكاد يخيبه أبدًا لاسيما عند اضطراره وشدة افتقاره. وقد سأل زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المولى ﷻ باسم الرب أي من له الخلق والأمر الذي يجيب المضطر إذا دعاه أن يرزقه الولد الصالح. وقد استجاب المولي ﷻ لدعائه قال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٧][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار، حديث (٦٣٠٦) ١١/ ١٠١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٢) انظر تفسير أبي السعود- إرشاد العقل السليم. ٤/ ٢٢٨ بتلخيص.

ومن دعاء المسألة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وعد للداعي بالإجابة، أي إذا أمرتهم أن يدعوني، فدعوني استجبت لهم، لذلك يجب أن يستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة. وفي إجابته تعالى حجة عليهم بأن السيد إذا التزم إجابة عبده، كانت إجابة العبيد لسيدهم أوجب التزامًا لاستغناء السيد وحاجة العبد، فإذا كان الغني مجيبًا كان أولى أن يكون المحتاج مستجيبًا»[١].

وهذه الآية توضح أن الدعاء من أهم مقامات العبودية، ودليل ذلك أن الله تعالى ذكر السؤال والجواب في كتابه في عدة مواضع، منها أصولية، ومنها فرعية، أما الأصولية: فقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء:٨٥]، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ [طه:١٠٥]، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ [الأعراف:١٨٧] .

وأما الفرعية فمنها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة:٢١٥] ، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة:٢١٧]، ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة:٢١٩].

وهذه الآيات وغيرها جاء فيها عقب السؤال لفظ (قل) أما في مقام الدعاء فترك لفظ قل، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] ولم يقل فقل لهم إني قريب، فإن المولى ﷻ يقول: عبدي لا واسطة بيني وبينك في مقام الدعاء، فأنت العبد المحتاج، وأنا الرب الغني، فإذا دعوتني

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢١٨، الكشاف للزمخشري ١/ ٢٩٩، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣٤٩.

أجبتك، وإذا سألتني أعطيتك.

كما أن لفظ (عبادي) يدل علي أن العبد لله، ولفظ قريب يدل علي أن الرب مسعف للعبد ومعين له، ولما كان الدعاء يفيد القرب من الله لذا كان أفضل العبادات.

كما أن هذه الآية تدل علي تكريم الأمة الإسلامية، فأمرنا المولى ﷻ بدعائه بلا واسطة وقال مخاطبًا لها: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] ، أما الأمم السابقة فكانت تفزع إلى أنبيائها في حوائجهم حتى تسأل الأنبياء لهم ذلك فبنو إسرائيل قالوا: ﴿يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الأعراف:١٣٤].

فجعلوا بين الله وبينهم واسطة هو موسي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك الحواريون قالوا لعيسي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٢]. فجعلوا بين الله وبينهم واسطة هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن هنا يظهر تكريم الأمة الإسلامية»(١).

كذلك من دعاء المسألة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه:٢٥-٢٨]

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤].

---

(١) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي المجلد الثالث، ٥/ ٨٤، الدعاء ذريعة العطاء دريئة القضاء، حسن عبد اللطيف عزام مطبعة عابدين ص ١٤، ١٥.

من ذلك نرى أن المولى ﷻ يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها فيكون دعاء المسألة بالنسبة للأسماء الحسنى أن نسأل الله تعالى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب ونتوسل إليه سبحانه بأسمائه الحسنى فنقول: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. وتب علي يا تواب، كما قال في كتابه العزيز: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

وقال ابن القيم[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، فلا يحجبه التعبد باسمه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ عن التعبد باسمه ﴿ٱلْحَلِيمُ﴾ أو ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾»[2].

لذلك «إذا حل بالعبد مرحلة من مراحل الحياة أو حلت به تخير من الأسماء ما يلائم المرحلة وما يناسبها فيدعو الله ﷻ بالأسماء المناسبة الملائمة للموقف الذي هو بسبيله، وهذه بعض الأمثلة التي تبين حال الداعي وتجليات بعض الأسماء الحسنى المزدوجة في ضوء البيان القرآني»: مثال ذلك:

---

(١) هو محمد بن أبي بكر... شمس الدين (٦٩١-٧٥١هـ) (١٢٩٢-١٣٥٠م) الشهير بابن قيم الجوزيه تفقه في المذاهب وأفتي ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وتفنن في علوم الإسلام وكان عارفًا بالتفسير والحديث والفقه وغيرهم من العلوم طبقات المفسرين ٢/ ٩٠ ومقدمة كتابه بدائع الفوائد تحقيق هاني الحاج، ص٧.

(٢) مدارج السالكين ١/ ٤٥٢.

حال الداعي	الأسماء الحسنى المناسبة في الدعاء	الدليل من القرآن
الاستعاذة من الشيطان	السميع العليم	قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].
طلب الرحمة والبركة	الحميد المجيد	قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود:٧٣].
طلب المغفرة	الغفور الرحيم	قال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩].
طلب قبول العمل الصالح	السميع العليم	قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧]. وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران:٣٥].

طلب النجاة	القوي العزيز	قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود:٦٦][1].

وحتي يكون الدعاء مقبولاً لابد له من شروط ينبغي توافرها في الداعي، منها:

١) شعور العبد بافتقاره التام إلي الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠].

٢) أن يدعو من أعماق قلبه وهو موقن بالإجابة قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠].

فيستحب للداعي أن يعزم المسألة فإن روح الدعاء وسره رغبة النفس في الشيء مع تشبهها بالملائكة وتطلعها لجبروت الله، والطلب بالشك يشتت العزيمة ويفقد الهمة، والدعاء لا يستجاب إلا ممن قويت رغبتهم وتأكدت عزيمتهم، واتصل بالله تمام الاتصال ليجيب دعوته.

قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطنى، فإنه لا مستكره له»[2].

---

(١) أنظر مع الأسماء الحسني في ختام الآيات د. عاطف قاسم أمين المليجي، دار الفكر الطبعة الأولي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٩١-١٠٠ بتلخيص.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ليعزم المسأله فإنه لا مكره له حديث

٣) وليكن صوت الداعي عند الدعاء بين السر والجهر قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أيها الناس أربعوا[١] على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا. إنكم تدعون سميعًا قريبًا. وهو معكم»[٢].

كما ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل بقول: دعوت فلم يستجب لي»[٣].

هذه بعض آداب الدعاء وينبغي على الداعي أن يتحري أوقات الدعاء مثل الثلث الأخير من الليل، بين الأذان والإقامة، عقب الصلاة المكتوبة . . . كما يتحرى الأماكن الشريفة كبيت الله الحرام، والمسجد النبوي، وسائر المساجد . . . ويجب أن يتحرى الداعى الحلال في مأكله ومشربه وملبسه وسائر حوائجه، وأغراضه.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً،

=

(٦٣٣٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ١٤٤- ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت حديث (٧/ ٢٦٧٨) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٠.

(١) أربعوا: أرفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٣١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب قول لا حول ولا قوة إلا بالله حديث (٦٤٠٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ٢١٧، مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر حديث (٤٤/ ٢٧٠٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٢٩ واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب يستجاب للعبد ما لم يعجل حديث (٦٣٤٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ٢١٤٥ ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة و الاستغفار حديث (٩٠/ ٢٧٣٥) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٥٤، ٥٥.

وأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾، [المؤمنون:٥١] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلي السماء ويقول يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك»(١).

إن الدعاء بأسماء الله الحسنى لمن خير الوسائل وأنفعها للعبد، وهو من أعظم مظاهر العبادة وأوضح صورة من صورها(٢)، وقد قال عنها رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(٣).

ومن هنا فالعبادة بدونه ليست شيئاً ولا تستقيم ولا تتم إلا به. هذا بعض فوائد الدعاء بأسماء الله الحسنى، فما معنى الإلحاد فيها؟؟ بيان ذلك في المبحث التالي.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب الزكاة حديث (٦٥/ ١٠١٥) صحيح مسلم بشرح النووي٤/ ٧/ ١٠٢، ١٠٣.

(٢) هذا هو التعبد الشرعي الصحيح بالأسماء والصفات، وليس المنتشر بين بعض الناس من أنواع التعبد البدعي الذي يتزعمه طرق الصوفية المختلفة مستغلين بذلك حاجة الفطرة للمعرفة والعبادة، ونرى ذلك فيما تضمنته مؤلفاتهم في شروح أسماء الله الحسنى التي ينبغي التحذير منها، مثل:

١ - الاستغاثة الكبري بأسماء الله الحسنى يوسف بن إسماعيل النبهاني ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.

٢ - معجم أسماء الله الحسني تأليف سيد أحمد محتسب مرمي.

(٣) أخرجه الترمزي في سننه تابع كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ سورة المؤمنون (٥/ ٤٥٦) وقال حديث حسن صحيح وأخرج غيره ابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨) وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء (١/ ٤٩١) وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. أما حديث «الدعاء مخ العبادة» فأخرجه الترمذى في سننه أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب منه جـ٥ وقال عن هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى وأقسامه

الإلحاد لغة:

اللحد يكون في شق القبر للميت، واللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر، ولحد الميت: دفنه في قبره- ألحد فلان: عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، الملحد: الطاعن في الدين المائل عنه(١).

الإلحاد اصطلاحًا:

الإلحاد في أسماء الله تعالى هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت، وهو مأخوذ من الميل كما تدل عليه مادته (ل ح د) ومنه الملحد المائل عن الحق إلي الباطل ومنه الملتحد: وهو المفتعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧].

أي من تعدل إليه وتلجأ إليه وتبتهل إليه عن غيره(٢).

أقسام الإلحاد في أسمائه تعالى:

أولها: أن تسمي الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الألوهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا.

---

(١) راجع مختار الصحاح ص ٢٤٧، المعجم الوجيز ص ٥٢٢، معجم مفردات ألفاظ القرآن ٤٦٨.

(٢) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزيه ١/ ١٥١.

ووجه كونه إلحادًا، أنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة، لأن أسماء الله تعالى خاصة به، فلا يجوز أن تنتقل المعاني الدالة عليها هذه الأسماء إلى أحد من المخلوقين ليعطي من العبادة ما لا يستحقه إلا الله.

ثانيها: تسميته تعالى بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصاري له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته وعلة فاعله بالطبع، ونحو ذلك.

ووجه كونه إلحادًا: لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فلا يحل لأحد أن يسميه تعالى بما لم يسم به نفسه، لأن هذا عدول في حق الله تعالى، ومن القول علي الله بغير علم، وقد نهى المولى ﷻ عن ذلك، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣].

ثالثها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها:

كقول من يقول من الجهمية[(١)] وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمتكلم، والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر ولا كلام، ولا إرادة تقوم به. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة.

ووجه الإلحاد فيه: أنهم سلبوا صفات الكمال وجحدوها وعطلوها وكان يجب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

ورابعها: تشبيه صفاته تعالى بصفات خلقه- تعالى الله عما يقول المشبهون

---

(١) سبق التعريف بهم.

علواً كبيراً. فهذا الإلحاد في مقابل إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة الكمال وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد.

ووجه الإلحاد في ذلك: أن من أعتقد أن أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دالة علي تمثيل الله بخلقه فقد أخرجها عن مدلولها ومال بها عن الاستقامة والله تعالى ليس كمثله شيء كما أخبر رب العزة عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] والإلحاد بجميع أنواعه محرم لأن الله تعالى توعد الملحدين في أسمائه فقال ﷻ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وبعد معرفة مذهب أهل السنة والجماعة إجمالاً في أسماء الله الحسنى وكيفية الدعاء بها ومعني الإلحاد فيها فما هو عدد أسماء الله الحسنى؟ وما معني إحصائها؟ بيان ذلك في الفصل التالي.

الفَصْلُ الثَّانِي

إحصاء الأسماء الحسنى

المَبْحَثُ الأَوَّلُ [1]

الأحاديث التي ورد فيها ذكر أسماء الله الحسنى

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لله تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة إن الله وتر يحب الوتر» وفي رواية أخري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة »[2].

هذا الحديث الذي لم يرد فيه تعيين الأسماء هو الذي ورد في صحيح البخاري ومسلم، وأما تعيين الأسماء فقد جاء في الترمذي وغيره وفي بعض أسمائه خلاف، فقد روى الحديث وفي أخره سرد الأسماء بثلاثة طرق.

---

(١) هذا المبحث استفدت فيه من رسالة ماجستير في أسماء الله الحسنى لعبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الذكر والدعاء باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها حديث (٥،٦/ ٢٦٧٧) صحيح مسلم بشرح النووي المجلد التاسع ص٨ (اللفظ لمسلم).

وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب لله مائة اسم غير واحد (١١/ ٢١٨)، كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدة (١٣/ ٣٨٩) في فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

الطريق الأول:

وهو طريق عبد العزيز بن الحصين[١] عن أيوب عن محمد بن سيرين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة: الله، الرحمن، الرحيم، الإله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، الحنان، المنان، البديع، الودود، الغفور، الشكور، المجيد، المبدئ، المعيد، النور، الهادي، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العفو، الغفور، الوهاب، القادر، الأحد، الصمد، الوكيل، الكافي، الباقي، الحميد، المغيث، الدائم، المتعالى، ذو الجلال والإكرام، المولي، النصير، الحق، المبين، الباعث، المجيب، المحيي، المميت، الجليل، الصادق، الحافظ، المحيط، الكبير، القريب، الرقيب، الفتاح، التواب، القويم، الوتر، الفاطر، الرزاق، العلام، العلي، العظيم، الغني، المليك، المقتدر، الرءوف، المدبر، القدير، المالك، القاهر، الهادي، الشاكر، الكريم، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذو الطول، ذو المعارج، ذو الفضل، الخلاق، الكفيل، الجميل»[٣].

---

(١) عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، أبو سهل، مروزي الأصل، قال عنه البخاري ليس بالقوي عندهم، وقال ابن معين ضعيف وقال مسلم ذاهب الحديث. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٦٢٧) لسان الميزان لابن حجر (٤/ ٢٩).

(٢) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري إمام وقته، وثقة من كبار التابعين توفي ١١٠هـ انظر ترجمة في سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ٦٠٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الإيمان (١/ ١٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات باب بيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخرى (١/ ٣٢).

الطريق الثاني:

وهو طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني[١] قال: حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي[٢] حدثنا موسي بن عقبة[٣] حدثنا عبد الرحمن الأعرج[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة، وهي: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، المتعال، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواجد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المبين، البرهان، الرءوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة،

---

(١) عبد الملك بن محمد الحميري أبو الزرقاء، ويقال أبو محمد الصنعاني قال أبو حبان عنه: كان يجيب فيها يسأل عنه وينفرد بالموضوعات، ولا يجوز الاحتجاج بروايته وهو لين الحديث. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٤٢٢).

(٢) زهير بن محمد التميمي أبو المنذر الخرساني سكن الشام ثم الحجاز روآية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها توفي سنة ١٦٢هـ انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٣٤٨).

(٣) موسى بن عقبة بن عياش الأسدي مولى الزبير ثقة فقيه إمام فى المغازي سنة ١٤١هـ التهذيب لابن حجر (١٠/ ٣٦٠)

(٤) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داوود المدني – قال ابن المديني ثقة وفاته سنة ١١٧هـ انظر ترجمته / تهذيب للتهذيب لابن حجر (٦/ ٢٩٠)

المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الفاطر، السامع، المعطي، المحيى، المميت، المانع، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، القديم، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»[١].

الطريق الثالث:

وهو طريق الوليد بن مسلم[٢] قال: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة [٣] عن ابي الزناد [٤] عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة غير واحده، من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المغيث، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر،

---

(١) أخرج الحديث ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب: أسماء الله جَلَّ جَلَالُهُ. حديث (٣٨٦١).

(٢) الوليد بن مسلم القرشي، مولي بني أمية، أبو العباس الدمشقي، عالم الشام توفي سنة ٩٦هـ. انظر ترجته في: تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ١٥١)

(٣) شعيب بن أبي حمزة اسم أبيه دينار الأموي فقيه ثقة وفاته سنة ١٦٢هـ انظر ترجته فى تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٣٥٢).

(٤) عبد الله بن زكوان القرش أبو عبد الرحمن المدني ثقة فقيه وفاته سنة ١٣٠هـ انظر فى ترجته تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٢٠٣).

الباطن، الوالي، المتعالى، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[(١)].

التعليق على هذه الأحاديث من ناحية السند والمتن:

أولاً: من ناحية السند:

الطريق الأول: ورد عن طريق عبد العزيز بن الحصين وقد ضعفه العلماء قالوا: ليس بالقوي عندهم- ذاهب الحديث، الضعف على رواياته بين[(٢)].

الطريق الثاني: روي عن طريق: عبد الملك بن محمد الصنعاني، وهو مما لا يحتج بحديثه قال العلماء: لا يجوز الاحتجاج بروايته وقالوا: لين الحديث وليس بحجة[(٣)].

الطريق الثالث: فمداره: الوليد بن مسلم الدمشقي قال عنه العلماء: إذا قال حدثنا فهو حجة وقالوا: كان ثقة كثير الحديث لكن يؤخذ عليه أنه يدلس تدليس التسوية[(٤)][(٥)].

---

(١) أخرج الحديث الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات، باب ٨٧ حديث (٣٤٧٤) والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الإيمان، باب أسماء الله عز وجل ثناؤه (١٠/ ٢٧) وابن حبان في صحيحه باب الأذكار، ذكر تفصيل الأسماء التي يدخل الله محصيها الجنة حديث (٨٠٥).
والحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان (١/ ١٦).

(٢) الذين قالوا بضعفه من العلماء هم البخاري، ومسلم، ابن معين وابن عدي ولمزيد من التفاصيل انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٦٢٧ وتلخيص التحبير لابن حجر (٤/ ١٩٠).

(٣) راجع قول الذهبي في الكاشف للذهبي (٢/ ٢١٤) وابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/ ٤٢٢).

(٤) تدليس التسوية، هو أن يجيء المدلس إلى حديث سمعه من شيخ ثقة وقد سمعه الشيخ الثقة من شيخ ضعيف، وذلك الشيخ الضعيف يرويه عن شيخ ثقة، فيعمل المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول فيسقط منه شيخه الضعيف، ويجعله من روآية شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل العنعنة ونحوها فيصير الإسناد كله ثقات ومن كان يصنع هذا الوليد بن مسلم والأعمش وسفيان الثوري. تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٢٤).

(٥) لمراجعة أقوال العلماء انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ١٥٢، ١٥٣) فتح المغيث للسخاوي (١/ ١٩٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٤٨).

من ذلك يتضح أن الأحاديث التي ورد بها سرد الأسماء هي أحاديث ضعيفة وأقرب الطرق إلى الصحة هي رواية الوليد بن مسلم الدمشقي عن شعيب بن أبي حمزه كما قال ابن حجر[(١)] ومع ذلك فهو حديث ضعيف، قال الترمذي: هذا حديث غريب[(٢)] وعلق عليه الشيخ الألباني وقال: أي ضعيف[(٣)].

ثانياً: من جهة المتن:

علل ابن حجر عدم إخراج البخاري ومسلم لرواية سرد الأسماء ليس لتفرد الوليد بن مسلم فقط، فقال: «وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه، واحتمل الإدراج»[(٤)(٥)].

أما الاختلاف والاضطراب فهذا حاصل بين الطرق الثلاثة التي ورد فيها سرد الأسماء فلم تتفق روايتان على سرد موحد للأسماء كذلك الرواية المشهورة عن الوليد بن مسلم والتي عول عليها غالب من شرح الأسماء الحسنى خالفتها رواية أخرى للوليد أخرجها الطبراني عن أبي زرعة الدمشقي عن صفوان بن صالح مخالف في عدة أسماء فقال: (القائم الدائم) بدل (القابض الباسط) و (الشديد) بدل (الرشيد) و (الأعلى المحيط مالك يوم الدين) بدل (الودود المجيد الحكيم)[(٦)].

ووقع كذلك عند ابن حبان عن الحسن بن سفيان صفوان بن صالح عن الوليد (الرافع) بدل (المانع) ووقع فى صحيح بن خزيمة فى رواية عن صفون أيضًا مخالفة في بعض الأسماء قال: (الحاكم) بدل (الحكيم) و (القريب) بدل

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١/ ٢١٩).

(٢) جامع الترمذي (٥/ ١٩٣).

(٣) مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي بتحقيق الألباني (١/ ٧٠٢).

(٤) الإدراج أقسام والذي هنا هو: ما أدرج في حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كلامه بعض رواته فيرد به من بعده موصلاً بالحديث غير فاصل بينهما بذكر قائله فيلتبس الأمر فيه على من لا يعلم حقيقة الحال ويتوهم أن الجميع من عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٥) انظر مقدمة الصلاح ص ٤٥، وتهذيب الراوي للسيوطي (١/ ٢٦٨).

(٦) انظر فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٢٠).

(الرقيب) و (المولى) بدل (الوالي) و و(الأحد) بدل (المغني)[(١)].

الخلاصـة:

يلاحظ من هذه الروايات التي ذكرها ابن حجر والمروية عن الوليد بن مسلم الاختلاف الكبير والاضطراب الواضح فيها في سرد الأسماء.

أما احتمال الإدراج:

فهو تبين من أقوال العلماء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن التسعة والتسعين اسمًا لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب ابن حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواية ابن ماجه، وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف».

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث (أي حديث الوليد عند الترمذي) مدرج فيه»[(٣)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «والتحقيق أن سردها ادراج من الرواة»[(٤)].

كذلك الحديث المشهور الذي رواه الترمذي عن الوليد بن مسلم لم يشتمل علي ذكر أسامٍ وردت بها الأخبار[(٥)] كالرب، والمنان، والسبوح، والوتر: والفرد، ومعناه في حق الله تعالى، الواحد الذي لا شريك له ولا نظير[(٦)] وقد ذكر في

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٢٠) بتصرف.

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٢٥٧).

(٤) بلوغ المرام: لابن حجر العسقلاني ص ٣٤٦ حديث (١٣٩٦).

(٥) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسني لأبي حامد الغزالي ص ١٧١.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ٩.

الحديث الصحيح اسم الوتر لكنه لم يتضمنه الحديث المشهور[1].

مما سبق يتضح أن أسماء الله الحسنى لم يرد في تعيينها حديث صحيح وكل الطرق والروايات التي رويت في هذا الشأن ضعيفة إما من جهة السند أو من جهة المتن أو من كليهما، كما أن التعدد والاختلاف في الأسماء الذي ورد في هذه الأحاديث يدفع إلي تساؤل: هل أسماء الله الحسنى محصورة[2] في عدد معين، أي محصورة في تسعة وتسعين أسمًا أم تزيد؟

فإن زادت فما معني هذا التخصيص (مائة إلا واحدة) وإن لم تزد فما معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحًا»[3].

بيان ذلك في المبحث التالي.

---

(١) لمزيد من التفاصيل والشرح انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني كتاب الدعوات باب ٦٨- لله مائة اسم غير واحدة حديث (٦٤١٠) جـ ١١/ ٢١٨، كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدة حديث (٧٣٩٢) فقد تتبع الحافظ العلامة ابن حجر العسقلاني هذا الحديث تتبعًا واسع النطاق سندًا ومتنًا جـ ١٣/ ٣٩١.

(٢) الحصر: المنع والحبس- حصره: أحاط به وضيق عليه.
مختار الصحاح: ص ٥٩ والمعني هل أسماء الله محددة بتسعة وتسعين أسمًا.

(٣) أخرج الحديث أحمد في مسنده (١/ ٣٩١) من حديث عبد الله بن مسعود، الحاكم في مستدركه، كتاب الدعاء (١/ ٥٠٩) وابن حبان في صحيحه حديث ٢٣٧٢ موارد كتاب الأذكار، باب ما يقول إذا أصابه هم أو حزن ص ٥٨٩.
سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٣٦) حديث ١٩٩ قال الشيخ الألباني: الحديث صحيح من رواية ابن مسعود وحده فكيف إذا أنضم إليه -حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

المَبْحَثُ الثَّانِي

عدد الأسماء الحسنى واختلاف العلماء فى ذلك

هل أسماء الله الحسنى محصورة في تسعة وتسعين أسمًا؟

انقسم العلماء في ذلك إلي فريقين:

الفريق الأول:

يرى الالتزام بالعدد الوارد في الحديث، ويرفض الزيادة عليه، ومن هؤلاء:

ابن حزم: قال: «قد تبين أن أسماءه تعالى لا تزيد على تسعة وتسعين لقوله «مائة إلا واحداً» فنفى الزيادة وابطلها... لو جاز أن يكون له اسم زائد علي العدد المذكور لزم أن يكون له مائة اسم، فيبطل قوله « مائه إلا واحدًا »»[1].

الإمام الغزالي: جزم بالحصر فقال: «الأسامي هي تسعة وتسعون فقط، سمى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها نفسه، ولم يكملها مائه، لأنه وتر يحب الوتر، ويدخل في جملتها الحنان، والمنان، وغيرها، ولا يمكن معرفة جميعها إلا بالبحث في الكتاب والسنة... وعلى هذا فمن أحصاها، أي جمعها، وحفظها، نال تعبا شديدًا في اجتهاده، فبالحري أن يدخل الجنة»[2].

---

(١) راجع فتح الباري ١١/ ٢٢٤ بتصرف المحلي لابن حزم (١/ ٣٠) بلوغ المرام ٤/ ١٣٥.

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. ص ١٧٢.

لذلك جانب د. أحمد عمر مختار[١] الصواب فيما ذكره في كتابه أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة عندما اعتبر الغزالي ضمن الفريق الثاني الذي قال بعدم حصر الأسماء في تسعة وتسعين اسمًا.

الفريق الثاني: يرى أن أسماء الله الحسنى لا نهاية لها ولا تحد بعدد معين، ومن هؤلاء الإمام البيهقي الذي جمع في كتابه الأسماء والصفات ما يبلغ ١٤٨ اسمًا لله تعالى شرحها واستشهد على صحتها قال:« وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن لله تسعه وتسعين اسمًا» لا ينفي غيرها وإنما أراد -والله أعلم- أن من أحصى من أسماء الله ﷻ تسعه وتسعن اسمًا دخل الجنة »[٢].

وقال الخطابي: «إثبات هذه الأسماء المخصوصة بهذا العدد ليس فيه منع ما عداها من الزيادة، وإنما التخصيص لكونها أكثر الأسماء وأبينها معاني»[٣] كما أثبت الفخر الرازي أنه لا نهاية لأسمائه تعالى، ونقل عن بعضهم أن لله أربعة آلاف اسم[٤].

قال ابن القيم: «الأسماء الحنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا

---

(١) قال «أما الفريق الثاني... فيري أن لا يصح حصر الأسماء في عدد معين... ونقل هذا الرأي» والغزالي الذي عقد فصلاً عنوانه: في بيان أن أسماء الله تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة علي تسعة وتسعين)، ص ١٢.

مع أن الغزالي ذكر أن الأسامي تسعة وتسعين اسماً في أكثر من موضع في كتابه ص ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢.

(٢) الاعتقاد علي مذهب أهل السنة والجماعة. ص ١٣.

(٣) شأن الدعاء للخطابى ص٢٤ ونظير هذا قول العرب: إن لزيد ألف درهم أعدها للصدقة، وهذا لا يدل علي أنه ليس عنده من الدراهم أكثر من ألف درهم، وإنما دلالته: إن الذي أعده من الدراهم للصدقة ألف.

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١١/ ٢٢٥.

نبي مرسل... فجعل أسماءه ثلاثة أقسام:

١- قسم سمَّي به نفسه فأظهره لمن يشاء من ملائكته أو غيرهم، ولم ينزل به كتابه.

٢- وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده.

٣- وقسم استأثر به في علم غيبه، فلم يطلعه علي أحد من خلقه، ولذا قال: استأثرت به، أي انفردت بعلمه»[١].

ونقل النووي[٢] اتفاق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه تعالى فقال:

«واتفق العلماء علي أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فليس معناه: أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه لم يثبت حديث صحيح في تعيين التسعة والتسعين اسمًا... والأسماء في الكتاب والسنة أكثر من هذا العدد».

وذكر ابن كثير في تفسيره[٤] أن الأسماء الحسنى ليست محصورة في تسعه وتسعين اسمًا.

ومن العلماء المحدثين: ابن عثيمين[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٧١ بتصرف.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الذكر والدعاء باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها ٩/ ٩.

(٣) أنظر مجموع فتاوي ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢-٤٨٦) بتصرف.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير تفسير سورة الأعراف (آية ١٨٠) ٤/ ١٦٦.

(٥) القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني، ص ٢٠.

لله تسعه وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[١].

لا يدل على «حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك».

قال الشعراوي[٢]: «أسماء الله الحسنى أكثر من تسعة وتسعين اسمًا، إما لكونها محصورة بعدد معين معلوم أو مجهول أو لا نهائية، فالعلم عند الله وحده، عز علمه على أن يحيط به سواه».

من ذلك يتضح أن الصواب هو رأي الفريق الثاني الذي اتفق على أن أسماء الله تعالى الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، لقوة منطقهم وقوة أدلتهم على بيان ذلك.

وإذا كانت الأسماء الحسنى لا تحد بعدد فما معنى احصائها في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحصاها دخل الجنة؟.

بيان ذلك فى المبحث التالى.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أسماء الله الحسني للشيخ محمد متولي الشعراوي ١/ ٢٩.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

المراد بإحصاء الأسماء الحسنى

الإحصاء لغة :

التحصيل بالعدد يقال: أحصيت كذا وكذا من لفظ الحصا واستعمال ذلك فيه، حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه بالأصابع وأحصى الشيء عده[1].

الإحصاء اصطلاحًا :

علم يبحث في الحصول على قيمة معينة لتمثل الاتجاهات التي تشير إلى مجموعة كبيرة من الأرصاد والقياسات[2].

«وهو علم يهتم بجمع وعرض وتحليل البيانات أيًا كان نوعها من أجل الاستفادة منها في الواقع، فهو لا يقتصر على الاهتمام بالعد والحفظ، بل يتعداه إلى تعقل البيانات، والعمل بما يقتضيه تعقلها»[3].

معنى الإحصاء من القرآن :

«نجد المولى ﷻ استخدم هذا الفعل ﴿أَحْصَىٰ﴾ بمعنى العد مع الحفظ ويتضح ذلك من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ

---

(١) لسان العرب ١٤/ ١٨٤ .مختار الصحاح ص٥٩ —معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص١٢٠.

مختار الصحاح ص٥٩ - —معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص١٢٠.

(٢) أسماء الله الحسنى الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام تأليف عبدالعظيم فرج الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ عن الموسوعة العربية الميسرة مادة إحصاء، ص٦٥..

أَحْصَـٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة:٦].

فالإحصاء في هذه الآية يشمل العدد كما يشمل مقابل النسيان، وهو الحفظ أي أن المولى ﷻ عد عليهم أعمالهم، وحفظها فلم ينسَ منها شيئا.

كما استخدم الحق تبارك وتعالى هذا الفعل بمعنى العد وإدراك المعدود كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩] فهو لا يحصر كل شيء فقط بل يحصره ويعده وهو مدرك لكميته وقدره»[١].

الإحصاء في اصطلاح العلماء:

اختلفت عبارات العلماء في تحديد معنى الإحصاء ونذكر هنا بعض أقوالهم التي ذكرها ابن حجر فقد لخص قول الخطابي فقال: يحتمل الإحصاء وجوهًا:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها يريد أنه لا يقتصر على بعضها لكن يدعو الله بها كلها، ويثنى عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

ثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾[المزمل:٢٠]، والمعنى من يطيق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال (الرزاق) وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء الإحاطة بمعانيها من قول العرب فلان ذو حصاة أي ذو عقل ومعرفة.

وقول ابن بطال[٢]: الإحصاء تقع بالقول والعمل، وطريق العمل بها أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم، والكريم فليمرن العبد نفسه على أن يصح له

---

(١) أسماء الله الحسنى محمد متولي الشعراوي ١/ ١١٣.

(٢) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، أبو الحسن، عالم الحديث من أهل قرطبة، له شرح صحيح البخاري، ويعرف بأبي اللجام، توفى سنة ٤٤٩هـ - انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٤٧).

الاتصاف بها وما كان يختص بالله تعالى كالجبار، والعظيم فيجب على العبد الإقرار بها والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد نقف منه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد نقف منه عند الخشية والرهبة، وأما الإحصاء القولي فيقع بجمعها وحفظها والسؤال بها[1].

وذكر ابن القيم في معنى الإحصاء أنه يشمل ثلاث مراتب:

«**المرتبة الأولى**: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها. **المرتبة الثالثة**: دعاؤه بها[2]».

ومما سبق يتضح أن معنى ﴿أَحْصَنهَا﴾ في الحديث يشمل:

جمعها وحفظها مع فهم معناها ومدلولها ودعاء الله بها، ويتضمن ذلك الإيمان بها والتعظيم لها، والاعتبار بمعانيها أي التخلق بآدابها، فيجب على كل مسلم أن يتخلق بخلق الرحمة فيكون عونًا للضعيف، والمريض، والصغير وكل ذي حاجة، وأن يكون مصدر سلم لمن حوله، فلا يكون سببًا لإثارة المشاكل والفتن بين الناس، وأن يكون مصدر أمن لهم من كل فزع، فلا يعتدي على حقوق الآمنين.

وأن يكون عدلا في كل أفعاله وأحكامه، حليمًا كريمًا يجود قدر استطاعته على الفقراء والمساكين، وأن يعفو عمن ظلمه ويدفع السيئة بالحسنة وأن يكون نافعًا لغيره كنفعه لنفسه، وأن يتحلى بالصبر على الجد والبلاء.

فيجب على المسلم الا يترك صفة من صفات الحق جلَّ وعلا يمكن له أن يتأدب بآدابها إلا فعل ذلك قدر استطاعته.

وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاح والفلاح فإن من أحصاها دخل الجنة.

---

(١) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ٤٤٨.

(٢) انظر بدائع الفوائد لابن قيم الجوزيه ١/ ١٤٧.

المَبحَثُ الرَّابِعُ

الثابت من الأسماء الحسنى

أسماء الله الحسنى لا يستطيع أحد من البشر معرفتها كلها لأن منها أسماء لا يعلمها إلا الله، فقد استأثر بعلمه بها ولكن العلماء اجتهدوا في محاولة استخراج الأسماء الحسنى الثابتة من الكتاب والسنة ومن هؤلاء على سبيل المثال (لا الحصر) ابن حزم، قال عنه الغزالي[1]:

«ولم أعرف أحدًا من العلماء اعتنى بطلب ذلك وجمعه سوى رجل من حفاظ المغرب يقال له علي بن حزم فإنه قال رَحِمَهُ اللَّهُ وضح عندي قريب من ثمانين اسمًا يشتمل عليها الكتاب والصحاح من الأخبار، والباقي ينبغي أن يطلب من الأخبار بطريق الاجتهاد وأظن أنه لم يبلغه الحديث الذي فيه الأسامي، وإن كان بلغه فكأنه استضعف إسناده، إذ عدل عنه إلى الأخبار الواردة في الصحاح و إلى التقاط ذلك منها» .

وابن حجر قال[2]: «.. وقد حصل بحمد الله تتبعها .. وبقي أن يعمد إلى ما تكرر لفظًا ومعنى من القرآن فيقتصر عليه ويتتبع من الأحاديث الصحيحة تكملة العدة المذكورة» .

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص١٧٢ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ١١/ ٢٢٤.

وقال ابن عثيمين[1]: «ولما لم يصح تعيينها عن النبي ﷺ: اختلفت السلف فيه، وروى عنهم ذكر أنواع، وقد جمعت تسعة وتسعين اسمًا مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ».

وقد وضع - عبدالله صالح الغصن[2] ضوابط عامة في تمييز الأسماء الحسنى عن غيرها تتلخص في الآتي:

١- أن أسماء الله توقيفيه.

٢- الأسماء هي كل ما دل على الذات مع تضمنها صفات الكمال المطلق.

٣- حسني ليس فيها اسم يتضمن الشر، وليس في أسمائه أعلام جامدة مثل الدهر.

٤- ما ورد مقيدًا أو مضافا من الأسماء في القرآن أو السنة فلا يكون اسمها بهذا الورود، مثل اسم المنتقم فلا يرد إلا مقيدًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم:٤٧].

«وإذا ورد في الكتاب والسنة اسم فاعل يدل على نوع من الأفعال ليس بعام شامل فهذا لا يكون من الأسماء الحسنى، لأن الأسماء الحسنى تدل على الذات وتدل على معنى خاص مثل: مجرى السحاب، هازم الأحزاب، المسعر. وذكر تسعة وتسعين اسمًا»[3].

ثم د.الرضواني[4] وضع شروطًا لإحصاء الأسماء الحسنى على النحو التالي:

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى - محمد بن صالح العثيمين ص٢٠ - ٢١.

(٢) أسماء الله الحسنى - رسالة ماجستير لعبد الله بن صالح الغصن ص١٣٥ - ١٣٧.

(٣) أنظر أسماء الله الحسنى - رسالة ماجستير لعبد الله بن صالح الغصن ص١٧٥ - ١٨٦.

(٤) د.محمود عبدالرازق الرضواني - أستاذ مساعد قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك عبدالعزيز - كتاب أسما الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة -

١- «أن يرد بالاسم نصٌّ في الآيات القرآنية أو ما يثبت في صحيح السنة النبوية.

٢- أن يرد النص مرادًا به العلمية ومتميزًا بعلامات الاسمية المعروفة في اللغة التي جمعها ابن مالك في قوله:

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل [1]

٣- أن يرد الاسم على سبيل الإطلاق دون التقييد ظاهرًا أو إضافة مقترنة، وذلك بأن يفيد الثناء بنفسه، لأن الإضافة والتقييد يحدان من إطلاق الحسن والكمال على قدر المضاف وشأنه.

ثم قال: ويدخل في الإطلاق اقتران الاسم بالعلو المطلق، لأن معاني العلو كلها- سواء علو الشأن أو علو القهر أو علو الذات والفوقية – هي في حد ذاتها إطلاق، فالعلو يزيد الإطلاق كمالاً على كمال.

وعلى ذلك فالأسماء المقيدة بالإضافة لا تدخل في الأسماء الحسنى وإنما هي من قبيل الصفات الإسمية التي يجوز الدعاء بها على الوضع الذي قيدت به.

٤- دلالة الاسم على الوصف فلابد أن يكون اسمًا على مسمى أي لا يكون اسمًا جامدًا مثل اسم (الدهر).

٥- أن يكون الوصف الذي دل على الاسم في غاية الجمال والكمال، فلا يشتق اسم الماكر من قوله تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠] وذكر تسعة وتسعين اسمًا».

وقال: «هذه الشروط هي التي تتبعنا من خلالها الأسماء الحسنى فى الكتاب

الجزء الأول الإحصاء – مكتبة دار الرضوان – الطبعة الأولى، ١٤٢٢م -٢٠٠٤م، انظر من ص٢٤-٤٩ بتلخيص.

(١) أوضح المسالك في ألفية ابن مالك ٣/ ١٥٦.

والسنة: وقد ذكر مختلف العلماء الذين تكلموا في إحصاء الأسماء الحسنى ما يزيد على المائتين والثمانين اسمًا، وعند تطبيق هذه الشروط على ما جمعوه لم تنطبق إلا على تسعة وتسعين اسما فقط دون لفظ الجلالة، ويعلم الله أنها كانت مفاجأة لي كما هو الحال لدى القارئ، وقد ساعدني في ذلك التقنية الحديثة في استقصاء الاسم ومشتقات المعنى اللغوي في القرآن الكريم، ومختلف كتب السنة من خلال الموسوعات الإلكترونية الضخمة، فكانت النتيجة كما ذكر نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تسعة وتسعين اسمًا[1] انتهى».

وبالبحث والدراسة وجد أسماء للمولى ﷻ تنطبق عليها الشروط التي تكلم عنها ولكنه لم يتبعها ضمن القائمة، ومن هذه الأسماء اسمه تعالى: (الصادق).

قال عنه: «وأما الصادق فلم يثبت اسمًا، ولكن من أدرجه في الرواية اشتقه باجتهاده من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٧٤]».

أو قوله: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء:٩].

وإما قوله تعالى: ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الحجر:٦٤].

فلا دليل فيه لأن هذا من كلام الملائكة الذين «أرسلوا إلى قوم لوط»[2].

لكنه قد أغفل الآية التي ذكرت اسمه تعالى (الصادق) صراحة بلا إضافة وهي قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٦].

كذلك اسمه تعالى: (المنتقم) قال عنه: أما (المنتقم) فلم يرد اسما والذي ورد هو الوصف في الفعل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [إبراهيم:٤٧].

---

(١) أسماء الله الحسنى للرضواني ١/ ١٠٧.

(٢) أسماء الله الحسنى للرضواني ١/ ١٠٩.

وقوله تعالى: ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[الزخرف:٢٥].

لكنه أغفل الآية التي نصت صراحة باسمه تعالى (المنتقم).

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان:١٦].

كذلك يؤخذ على د. الغصن قوله: «ومثل ما ورد في حديث الوليد بن مسلم الدمشقي من الأسماء التي ليست كاملة الحسن (المنتقم)، لأن صفة الانتقام لا تحمل معنى الكمال المطلق»(١).

بل هي صفة تحمل معنى الكمال المطلق وتبعث في النفس الخوف والخشية من الله ﷻ فمن علم أنه تعالى (منتقم) خاف وأنزجر وراعى الآخرين من حوله.

كذلك اعتبر د.الرضواني اسمه تعالى (القاهر) تنطبق عليه الشروط، وهو عند غيره كابن حجر مثلا مضاف من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨].

فقال: «العلو والفوقية في حد ذاتها إطلاق وهي تزيد الاسم كمالاً على كمال فهو في حكم المطلق الذي يفيد المدح والثناء بنفسه مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠] ولم يأخذ اسمه تعالى المحيط من قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦] فهو يفيد الإحاطة المطلقة بكل شيء(٢)».

هذه بعض الأمثلة ومنها يتضح أن أسماء الله الحسنى لا حصر لها. ولا تعد بعدد، وإنما علمها عند المولى ﷻ، فقد استأثر بعلمه بها.

وعليه فهذه محاولة لمعرفة الأسماء الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة، مع بيان دليل ثبوت

---

(١) أسماء الله الحسنى - د. عبد الله الغصن، ص٧٣ - كذلك ذكر عبد الله الغصن في كتابه الأسماء الحسنى قوله (ماورد مقيدًا أو مضافًا من الأسماء في القرآن أو السنة فلا يكون اسما بهذا الورود مثل اسم (المنتقم) فلم يرد إلا مقيدا ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ ص١٣٦.

(٢) راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ٢٢٢، أسماء الله الحسنى لمحمود الرضواني ٨١.

الأسماء الحسنى - حسب ما وصل إليه اجتهادي وعلمي القاصر - والله أعلم بالصواب.

الله الآخر الأحد الأعلى الأكرم الإله الأول

البارئ الباسط الباطن البر البصير التواب الجبار

الجميل الحاسب الحافظ الحسيب الحفيظ الحكم الحكيم

الحليم الحميد الحيُّ الحييُّ الحفي الحق الخالق

الخبير الخلاق الرءوف الرازق الرب الرحمن الرحيم

الرزاق الرفيق الرقيب السبوح الستير السلام السميع

الشافي الشاكر الشكور الشهيد الصادق الصمد الطيب

الظاهر العالم العزيز العظيم العفو العلى العليم

الغفار الغفور الغني الفتاح القابض القاهر القادر

القدوس القدير القريب القهار القوى القيوم الكافي

الكبير الكريم اللطيف المؤخر المؤمن المبين المتعالي

المتكبر المتين المجيب المجيد المحيط المصور المقتدر

المقدم المقيت الملك المليك المنتقم المهيمن المولى

النصير الهادي الواحد الوارث الواسع الوتر الودود

الوكيل الولي الوهاب [1].

---

(١) وقد رتبتها ترتيبا أبجديًا.

- الله: قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢].

- الأحد: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١].

- الأعلى: قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١].

- الأكرم: قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق:٣].

- الإله: قال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [البقرة:١٦٣].

- الأول - الآخر : قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد:٣].

- البارئ: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤].

- الباسط: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط الرازق المسعر . . . »[١].

- البر: قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور:٢٨].

- البصير: قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

- الظاهر - الباطن: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣].

- التواب: قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:٣٧].

- الجميل : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إن الله جميل يحب الجمال »[٢].

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد فى مسنده (٣/ ٤٩٥) من حديث عبد الله بن أنيس، الحاكم فى المستدرك كتاب الاهوال (٤/ ٥٧٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وابن أبى عاصم فى السنة باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك حديث ٥١٤ (١/ ٢٢٥) وقال الألبانى: صحيح فى تخريجه لكتاب السنه لابن أبى عاصم.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث ٩١ (١/ ٩٣)

- الجبار: قال تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر:٢٣].

- الحاسب: قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

- الحافظ: قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف:٦٤].

- الحسيب: قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

- الحفيظ: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود:٥٧].

- الحكم: قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ [الأنعام:١١٤].

- الحكيم: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧].

- الحليم: قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٣٥].

- الحميد: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج:٦٤].

- الحَيّ: قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١].

- الحَيِيّ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله حَيِيٌّ ستير ....»[1].

- الحق: قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥].

- الحفي: قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

- الخبير: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج:٦٣].

- الخالق: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر:٢٤].

---

(١) اخرج الحديث النسائي فى سننه، كتاب الغسل والتيمم، باب الاستغفار عند الاغتسال (١/ ٢٠٠) وأبو داوود فى سننه كتاب الحمام، باب النهي عن التعري حديث ٤٠١٢ (٤/ ٣٩)، وأحمد فى مسنده (٤/ ٢٢٤) من حديث يعلي بن أمية وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٦١).

- الخلاق: قال تعالى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١].

- الرب : قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤].

- الرحمن الرحيم: قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

- الرءوف: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٠].

- الرازق: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تعالى هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق، . . .»[١].

- الرزاق: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

- الرفيق: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إن الله رفيق يحب الرفق . . .»[٢].

- الرقيب: قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

- السبوح: كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فى ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح....»[٣].

- الستير: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله حيٌّ ستير . . .»[٤].

- السلام: قال تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر:٢٣].

- السميع: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:٢٨].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة باب فضل الرفق حديث ٢٥٩٣ (٤/ ٢٠٠٣)

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة باب ما يقول فى الركوع والسجود حديث (٤٨٧) صحيح مسلم بشرح النووي. (١/ ٣٥٣).

(٤) سبق تخريجه.

- الشافي: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا اشتكي إنسان مسحة بيده ثم قال: اذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي»[١].
- الشاكر: قال تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].
- الشكور: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:٢٣].
- الشهيد: قال تعالى: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧].
- الصمد: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢].
- الصادق: قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦].
- الطيب: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»[٢].
- العالم: قال تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨١].
- العليم: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات:٣٠].
- العزيز: قال تعالى: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].
- العلي - العظيم: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].
- العفو: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٦٠].
- الغفار: قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص:٦٦].
- الغفور: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣].
- الغني: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطب باب: رقية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث (٥٧٤٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٢١٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٧٢١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب وتربيتها حديث (١٠١٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ٧٠٣)

- الفتاح: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ:٢٦].

- القادر: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام:٦٥].

- القاهر: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

- القابض: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تعالى هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق . . .»[1].

- القدوس: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر:٢٣].

- القدير: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

- القريب: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦].

- القهار: قال تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

- القوي: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١].

- القيوم : قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:١-٢].

- الكافي: قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦].

- الكبير: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

- الكريم: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦].

- اللطيف: قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

- المبين: قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥].

---

(١) سبق تخريجه.

- المتعال: قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩].

- المتكبر: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ [الحشر:٢٣].

- المتين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨].

- المجيب: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

- المجيد: قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣].

- المحيط: قال تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ [النساء:١٢٦].

- المصور: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر:٢٤].

- المقتدر: قال تعالى : ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٥].

- المقيت: قال تعالى : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

- المقدم: قال رسول الله ﷺ:«أنت المقدم وأنت المؤخر»[1].

- المؤخر: قال رسول الله ﷺ: «أنت المقدم وأنت المؤخر»[2].

- الملك: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر:٢٣].

- المليك: قال تعالى: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٥].

- المنتقم : قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦].

---

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه كتاب الدعوات باب قول النبى ﷺ «اللهم اغفر لى ما قدمت وأخرت» حديث (٦٣٩٨) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١١/ ٤١٩٥ - ومسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل.. حديث (٢٧١٩) صحيح مسلم. بشرح النووي ٤/ ٢٠٨٧.

(٢) الحديث السابق.

- المؤمن - المهيمن: قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر:٢٣].

- المولى - النصير: قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال:٤٠].

- الهادي: قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان:٣١].

- الواحد: قال تعالى: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩].

- الوارث: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر:٢٣].

- الواسع: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٥].

- الوتر: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «. . . إن الله وتر يحب الوتر»[1].

- الودود: قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج:١٤].

- الوكيل : قال تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٣٢].

- الولي: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى:٢٨].

- الوهاب: قال تعالى: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

هذه مائة اسم وواحد يشملها لفظ الجلالة (الله) استخرجتها من القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، ويوجد غيرها كثير فى كتب السنة وذلك لنثبت أن لله أكثر من تسعة وتسعين اسمًا فلا يعلم عددها إلا المولى ﷻ.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الدعوات باب لله مائة اسم إلا واحدًا حديث (٦٤١٠) ١١/ ٢١٨، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء باب فى أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها حديث (٢٦٧٧) ٤/ ٢٠٦٢.

المَبْحَثُ الخَامِسُ

ختم الآيات بأسماء الله الحسنى

كثيرًا ما يختم المولى ﷻ الآيات باسم أو اسمين كريمين من أسمائه تعالى الحسنى مما له تناسب وتناسق مع معاني الآيات وموضوعاتها، وسياقاتها، والأغراض التي جاءت من أجلها، سواء كان هذا الاتساق واضحًا جليًا، أو كان في حاجة إلى إمعان النظر والتدبر، وإعمال الفكر .

كذلك يختم المولى ﷻ الآيات بما له تناسب وتناسق مع الإيقاع ومتطلبات النغم والموسيقى، فالقرآن كتاب الله المعجز لا يعجزه معنى على حساب لفظ، ولا لفظ على حساب معنى .

ومع تتبع أسماء الله الحسنى التي وردت في القرآن الكريم لوحظ أمور منها :

الأولى: أن معظم أسماء الله تعالى الحسنى وردت على صيغة المبالغة أي على وزن : فعال، فعيل، فعول، نحو : رحيم، سميع، شكور، غفور، ...

والمبالغة في الاستعمال اللغوي تفيد: تعدد وقوع الحدث والمبالغة فيه والخروج عن الحد المألوف. أي يذكر وصفًا يزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده.

وأفعال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحدة: رحمته، مغفرته، علمه، سمعه، بصره كلها على حال واحد من الكمال والتمام، لا تدخل عليها زيادة ولا نقص، فكيف تفهم

هذه المبالغة[١] في أسمائه تعالى الحسنى؟.

ذكر الزركشي[٢] هذه الأقوال: «إن صفات الله التي هي صيغة مبالغة: كغفار، ورحيم، وغفور كلها مجاز إذ هي موضوعه للمبالغة، ولا مبالغة فيها، لأن المبالغة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له، وصفات الله متناهية في الكمال لا يمكن المبالغة فيها، والمبالغة أيضًا تكون في صفات تقبل الزيادة والنقص، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك. قال: والتحقيق أن صيغ المبالغة على قسمين:

١- ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل.

٢- بحسب تعدد المفعولات. ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة، إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين.

وعلى هذا القسم يجب تنزيل أسماء الله الحسنى التي وردت على صيغة مبالغة: كالرحمن، الغفور، التواب، وغيرها، لذلك قال الزمخشري: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

«المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب إليه من العباد؛ لأنه ما من ذنب يقترف إلا كان معفوًا عنه بالتوبة، أو لأنه أبلغ في قبول التوبة إذ نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه».

---

(١) هناك أراء لبعض الباحثين: إن جميع صفات الله من الصفة المشبهه فالعامل الديني يوجب ثبوتها لعدم تغيرها بغض النظر عن الصيغ الصرفية التي صيغت عليها.

وهذا فيه نظر لأن بعض افعال الصفات قد يكون متعديا وليس لازمًا مثل: (بارئ وخالق) والصفة المشبهه يجب أن يكون فعلها لازمًا.

كذلك فهو يلغي الفروق الدلالية الناشئة عن معاني الصيغ. ولمزيد من التفصيل انظر كتاب قواعد اللغة العربي لفؤاد نعمه ٢/ ٤٦، أسماء الله الحسنى دراسة في الدنيا والدلالة د.أحمد مختار عمر ٩٦-٩٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٥٠٧ عن قول البرهان الرشيدي.

كذلك حكيم معنى تكرار المبالغة فيه تكرار حكمته تعالى بالنسبة للشرائع»[١][٢].

نخلص من ذلك: إلى أن صيغ المبالغة في أسماء الله الحسنى هي على الحقيقة وليست مجازًا، وتكون بالنسبة إلى تكثير[٣] الفعل لا بالنسبة إلى تكثير الوصف.

الثانية: إن أكثر مواقع أسماء الله الحسنى كان في خواتم الآيات حيث تختم الآية باسم من أسمائه تعالى، نحو قول تعالى:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٥].

أو تختم باسمين كريمين تزاوجا بينهما بلا حرف عطف[٤] وقد يكونان غير معرفين بـ(الـ) نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٢].

أو يكونا معرفين بـ(الـ) نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢].

وهذا أكثر ما جاء عليه ختم الآيات بأسماء الله الحسنى.

ثالثًا: إن اختيار الاسم أو الاسمين لختام الآية يحكمه عاملان:

العامل الأول: «جانب المعنى والارتباط الوثيق بمضمون الكلام السابق سواء في نفس الآية، أو في كلام متصل قبلها، فنجد أن هناك انسجامًا وتآلفًا بين مضمون الآية، ومضمون الختام، فليس في القرآن آية يدعو مضمونها إلى العقاب

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤٠/ ٣٧٤ تفسير سورة الحجرات آية ١٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٥٠٧، ٥٠٨، معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١/ ٣١٣.

(٣) يقصد به تكرار الفعل.

(٤) فأما ترك العطف في الغالب فلتناسب معاني تلك الأسماء، وقرب بعضها من بعض وشعور الذهن بالثاني منها شعوره بالأول، الا ترى أنك إذا شعرت بصفة المغفرة انتقل ذهنك إلى الرحمة وكذلك إذا شعرت بصفة السمع انتقل الذهن إلى البصر، انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٦٨.

وتختم بمغفرة ورحمة، وليس فيه آية تتضمن رضوانًا من الله تحتم بالوعيد وشدة العقاب»[١]، وإنما تأتي الخاتمة «متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها... متعلقًا معناها بمعني الكلام كله تعلقًا تامًا»[٢].

العامل الثاني: «كذلك اختيار الاسم أو الاسمين لختام الآية روعي فيه الجانب الموسيقي فنجد أن الفواصل القرآنية تملك قدرًا هائلاً من الشحنات الموسيقية، وغالباً ما تفضل أصوات معينة لحروف الروي في الفاصلة لهذا يقول الزركشي[٣]: «كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون أو الميم[٤] مثل رحيم- عليم- تعلمون» وحكمته وجود التمكن من التطريب- ونقل عن سيبويه قوله إ نهم إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء لأنهم أرادوا مد الصوت».

رابعًا: تتفاوت السور القرآنية في درجة تكثيف أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات، ففي حين تكثر في خواتم آيات بعض السور نجدها تخلو في البعض الآخر تمامًا مثال ذلك:

سورة الفتح وهي سورة مدنية تبلغ عدد آياتها تسعًا وعشرين آية تكثر فى خواتم آياتها أسماء الله الحسنى، وهي: عليمًا، حكيمًا، عزيزًا، خبيرًا، غفورًا، رحيمًا، بصيرًا، شهيدًا في نحو ثلاث عشرة آية.

في حين نجد أن سورة محمد وهي سورة مدنية أيضاً عدد آياتها ثمانٍ وثلاثون آية قد خلت خواتمها، وبالتالي فواصلها من أسماء الله الحسنى.

---

(١) أسماء الله الحسني. دراسة في البنية والدلالة. د. أحمد مختار عمر ص ٨١٨.

(٢)الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٣٠٢ بتصرف.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٦٨.

(٤) النون والميم حروف غنة.

وبإحصاء ما ورد من أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات نجدها أحدي وسبعين سورة ثمان وأربعون منها مكية، وهي:

الفاتحة، الأنعام، الأعراف، يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، الإسراء، طه، الأنبياء، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، يس، ص، الزمر، الصافات، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الذاريات، الطور، القمر، الواقعة، الملك، الحاقة، نوح، المزمل، الإنفطار، الانشقاق، البروج، الطارق، العاديات، الإخلاص.

ومنها ثلاث وعشرون سورة مدنية هي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الرعد، الحج، النور، الأحزاب، الفتح، الحجرات، الرحمن، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، التغابن، التحريم، الإنسان، النصر.

أما السور التي تخلو خواتمها من أسماء الله الحسنى فثلاث وأربعون سورة، منها ثمان وثلاثون مكية هي:

الكهف، مريم، ق، النجم، القلم، المعارج، الجن، المدثر، القيامة، المرسلات، النبأ، النازعات، عبس، التكوير، المطففين، الأعلى، الغاشية، الفجر، البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، المسد، الفلق، الناس.

وخمس سور مدنية هي: محمد، المنافقون، الطلاق، البينة، الزلزلة.

المَبْحَثُ السَّادِسُ

التصنيفات الدلالية لأسماء الله الحسنى

فطن العلماء إلى إمكانية تصنيف أسماء الله الحسنى إلى مجموعات، أو مجالات دلالية حسب معانيها، وربما كان من أقدم من حاول ذلك الإمام البيهقي[1].

فقد قسم الأسماء إلى خمس مجموعات:

١- مجموعة الأسماء التي تتبع إثبات الباري والاعتراف بوجوده:

منها: القديم- الأول- الآخر- الباقي- الحق- المبين- الظاهر- الوارث.

٢- مجموعة الأسماء التي تتبع إثبات وحدانيته تعالى:

منها: الواحد- الوتر- الكافي- العلي- الرفيع.

٣- مجموعة الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع له تعالى:

منها: الحي- العالم- القادر- الحكيم- السيد- الجليل- البديع- البارئ- الخالق.

٤- مجموعة الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله تعالى:

منها: الأحد- العظيم- العزيز- المتعالى- الباطن- الكبير- السلام- الغني.

٥- مجموعة الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له تعالى فيما أبدع وفي مشيئته:

منها: القيوم- الرحمن- الرحيم- الحليم- الكريم- الأكرم- الصبور- العفو- الغفور.

---

(١) أنظر الأسماء والصفات للبيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، ص ١٣١-١٧٥.

ثم الإمام الغزالي في كتابه المقصد الأسنى[1].

الذي بين فيه رجوع هذه الأسامي الكثيرة إلى ذات وسبع صفات ثم قسمها عشرة أقسام موضحًا: أن الصفات إن كانت سبعًا فالأفعال كثيرة، والإضافات كثيرة، والسلوب كثيرة... والأقسام العشرة هي:

١- ما يدل على الذات: وهو لفظ الجلالة الله.

٢- ما يدل على الذات مع سلب: مثل القدوس، السلام، الغني، الأحد ونظائره.

٣- ما يرجع إلى الذات مع إضافة: كالعلي، العظيم، الأول، الآخر... ونظائره.

٤- ما يرجع إلى الذات مع سلب وإضافه: كالملك والعزيز.

٥- ما يرجع إلى صفه: كالعليم، القادر، الحي، السميع، البصير.

٦- ما يرجع إلى العلم مع إضافة: كالخبير، الشهيد، الحكيم، المحصي.

٧- ما يرجع إلى القدرة مع زيادة إضافه: كالقهار، والقوي، والمقتدر.

٨- ما يرجع إلى الإرادة مع إضافة أو فعل: كالرحمن، الرحيم، الرءوف، الودود.

٩- ما يرجع إلي صفات الفعل: كالخالق، البارئ، المصور، الوهاب، الرزاق.. ونظائره.

١٠- **ما يرجع إلي الدلالة علي الفعل مع الزيادة:** كالمجيد، الكريم، اللطيف.

تقسيم الأسماء الحسنى عند الفخر الرازي[2]:

١- اسم الذات: إما أن يكون اسمًا لشخص معين، وهو اسم العلم أو الماهية كلية وهو اسم الجنس.

٢- الاسم الدال على جزء من الذات: فهو قولنا في الإنسان إنه جسم... وهذا محال في حق الله.

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي، ص ١٥٧-١٥٩.

(٢) شرح أسماء الله الحسني لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ص ٤٠-٤٢.

٣- الاسم الدال على أمر خارج عن الذات: فهو القسم الذي سميناه بالصفات، وهذه الصفات إما أن تكون: ثبوتية حقيقية: شيء وموجود، أو ثبوتية اضافية: العلي، العظيم، أو ثبوتية سلبية: قدوس، السلام.

وإما أن تتركب من هذه الأقسام الثلاثة، وهي أربعة أقسام:

١- إما أن تكون صفة حقيقية مع صفة إضافية: عالم، قادر، مريد، سميع، بصير.

٢- أو صفة حقيقية مع صفة سلبية: قديم- أزلي.

٣- أو صفة إضافية مع صفة سلبية: أول و آخر.

٤- أو مجموع صفة حقيقية وسلبية وإضافية: الملك.

تقسيم الأسماء الحسنى عند ابن القيم(١)

١- ما يرجع إلى نفس الذات: كقولك: ذات وموجود وشيء.

٢- ما يرجع إلى صفات معنوية: كالعلم، القدير، السميع.

٣- ما يرجع إلى أفعاله نحو: الخالق، الرزاق.

٤- ما يرجع إلى التنزيه المحض ولابد من تضمنه ثبوتًا إذ لا كمال في العدم المحض: كالقدوس، الرازق.

٥- الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة تختص بصفة معينة، بل هو دال علي معناه لا علي معني مفرد نحو: المجيد، العظيم، الصمد.

وهناك تقسيمات أخري(٢):

١- ما يستحق بحقائقه كالقديم قبل كل شيء، القادر، العالم، الواحد.

٢- ما تستحسنه الأنفس لآثارها: كالغفور، الرحيم، الشكور، الحليم.

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزيه ١/ ١٨٠.

(٢) أسرار التأويل: محمود ربيع، ص ٦٩. ذكر ذلك عن الإمام النسفي.

٣- ما يوجب مراقبة الأحوال: كالسميع، البصير، المقتدر.

٤- ما يوجب الإجلال: كالعظيم، الجبار، المتكبر.

وتقسيم آخر[١]:

١- أسماء متعلقة بالذات: الواحد، الأحد، القدوس، الصمد، الغني، الأول، الآخر.

٢- أسماء متعلقة بالتكوين: الخالق، المصور، البديع، البارئ.

٣- أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة فيما عدا (رب- رحمن- رحيم) الرءوف- الودود- اللطيف- الحليم- العفو- الشكور- المؤمن- البار.

٤- أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله: العظيم، العزيز، العلي، المتعال، التواب، القهار، الجبار، المتكبر، الكبير، الحميد، المجيد، المتين.

٥- أسماء متعلقة بعلمه تعالى: العلي- الحيكم- السميع- الخبير- البصير- الشهيد- الرقيب- الباطن- المهيمن.

٦- أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمور: القادر- الوكيل- الولي- الحافظ- الملك- الفتاح- الحسيب- المنتقم- المغيث.

٧- أسماء أخرى مستمدة من أوصافه تعالى: القابض، الباسط.

٨- أسماء أخرى مستمدة من المعاني: النور- الرشيد- الصبور- المقسط- الولي- الجليل.

وهناك من قسمها إلى[٢]:

١- صفات جمال: العليم- الرحيم- الوكيل- الحميد- العفو- الغفور- الرءوف.

٢- صفات جلال: الكبير- العزيز- العظيم- القادر- الشهيد- البصير.

---

(١) انظر العقائد الإسلامية لسيد سابق، ص ٣٠، من كتاب الدين الإسلامي.

(٢) تجليات في أسماء الله الحسني، عبد المنعم خفاجي، ص ١٩.

٣- قسم يشترك بين الجلال والجمال وهي صفات الكمال: الرحمن- الملك- الرب- الخالق- السميع- البصير- الغني- الحفيظ.

ومن خلال هذه التقسيمات المختلفة للعلماء يمكن تقسيم أسماء الله الحسنى إلى الأقسام الآتية، مع الأخذ في الاعتبار أن أسماء الله الحسنى كلها في مستوً واحد من الجمال والجلال والكمال:

١- أسماء تدل على وحدانية الله وتفرده:

الله- الواحد- الأحد- الظاهر- الباطن- الأول- الآخر... ونظائره.

٢- أسماء متعلقة بقدرته تعالى: (مجموعة القدرة):

العزيز- القاهر- القهار- القوي- المتين- المقتدر- القدير- القادر... ونظائره.

٣- أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة وتدل على جمال الله ورحمته، وهي ما تستحسنه الأنفس لآثارها أي يوجب التخلق بها:

الرحمن- الرحيم- التواب- الغفار- الغفور- الرءوف- الحليم- الشكور... ونظائره.

٤- أسماء تدل على احاطته تعالى الكاملة ورقابته الشاملة لكل من سواه:

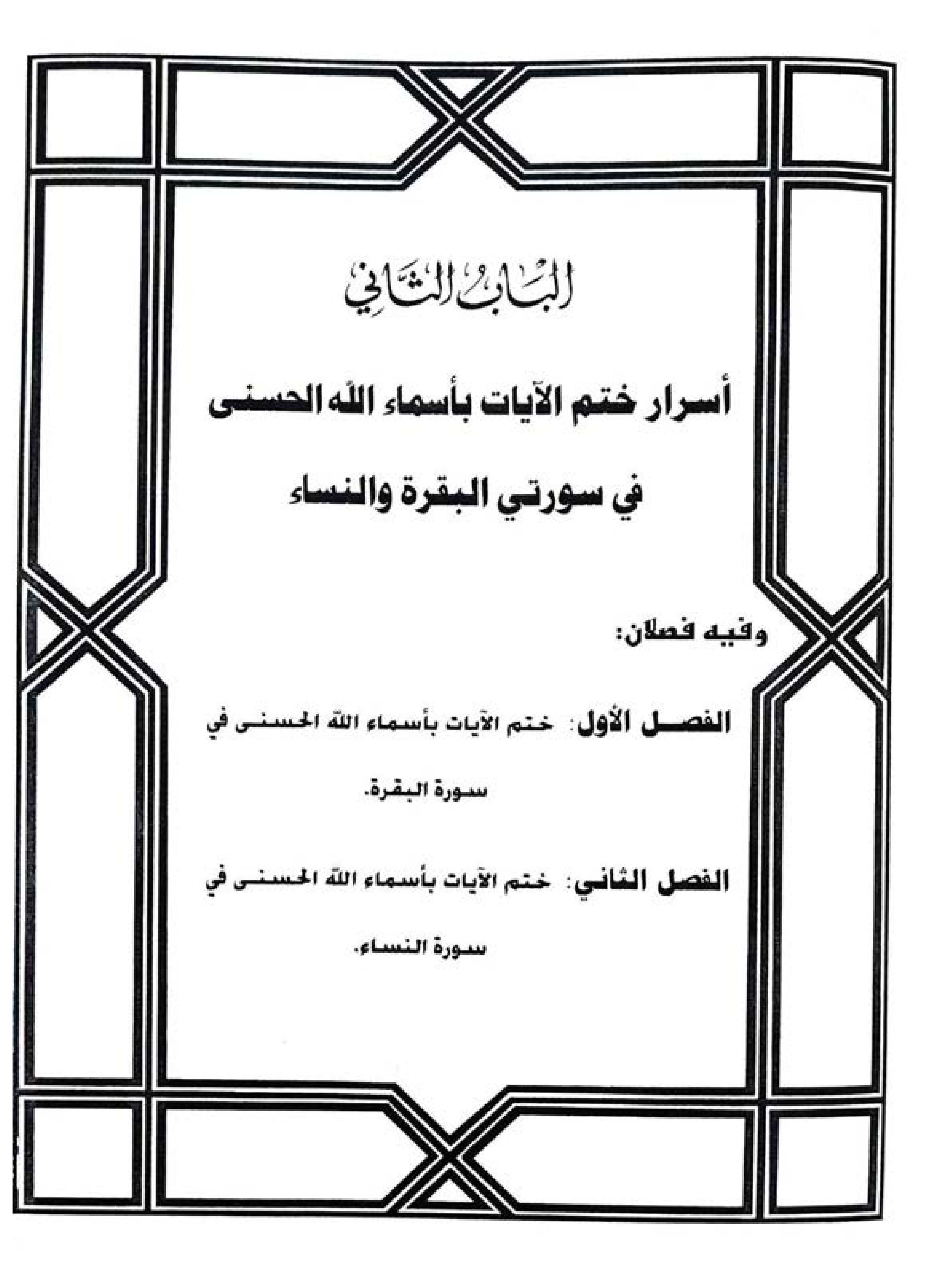
العليم- الخبير- السميع- البصير- الشهيد - الحكيم... ونظائره.

٥- أسماء تدل علي تدبيره تعالى لشئون خلقه: وهو ما يوجب مراقبة الأحوال:

الرزاق- الحفيظ- الوهاب- المقيت- المهيمن- الوكيل- الحسيب... ونظائره.

٦- أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة): وهي ما توجب الإجلال والرهبة:

الجبار- المتكبر- العظيم- المجيد- القدوس- السلام- العلي- الكبير- الواسع... ونظائره.



الباب الثاني

أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورتي البقرة والنساء

وفيه فصلان:

الفصل الأول: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة البقرة.

الفصل الثاني: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة النساء.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة البقرة

تمهيد

ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة البقرة

تمهيد لسورة البقرة مع ذكر فضل السورة وهدفها ومنهجها:

سورة البقرة هي السورة الثانية في القرآن الكريم في الترتيب لا في النزول، وهي سورة مدنية[1]، أول سورة نزلت بعد هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نزلت في تسعة أعوام[2] وهي أطول سورة في القرآن الكريم وأحفلها بالتعاليم المنوعة، فقد استغرقت جزأين ونصف جزء، وعدد أجزاء القرآن جميعه ثلاثون جزءاً، عدد آياتها مائتان وست وثمانون آية، وعدد الآيات التي ختمت بأسماء الله الحسنى ثمان وخمسون آية.

مجموع فواصل آياتها ق م ل ن د ب ر (قم لندبر).

وعلى اللام آية واحدة ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة:١٠٨].

---

(١) من سمات القرآن المدني في الأسلوب: طول الآيات والسور، هدوء العبارة، لين الأسلوب، طول الخاتمة، لطف الإيقاع.

(٢) المعول عليه في ترتيب السورة من حيث النزول هو سبب نزول أوائلها لا جميعها، الظلال ١/ ٢٧.

وعلى القاف آية واحدة ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ [البقرة:٢٠٠].

وجميع حروف الروي في فواصل آيات سورة البقرة متقاربة فيما بينها ما عدا حرف الـ (ق) فهو متباعد عنها .

ومن أسمائها:

١- «سورة البقرة»: سُميت بهذا الاسم لقرينة قصة البقرة المذكورة فيها، وعجيب الحكمة، فقد انفردت السورة بذكر حادثة وقعت في بني إسرائيل على عهد موسي عَلَيْهِ السَّلَامُ واختلف أهل الحي في القاتل، وأخذ كل يدفع الجناية عن نفسه ويتهم غيره، وفيهم من يعلم الجاني ويكتم أمره، وسأل موسى ربه فأمرهم أن يذبحوا بقرة(١) ويضربوا القتيل ببعضها، فيحيا ويخبر بالقاتل، ولما طبع بنو إسرائيل على العناد في تنفيذ الأوامر، ووقفوا كالساخرين أو الهازئين من الأمر، وأكثروا من السؤال وشددوا علي أنفسهم شدد الله عليهم في صفاتها، ولونها، وسنها، ووجد القوم هذه الصفات لا تنطبق إلا على بقرة ليتيم كان أبوه صالحًا زاهدًا، فاشتروها منه بمال وفير، وذبحوها، وضربت جثة القتيل ببعض أعضائها فتمت إرادة الله وحدثت المعجزة، وأحيا الله القتيل ونطق باسم قاتله.

وموضوع هذه القصة مناسب كل المناسبة للسورة، فهي دليل علي البعث، ومدارها الإيمان بالغيب وهو ما أشارت إليه بداية السورة.

٢- ومن أسمائها أيضًا فسطاط القرآن: وذلك لعظمها، ولما جمع فيها من أحكام لم تذكر في غيرها.

٣- سنام القرآن: وسنام كل شيء أعلاه.

---

(١) اتخذ بنو إسرائيل بقرة يعبدونها إلهًا من دون الله في وقت من الأوقات.

٤- **سورة الكرسي**: لاشتمالها على آية الكرسي أعظم آية في القرآن[١].

٥- «**سميت هي وسورة آل عمران بالزهراوين**»[٢]:فيها آخر آية نزلت، وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

فضل سورة البقرة:

١- عن أبي مسعود[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٤].

٢- وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:«وكلني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . . فقص الحديث، فقال: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لم يزل معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتي تصبح فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان»[٥].

---

(١) الاتقان في علوم القرآن: ١/ ١٥٥.

(٢) راجع الفيروز أبادئ، ص ٨٨، ١٣٤، عبد الله دراز، ص ٢٨٦، عبد الله شحاتة، ص ٣٨، الظلال ١/ ٢٧.

(٣) هو عقبة بن عمرو الأنصاري البدري، فتح الباري ٨/ ٦٧٣.

(٤) كفتاه: أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، قيل معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملت عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً وقيل معناه كفتاه من كل سوء، وقيل كفتاه شر الشيطان، وقيل من الآفات ويحتمل الجميع، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٦٧٣.
الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة حديث (٥٠٠٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٦٧٢.

(٥) حديث ١، ٢ انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة، ٨/ ٦٧٢، حديث ٥٠٠٩، ٥٠١٠.

هدف السورة:

كل سورة لها حدود، وأهداف، وأغراض تدور حولها فتعرض لتحقيق ذلك إلي عدة معانٍ، وتأخذ من كل معنى ما يتناسب مع هدفها، فنجد أن السور المدنية تتحدث عن الحدود - والفرائض - والجهاد وأنواعه - وتفاصيل الأحكام، كذلك تتضمن دعوة أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى الإسلام - ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة - وكشف حال المنافقين وفضح أساليبهم من الخداع والتحذير منهم، كما أنها تتناول قضية البعث- وسورة البقرة سورة مدنية تضم كل هذه الموضوعات لكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطًا شديدًا.

فهي تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة، والخلافة في الأرض، وبناء مجتمع إسلامي جديد وما يستدعيه ذلك من وضع قواعد التشريع للأمة الإسلامية الناشئة. ولأن الجماعة الإسلامية في المدينة كانت تجاور اليهود، لذا كان المحور الآخر يدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم للرسول ﷺ، وللجماعة الناشئة، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخري، وقد تناول الحديث عنهم ما يزيد على ثلث السورة(١).

---

(١) الفكرة من كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب مقدمة تفسير سورة البقرة، الجزء الأول.

منهج السورة

ثم نتحدث عن منهج السورة ففيه يتضح هدف السورة بجلاء وهو تنظيم أحوال المسلمين في العبادات والمعاملات والعلاقات مع الديانات الأخرى.

والمنهج يشمل ما يلي:

١- وصف الكتاب ونفي كل ريب عنه كأنها إشارات بطريق التلميح إلي زيف ما بأيدي اليهود والنصارى.

٢- تحدثت عن المتقين في ثلاث آيات في المقدمة، ثم كررت مادة التقوى خلال السورة إحدى وثلاثين مرة لا تسبقها في ذلك سورة أخرى، والتقوى هي الصفة الجامعة التي طلبت من سائر الأمم في شتى الرسالات قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ ﴾ [النساء:١٣١].

٣- ثم تحدثت في آيتين عن الكافرين.

٤- ووصفت المنافقين في ثلاث عشرة آية، وذلك يدل علي استطارة شرهم، وخطورة أثرهم علي الجماعة كلها من آية ٨ إلي آية ٢٠ انهت الحديث عن المنافقين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٠] و(القدير) أول اسم من أسمائه تعالى ورد في خاتمة أول آية ختمت باسم من أسمائه تعالى الحسنى.

٥- ثم دعوة عامة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ودلائل قدرته، وخلقه آدم وتعليمه.

٦- ثم الحديث عن بني إسرائيل من آية (٤٠) حتى آية (١٢٣) فقد تعرضت

السورة لتاريخ اليهود الطويل، وناقشتهم في عقيدتهم، وذكرتهم بنعم الله على أسلافهم، وبما أصاب هؤلاء الأسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقي دعوة الحق من أنبيائهم السابقين وارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة، فقد كانوا أول كافر به، وكانوا يلبسون الحق بالباطل، وكانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، وكانوا يخادعون الذين آمنوا بإظهار الإيمان، وإذا خلا بعضهم إلي بعض حذر بعضهم بعضًا من اطلاع المسلمين علي ما يعلمون من أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحة رسالته، وكانوا يريدون أن يردوا المسلمين كفارًا وكانوا يدعون أن المهتدين هم اليهود وحدهم كما كان النصارى يدعون هذا أيضًا، وكانوا يعلنون عداءهم لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بما أنه هو الذي حمل الوحي إلي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دونهم، وكانوا يكرهون كل خير للمسلمين، ويتربصون بهم السوء، وكانوا ينتهزون كل فرصة للتشكيك في صحة الأوامر النبوية ومجيئها من عند الله كما فعلوا عند تحويل القبلة، وكانوا مصدر إيحاء وتوجيه للمنافقين. ومن ثم تتضمن السورة حملة قوية علي أفاعيلهم هذه وتذكرهم بمواقفهم المماثلة زمن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن شرائعهم وأنبيائهم علي مدار أجيالهم وتخاطبهم في هذا كأنهم شريحة واحدة، وطبيعة واحدة، لا تتغير ولا تتبدل.

٧- ويتخلل الحديث عن بني إسرائيل الحديث عن بناء الكعبة، ووصية إبراهيم ويعقوب الآيات من (١٢٤-١٤١)

٨- وتستفيض السورة في بناء المجتمع الجديد فتشرح أركان الإسلام الخمسة،

قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

٩- وتستفيض السورة في الحديث عن الأسرة المسلمة شارحة أحكام كثيرة في بنائها وقيامها ؛ لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامية، وهم بحاجة إلى المنهج الرباني والتشريع السماوي الذي يسيرون عليه في حياتهم، ولذا فقد تناولت السورة الأحكام الآتية بجانب أركان الإسلام: القصاص في القتل العمد، الوصية، الاعتكاف، التحذير من أكل أموال الناس بالباطل، ذكرت الأهلة وأنها جعلت ليعتمد الناس عليها في أوقات العبادة، والزراعة، وغيرها، ذكرت أحكام الحج والعمرة، ذكرت القتال وسببه، والخمر والميسر، نكاح المشركات وتقرير حق العشرة والمخالطة الزوجية والنهي عن إدخال اليمين في أمثال هذه الحقوق المقدسة، وتحدثت عن أحكام الطلاق، والعده، والخلع، والرضاع، والإنفاق في سبيل الله، والبيع، والربا، والدين، والرهن، وكان يتخلل ذلك علي طريقة القرآن الكريم ما يدعو المؤمنين إلى الالتزام بهذه الأحكام وعدم الاعتداء فيها من وعد

ووعيد وضرب أمثله من بني إسرائيل للإرشاد إلي سنن الله في الكون والجماعات.

١٠- ثم تختم السورة ببيان عقيدة المؤمنين على نحو ما بدأت في بيان أوصافهم.

ومن ثم يتناسق البدء والختام وتتجمع موضوعات السورة وأهدافها ويؤكد آخرها أولها وتصير السورة كتلة واحدة ينتفع المسلمون بها في تنظيم أحوالهم في العبادات والمعاملات والعلاقات مع الديانات الأخرى، وهي دعامة من دعائم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[1]

وكما كانت أول خاتمة آية من أسمائه تعالى الحسنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

كانت خاتمة آخر آية من أسمائه تعالى الحسنى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

حتي يعلل المولى ﷻ بقدرته على كل فعل ويؤكد ويثبت القدرة له ﷻ.

---

(١) راجع فنون الأفنان لابن القيم ص ٣٤٠، في ظلال القرآن السيد قطب ١/ ٢٨، مقدمة عن سورة البقرة د.عبد الله دراز ص ٢٨٦، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم محمد الغزالي ص ١١-٢٥- الأهداف العامة لسورة البقرة د. عبد الله شحاته ص ١٨-٢١، إيجاز البيان للصابوني ص ٩-١٠.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

أسماء متعلقة بقدرته تعالى (مجموعة القدرة)

من أسماء القدرة التي وردت في سورة البقرة اسمه تعالى: (القدير)، (العزيز).

(القدير) جل جلاله

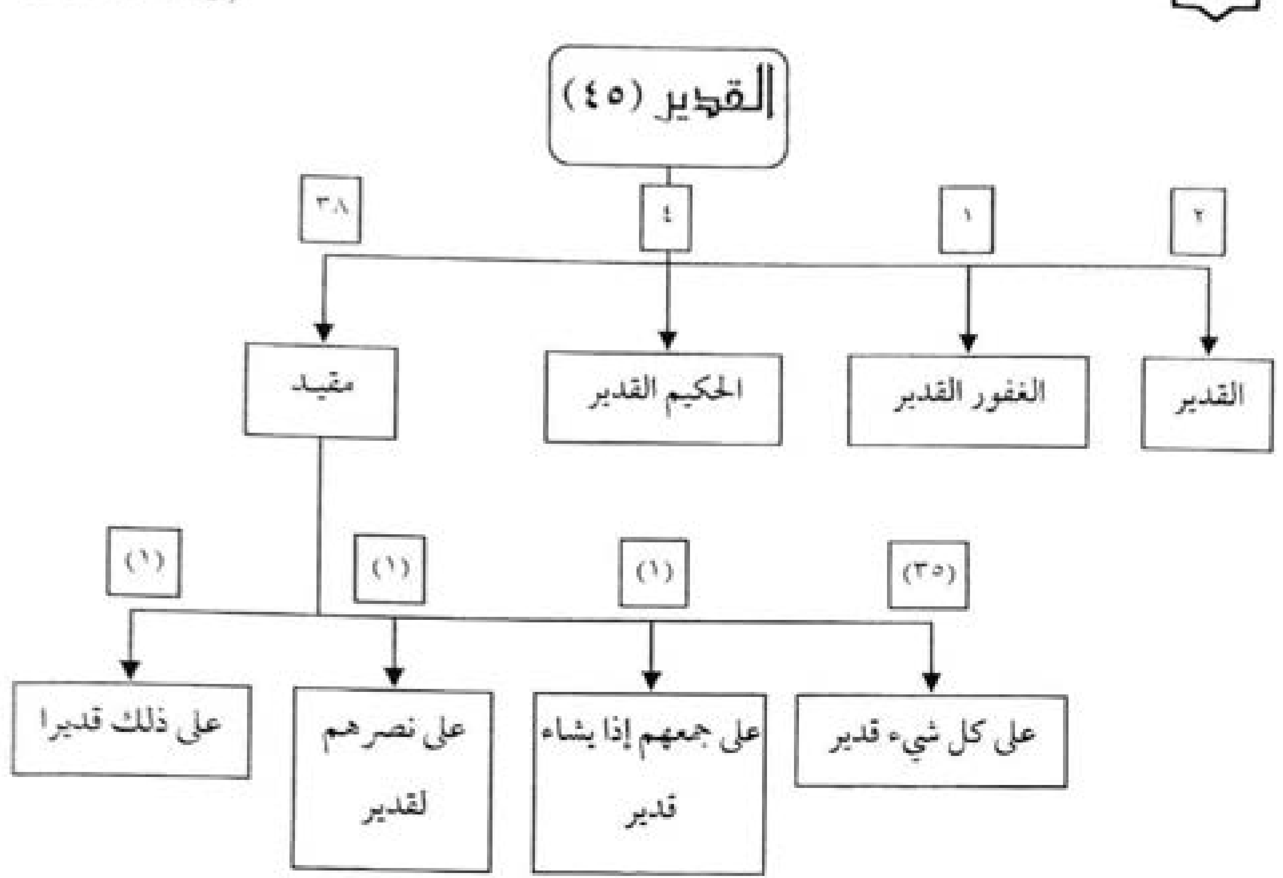
اسم من أسماء الله الحسنى لم يرد في الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم الدمشقي، والذي اشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة .

ورد اسمه تعالى (القادر) أثنتي عشرة مرة منها خمس مرات بصيغة الجمع (قادرون) .

وورد اسمه تعالى (مقتدر) أربع مرات، وهما الاسمان اللذان وردا في الحديث المشهور، أما اسمه تعالى (القدير) فقد ورد خمسًا وأربعين مرة، ورد مفردًا مرتين، وورد مقترنًا باسمه تعالى (العفو) مرة، واسمه تعالى (الحكيم) أربع مرات، وورد مقيدًا ثماني وثلاثين مرة، وورد في سورة البقرة في ست آيات[1] .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبدالباقي - دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م - ص٥٣٥.



(القدير): لغة: «قدر عليه قدره، تمكن منه، قدر الشيء، بين مقداره وفي القرآن: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، أي ما عظموه حق تعظيمه.

والقادر، والقدير، والمقتدر من صفات الله ﷻ، القادر: اسم فاعل من قدر يقدر، القدير فعيل منه، والمقتدر مفتعل من اقتدر. والقادر والقدير يكونان القدرة، ويكونان من التقدير، المقتدر يفيد معنى القادر وأكثر[1]: وهو: المستولي على كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠] من القدرة والتقدير فالله ﷻ على كل شيء قدير، والله سبحانه مقدر كل شيء وقاضيه، فالقدْر، والقدَر، والقضاء، والحكم هو ما يقدره الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى

---

(١) زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى غالبًا.

﴿لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:٣-٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١]. أي ليلة الحكم والتقدير[(١)]».

واصطلاحًا: القدرة في الإنسان هيئة يتمكن بها من الفعل والترك، والقادر اسم فاعل منها، وهو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، والقدير : هو الفعال لكل ما يشاء، وهو اسم من أسمائه تعالى، وحقيقة القدير من له قدرة، وحقيقة القدرة ما يقتدر بها المراد على حسب قصد الفاعل في الوقوع، وقدرته تعالى لا تتقيد بالأسباب .

فالقدرة إظهار الشيء من غير سبب ظاهر، والدليل على وجوب كونه تعالى :

قديرًا استحالة وصفه بالضد من جميع الوجوه، ووجود أفعاله أيضًا تدل على كمال قدرته لذلك سمى نفسه القادر، المقتدر، القدير الذي أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، وأحسن كل شيء خلقًا[(٢)].

«ذو القدرة العظيمة التامة، الذي لا يتمنع عليه شيء، المسيطر بقدرته البالغة على خلقه وعلى كل من أعطاه حظًّا من قدره، المقتدر على جميع الكائنات والمخلوقات فكلها مقهورة لله تعالى خاضعة لعظمته متفاوتة لإرادته، نواصيها بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا ينصرف منصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، والأمور تجري بقدرة الله ومقداره وتقديره، والقدر هو ما يقرره الله من القضاء،

---

(١) راجع لسان العرب ٥/ ٣٥٤٥، ٣٦٤٦، مختار الصحاح ٢١٨، المعجم الوجيز ٤٩٢.

(٢) راجع معجم مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني ص٤٠٩، ٤١٠، تفسير الكشاف للزمخشري ١/ ٨٨، تفسير أبي السعود ١/ ٧٨.

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(١)].

حظ العبد من اسمه تعالى (القدير):

«إذا عرف العبد أن الله على كل شيء قدير، فهو قد أقر بأن الله سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء، ويقر بأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأنه سبحانه مقلب القلوب حقيقة، وأنه إن شاء أن يقيم القلب أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه، ويقر بأنه استوى على عرشه بعد أن خلق السماوات والأرض، وأنه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول: من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ..، وأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها فيفصل بين عباده، وأنه يتجلى لهم يضحك، وأنه يريهم نفسه المقدسة، وأنه يضع رجله على النار فيضيق بها أهلها وينزوي بعضها إلى بعض إلى غير ذلك من شئونه وأفعاله من أقر بها أقر بأنه على كل شيء قدير»[(٢)].

«ومن عرف أنه تعالى على كل شيء قدير خشي سطوات عقوبته عند مخالفته، وأمل لطائف رحمته عند سؤاله حاجته، وكذلك من عرف أن مولاه قدير سكن عن الانتقام ثقة بأن صنع الحق له وانتصاره أتم من انتقامه لنفسه، وإذا أكثر المؤمن من ذكر هذا الاسم: علت همته، وقوى عزمه على الطاعة وترك المعاصي والصبر على المكاره، ومواجهة الشدائد بصدر رحب وقلب مطمئن، وغمره

---

(١) راجع الأسماء والصفات للإمام الحافظ أبي بكر بن السحين على البيهقي – وفاته ٤٥٨هـ – وتحقيق عبدالله بن عامر – دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٠م – ص٤١، أسماء الله الحسنى – محمد متولي الشعراوي – أخبار اليوم، قطاع الثقافة، مكتبة الشعراوي الإسلامية ٥/ ٧٧.

(٢) شفاء العليل، ص٧٦ بتصرف – لابن قيم.

شعور صادق بأن الله معه ولن يسلمه لعدو ينال منه، ويشعر المؤمنون بأنهم في حوزته تعالى ومكان عزة لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يخشون على أنفسهم الضيعة في الدنيا ولا الهلاك في الآخرة؛ لأنهم جند الله وجند الله هم الغالبون[1]».

الآيات التي ورد في ختامها اسمه تعالى القدير: قوله تعالى:

١- ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٠].

٢- ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٦].

٣- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٩].

٤- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٤٨].

٥- ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى

---

(١) راجع التحبير في التذكير للقشيري ص٦٩، شرح أسماء الله الحسنى - محمد بكر إسماعيل ص٢٨٠ - ٢٨٣.

ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩].

٦- ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤].

شرح الآيات ومناسبة الخاتمة للآية: قال تعالى:

١- ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٠].

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر المولى ﷻ حقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان، فمثل المولى ﷻ في الآيات السابقة حال المنافقين العجيبة الشأن، كحال الذي استوقد نارًا، أي شبه حيرة المنافقين وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره، بعد إيقادها في ظلمة الليل، وكذلك بمن أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق .

وفي هذه الآية تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيِّب(١)، وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون ويذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم، انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات

(١) المطر . تفسير مفردات ألفاظ القرآن - شرح للألفاظ القرآنية - منتقى من تفسير الجلالين - المكتبة القيمة.

يسيرة، فإذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة، ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فأصمهم، أو في ضوء البرق فأعماهم، كذلك حال المنافقين كلما ظهر لهم من الإيمان شيء استأنسوا به واتبعوه، وتارة تعرض لهم الشكوك فأظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين .

وخص الله تعالى السمع والأبصار لتقدم ذكرها في **قوله تعالى**: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة:١٩].

وقوله تعالى : ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة:٢٠].

ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل لكنه لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

مناسبة الخاتمة لمضمون الآية : تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى، وذكر القدرة هو المناسب لما تقدم ذكره من فعل مضمونة الوعيد والإخافة وذلك بالذهاب بالنعم حتى يخشى المنافقون بأسه وسطوته[٢] .

٢- قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦].

قال القرطبي في تفسيره[١] : «هذه أعظم آية في الأحكام وسببها أن اليهود لما حسدوا المسلمين في التوجه إلى الكعبة، وطعنوا في الإسلام بذلك، وقالوا إن محمدًا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه، فما كان هذا القرآن إلا من جهته، ولهذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تفسير آية ١٠٦ من سورة البقرة ٢/ ٤٣.

ناقض بعضه بعضًا، فأنزل الله تعالى ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً ﴾ [النحل:١٠١]، وأنزل ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ [البقرة:١٠٦] » .

والمعنى :

«إن كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من إزالة لفظها، وحكمها معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل، نأتى بأية خير منها للعباد أى بأية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك»[1] .

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

على وجه الاستفهام المتضمن للإنكار والتقرير، فالمولى ﷻ يرشد عباده على أنه المتصرف في خلقه بما شاء فله الخلق والأمر، وهو المتصرف فكما خلقهم كما يشاء، ويسعد من يشاء، ويشقي من يشاء، ويصح من يشاء، ويمرض من يشاء، ويوفق من يشاء، ويخذل من يشاء، كذلك يحكم في عباده بما يشاء فيحل ما يشاء، ويحرم ما يشاء وهو الذي يحكم لا معقب لحكمه .. هذا والخبر و إن كان خطابًا من الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجه الخبر عن عظمته تعالى، فإنه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة، وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ففي هذا المقام بيَّن ﷻ جواز النسخ ردًّا على اليهود عليهم لعنة الله .

﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾:

والالتفات بوضع الاسم الجليل – الحائز لجميع أوصاف الكمال – موضع الضمير: لتربية المهابة، والتوعد والتهديد فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من

---

(١) الكشاف للزمخشري، تفسير آية ١٠٦ من سورة البقرة ١/ ١٧٦.

أحكام الألوهية[1].

مناسبة ختم الآية ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ لمضمون الآية :

ناسب ختم الآية باسمه تعالى (القدير) فهو وحده القادر على إمداد الرسل بالآيات الموائمة لعصورهم، الكافية لإقناع المستبصرين من أقوامهم، فإن تغيير الآيات يرجع إلى مصلحة العباد، وإن الأليق بهم في الوقت المتقدم الحكم المتقدم وفي الوقت المتأخر الحكم المتأخر، وذلك من دلائل قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٠٩].

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن حذر المولى ﷻ عباده المؤمنين من سلوك طريق اليهود في سؤالهم رسولهم ما يشتهون من التعنت والاعتراض[2] وأن ذلك يصل بصاحبها إلى الكفر، بين لهم أن هؤلاء الكفار من أهل الكتاب يريدون للمؤمنين الردة عن إيمانهم إلى الكفر، ويعلمهم بعداوتهم لهم في الظاهر والباطن، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بأن الإيمان حق وصواب، ويأمر عباده أن يسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة وعلق

---

(١) راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير تفسير آية ١٠٦ من سورة البقرة ٢/ ٤٣-٤٨، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢١٦ وجامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ١/ ٤٧١-٤٨٤ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ١٨٠.

(٢) كما قالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [البقرة:٥٥].

ذلك على غاية، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٠٩] الذي هو قتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير، وإذلالهم بفرض الجزية عليهم أو الإذن في القتال، وغير ذلك مما أتى من أحكام الشرع فيهم وترك العفو والصفح.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فينتقم منهم إذا حان حينه وآن أوانه، ويسلط العذاب على أعدائه انتقامًا وترهيبًا، لذا ناسب ختم الآية باسمه تعالى (القدير) لتكون جملة الخاتمة بمثابة تعليل لما دل عليه ما قبله، وليدل على أن هذا العفو والصفح ليس عن ضعف ولكن عن قدره وقوة، وفيه إشعار بالانتقام من الكفار ووعد للمؤمنين بالنصر و التمكين[1].

قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين المولى ﷻ أن أحدًا من أهل الكتاب لا يتبع قبلة الآخر، وتضمن ذلك أن لكل منهم قبلة، وقرر أن ذلك منهم على وجه العناد، أثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه أعم منه وسبب عنه النتيجة، فقال:

لكل أهل دين وملة وجهة يتوجه إليها في عبادته، فبادروا أيها المسلمون إلى ما أمركم الله ﷻ به من استقبال البيت الحرام، وإلى فعل الخيرات، والعمل الصالح، فالسابقون أعلى الخلق درجة قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠-١١].

---

(١) راجع تفسير سورة البقرة في كل من جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، ١/ ٥٠٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٥٣، أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٥٠، تفسير أبي السعود ١/ ١٨٣.

والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد وأذكار وغيرها من الأعمال الصالحة .

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ [البقرة:١٤٨]. في أي بقعة و مكان تهلكون فيه يبعثكم الله ويحشركم للثواب والعقاب فأنتم لا تعجزونه، ثم يوفي المحسن جزاءه بإحسانه، والمسيء عقابه بإساءته، أو يتفضل فيصفح[(١)] .

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٤٨] ناسب ختم الآية باسم تعالى (القدير) لأن من دلائل قدرته تعالى إحياء الموتى فيكون المعنى :

إتيان الله بكم جميعا لقدرته على ذلك فهي علة لما قبلها تتضمن وعظًا وتحذيرًا وإظهارًا لقدرته تعالى .

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩].

مناسبة الآية لما قبلها :

هذه الآية والآية السابقة عليها ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ

---

(١) راجع: تفسير سورة البقرة آية ١٤٨ في كل من جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ٢/ ١٩٢، ١٩٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١١١ – ١١٣، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٧١، إرشاد الفعل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ١/ ٢٧.

ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٩].

والآية التالية لها ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة:٢٦٠].

تتناول موضوعًا واحدًا في جملته سر الحياة والموت أو حقيقة الحياة والموت لكونها أعظم الآيات الدالة على قدرة الله ﷻ وأخصها.

ففي هذه الآية يذكر المولى ﷻ عجب نبيه ﷺ من الرجل الذي مر على قرية قد باد أهلها، وفني سكانها، وسقطت حيطانها على سقوفها فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفره، فقال مستبعدًا ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾ كيف تدب الحياة في هذا الموت ؟

فأراد المولى ﷻ أن يريه في نفسه وفي إحياء القرية آية ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا﴾، وذلك بحسب النائم فإنه لا يشعر بالزمن.

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾

أي لم يتغير ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ أي انظر إلى إحيائنا حمارك، وإلى عظامه كيف نضم بعضها إلى بعض ثم نكسوها باللحم ثم نعيد فيها الحياة، ولنجعلك حجة على من جهل قدرتي وشك في عظمتي.

وكانت الآية إحياء للموتى على مرأى من الرجل الذي لم يمسه البلى ولم يصب طعامه ولا شرابه التغيير، ليكون هذا التباين في المصائر والجميع في مكان

واحد معرضون لمؤثرات جوية وبيئية واحدة، آية أخرى على القدرة التي لا يعجزها شيء، والتي تتصرف مطلقة من كل قيد، وليدرك الرجل كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها .

ولما اتضح له عيانًا ما كان مستنكرًا أو مستبعدا من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك قال الآن بعد المعاينة والبيان :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: وقد ناسب ختم الآية باسمه تعالى القدير لأن من أبرز دلائل قدرته تعالى بعث الموتى، وإعادة الحياة إلى من فارقتهم الحياة، فالمولى ﷻ قادر على كل شيء، فعال لما يريد لا تتعلق قدرته بالأسباب الظاهرة، والمقومات المنظورة، ولا يستعصي عليه أمر من الأمور .

وهذه الآية أقوى دليل على البعث إذ وقعت الإماتة والإحياء في دار الدنيا مشاهدة[1] .

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

مناسبة الآية لما قبلها :

جاءت هذه الآية لتكون بمثابة تعقيب على التشريع المدني البحت بهذا التوجيه الوجداني البحت، فالمولى ﷻ ضمن هذه السورة علم الأصول والفروع من : دلائل

(١)راجع تفسير آية ١٥٩ من سورة البقرة في كل من:
جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٥/ ٤٤٧/ ٤٨١- نظم الدرر ١/ ٥٠٦، تفسير أبي السعود ١/ ٣٠٣- في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣٠٠-٣٠١.

التوحيد والنبوة، والمعاد، والصلاة والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج، والجهاد، والحيض، والطلاق، والعدة، والخلع، والإيلاء، والرضاعة، والربا، والبيع، وكيفية المداينة، فناسب تكليفه إيانا بهذه الشرائع أن يذكر أنه تعالى مالك لما في السماوات وما في الأرض، فهو يلزم من يشاء من مملوكاته بما شاء من تعبداته و تكليفاته، فربط بين التشريعات للحياة وخالق الحياة بذلك الرباط الوثيق فيضيف إلى ضمانات التشريعات القانونية ضمانات القلب الوجدانية .

المعنى: لله ملك وتدبير ما في السماوات وما في الأرض، وخص السماوات والأرض؛ لأنها أعظم ما يرى من المخلوقات، وقدم السماوات لعظمها، وجاء بلفظ (ما) تغليبًا لما لا يعقل على ما يعقل، أو للعموم.

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾: الحالتين من الإبداء والإخفاء بالنسبة إليه تعالى سواء، وقدم الإبداء على الإخفاء ؛ لأنه ذكر هنا المحاسبة والأصل فيها الأعمال البادية، وأما العلم فتعلق بها كتعلقه بالأعمال الخافية، فيغفر بفضله لمن يشاء، ويعذب بعدله من يشاء، أي يعذبه بحسب ما تقتضي مشيئته المبنية على الحكم والمصالح، وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه .

ذكر مسلم في صحيحه: «لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما اقترأها القوم زلت بها ألسنتهم. فأنزل الله في أثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة:٢٨٦][1].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية خاصة بأمر الشهادة ؛ لأنه لما ذكر تعالى أن من كتم الشهادة فإن قلبه آثم. ذكر ما انطوى عليه الضمير، كتمه أو أبداه فإن الله يحاسبه ففيه وعيد وتهديد لمن كتم الشهادة .

وهذا ضعيف لأن اللفظ عام وإن كان واردًا عقب تلك القصة لا يلزم قصره عليها .

وقال الأكثرون هي عامة كما فهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -رضوان الله عليهم -، ولكنهم اختلفوا في النسخ: فريق يرى أنها منسوخة لدلالة الحديث على ذلك وفريق يرى أنها عامة محكمة فيما وسع العبد وتحت كسبه، وأن الخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع بل هي أمر غالب وليست في الكسب[2] .

والراجح :

أن جزء الآية ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم من صحيحه كتاب الإيمان باب بيان أنه سبحانه وتعالى لا يكلف إلا ما يطاق ١٩٩/١٢٥، ٢٠٠/١٢٦، صحيح مسلم بشرح النووي ١/٢/١٤٦، أسباب النزول للواحدي ص٩٦.

(٢) راجع تفسير آية ٢٨٤ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣/ ١٥٠-١٦٠ مفاتيح الغيب للفخر الرازي – المجلد الرابع (٧/ ٨ص١١٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٣٧ -٢٣٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢٧١، نظم الدرر ١/ ٥٢٢، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣٣٨.

منسوخ لأسباب :

١- دلالة الآية على ذلك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦].

٢- دلالة الحديث صراحة على ذلك (.. فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى)[١]

٣- دلالة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به نفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا»[٢].

٤- دلالة حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قال الله ﷻ إذا هَمَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشرًا»[٣].

وباقي الآية محكمة – والله أعلم .

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : ختم مقرر لمضمون ما قبله، فإن ملكه تعالى للسماوات والأرض، ومطلق المحاسبة المتفرع عن مطلق علمه تعالى بالأشياء وأحوال العباد من دلائل قدرته ﷻ .

واسمه تعالى (القدير) في هذا الموضع يدل على أنه تعالى القدير المقتدر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وفيه أيضًا غاية الوعد للمطيعين ومنتهى

---

(١) الحديث السابق ص ٢٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان ٥٨ باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر والقلب إذا لم تستقر، وبيان أنه سبحانه لم يكلف إلا ما يطاق وبيان حكم الهم بالحسنة والسيئة ٢٠١/ ١٢٧، ٢٢٠/ ١٢٧ صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ١٤٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ٥٨ باب تجاوز الله عن حديث النفس... حديث (٢٢٠/ ١٢٧) صحيح مسلم النووي ٢/ ١٤٧.

الوعيد للعاصين .

نظرة عامة على الآيات:

بإلقاء نظرة شاملة على خواتم الآيات وبيان اتساقها، وتناسبها مع معاني الآيات يلاحظ ما يلي :

١- أول آية في سورة البقرة ختمت باسم من أسمائه تعالى الحسنى كان اسمه تعالى (القدير) و ربط المولى ﷻ فيها مشيئته على الذهاب بالنعم بقدرته .

كذلك آخر آية في سورة البقرة ختمت باسم من أسمائه تعالى الحسنى كان اسمه (القدير) وربط المولى ﷻ فيها مطلق ملكه، ومحاسبته، ومشيئته بقدرته تعالى للإعلام بأن تعلق مشيئته تتصل به تعلق قدرته، فما شاء كان قطعًا لأنه سبحانه لا يعجزه شيء، وتأثير الأسباب في مسبباتها ترجع إلى مشيئته ﷻ أولاً وآخرا .

٢- بملاحظة خواتم الآيات الست نجد أنها جاءت جملة اسمية، وهي تأخذ سمة الاستقلالية، بمعنى أنها تأتي بعد تمام المعنى الرئيسي في الآية فتكون بمثابة التعليل والتوكيد[1] في نفس الوقت فهي تربط القدرة بالمشيئة، أو تعلل للفعل بقدرته تعالى على كل فعل وتؤكد وتثبت القدرة لله تعالى، «وفي هذا ترغيب ووعيد للمخالفين، ووعد اطمئنان للمتقين فيثقون في صنيع الحق وانتصاره لهم فتعلو همتهم، ويقوى عزمهم على الطاعة وترك المعاصي، والصبر على المكاره، ومواجهة الشدائد .

٣- ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: سلب المولى ﷻ بهذه الآية القدرة على جميع

---

(١) التوكيد يرد الشك والإنكار من المخاطب – ويدل على تقرير المعنى عند المتكلم – وعلى تعليق النفس بمضمون الخبر – وعلى مواجهة تطلعات النفس وحسم آمالها – التصوير الفني للقرآن – سيد قطب ص٥٩.

الخلق، وجاء بالواو المستأنفة، وتقديم المتعلق دلالة على العموم، وإضافتها إلى نكرة جعلها أعم المقولات فسلب بها القدرة»[(١)].

٤- بالنظر إلى حرف الروي في الآية وهو حرف الراء نجده مع ما سبقه وما لحقه من حروف الروي في علاقة تقارب (متقاربين).

٥- دلائل قدرته تعالى:

وقد أقام المولى ﷻ أدلة قدرته، وبراهين اقتداره في كل جانب من جوانب الحياة، وقد ملأ القرآن الكريم بالآيات الناطقة بالقدرة الشاهدة بالاقتدار ليعلم الناس أن القادر هو الإله الحق الجدير بأن يعبده العابدون ويسأله السائلون.

فمن دلائل قدرته تعالى[(٢)]:

١- خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم:٥٤].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف:٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤].

---

(١) راجع نظم الدرر للبقاعي ١/ ٥٥٢، وشرح أسماء الله الحسنى د. محمد بكر إسماعيل ص٢٨٣.

(٢) الفكرة من كتاب الأسماء الحسنى الشيخ أبو الوفاء محمد درويش ص٣٠٦.

٢- الملك من دلائل قدرة الله تعالى :

له ﷻ ملك السماوات والأرض وما فيهن، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩].

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:١].

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] .

ملحوظـة : أولاً :

- بتتبع الآيات التي ذكر فيها (الملك) صراحة وختمت باسم من أسمائه تعالى الحسنى وجدت أنها ختمت باسمه تعالى (القدير) عدا ثلاث آيات :
- ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].
- ختمت باسمه تعالى القهار وهو أيضا من مجموعة القدرة .
- الآية في سورة الفتح قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح:١٤].

ختمت باسمه تعالى (غفور) (رحيم) فالمولى ﷻ ذو مغفرة واسعة، ووسعت

رحمته كل شيء، وسبقت رحمته غضبه وفي هذه الآية ذكر الملك والمغفرة وعذاب ؛ لذا كان الاختيار الأنسب هو ما ختمت به السورة (غفورا رحيما) فالمالك هو القادر على المغفرة .

● **الآية في سورة البروج قوله تعالى :**

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [البروج:٩].

جاءت الخاتمة مناسبة لموضوع السورة، فالسورة تتكلم عن أصحاب البروج والشهادة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:١:٣].

ثانيـًا :

١- إذا جاءت الآيات تقريرًا لملكه تعالى دون ذكر (ملك) صراحة نحو قوله تعالى ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ فإذا كانت الآية مقصورة على ذكر هذه الحقيقة انتهت باسم من أسماء العظمة ؛ نحو قوله تعالى :

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج:٦٤].

﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [لقمان:٢٦].

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى:٤].

٢- أما إذا ذكر مع تقرير هذه الحقيقة مغفرة وعذاب سبق اسمه تعالى (الغفور الرحيم) لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤].

نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٢٩].

أما إذا ذكر مع تقرير هذه الحقيقة علم ومحاسبة جاء اسمه تعالى القدير، نحو قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤] .

وإذا ذكر مع تقرير هذه الحقيقة موضوعات أخرى لابد من أخذ هذه الموضوعات في الاعتبار لسهولة الوصول إلى الاسم الذي انتهت به الآية، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور:٦٤].

الآية اشتملت على علم، وإخبار بعلم لذا اقتضت اسمه تعالى (العليم) .

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٣٢].

فكلمة كفى مع تقرير الملك، تدل على اسمه تعالى (الوكيل)، إذا كان الملك كله لله فيكفينا ذلك أن نتخذه وكيلا .

٣- إمداده تعالى الرسل بالآيات الموائمة لعصورهم :

قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٦] .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٣٧].

فالمعجزات من دلائل قدرته تعالى وليس للأنبياء والمرسلين قدرة على الإتيان بشيء منها دق أو جل، عظم أو صغر .

٤- إحياء (بعث) الموتى من دلائل قدرته ﷻ :

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق:٨].

قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم:٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحج:٥-٦].

٥- من دلائل قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبة والمنافقين والكفار الظالمين من أنوع العقوبات والتي منها الذهاب بالنعم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١٨].

وقال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٣٣].

لو شاء المولى ﷻ لذهب بالنعم التي أنعمها على عباده بل لو شاء أن يفنيهم لفعل ولا يملك مخلوق شيئا من هذه القدرة المطلقة.

٦- ومن دلائل قدرته تعالى «تسليط العذاب انتقاما وترهيبا».

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ﴾ [الأنعام:٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون:٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

ذلك فعل القادر الحكيم الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض وهو على كل شيء قدير.

٧- من دلائل قدرته مطلق علمه:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٩].

٨- وقد تجمع الآية الواحدة أكثر من دليل من دلائل قدرته تعالى:

أ- فقد تجمع بين خلق السماوات والأرض وإحياء الموتى.

كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٢٩].

ب- أو تجمع بين الملك والخلق.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧].

ج- أو تجمع بين الملك وإحياء الموتى:

قوله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد:٢].

د- أو تجمع بين الملك والعلم (المحاسبة تقتضي علمًا).

قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

فالمحاسبة لا تكون إلا عن علم.

هذه بعض دلائل قدرته تعالى التي يدل عليها اسمه تعالى (القدير)

ومن خلال هذه الدلائل يمكن تقسيم آيات سورة البقرة كالآتي:

آيات سورة البقرة التي ختمت باسم (القدير) مقسمة تبعًا لدلائل القدرة:

١- الذهاب بالنعم من دلائل قدرته تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

٢- إمداد الرسل بالآيات الموائمة لعصورهم من دلائل قدرته تعالى:

قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦].

٣- تسليط العذاب انتقامًا وترهيبًا من دلائل قدرته تعالى:

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩].

٤- بعث الموتى من دلائل قدرته تعالى:

قال تعالى :

أ- ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٤٨] .

ب- ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩] .

٥- الملك والعلم من دلائل قدرة الله تعالى :

قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٨٤].

فالمحاسبة لا تكون إلا عن علم .

(العزيز) جل جلاله

اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، فهو العزيز المطلق الذي ذل لعزته كل عزيز وخضعت له الرقاب خوفًا وطمعًا.

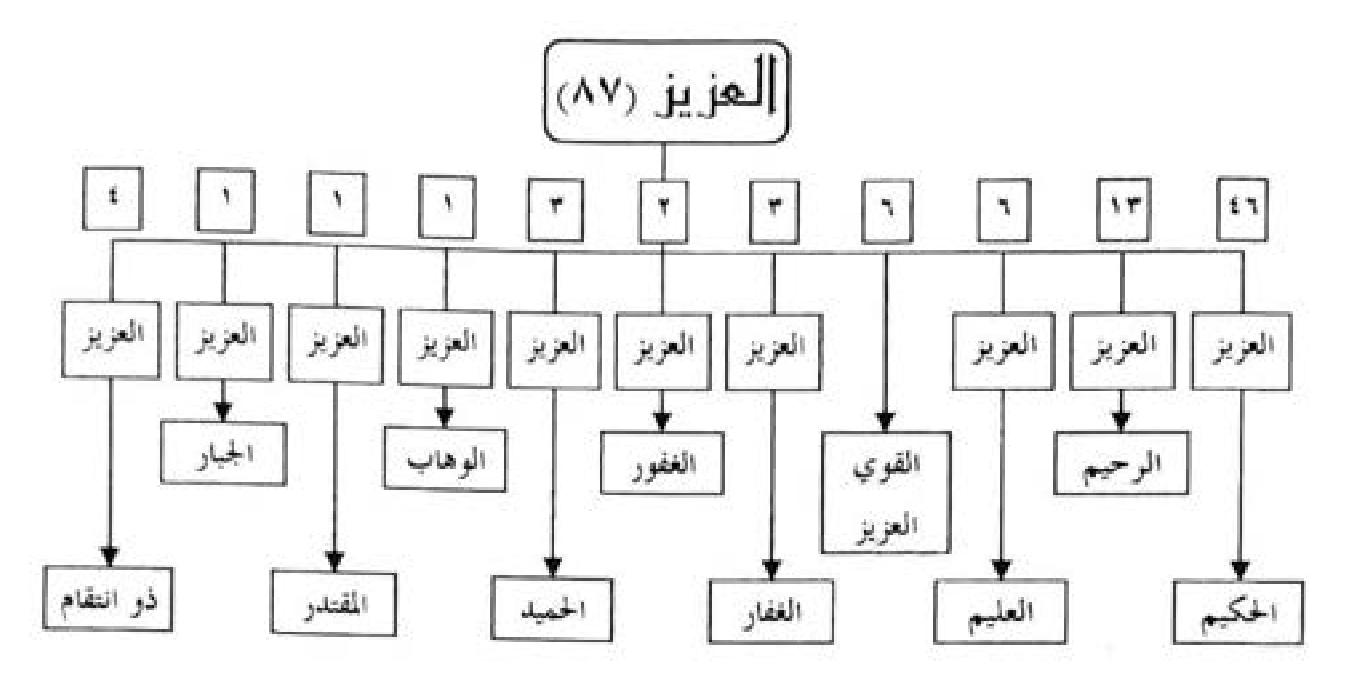
ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم سبعاً وثمانين مرة، ولم يرد هذا الاسم مفردًا إلا إذا كان مقصودا به غير الله تعالى، كما جاء في قوله تعالى على لسانِ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ [يوسف:٧٨].

وورد مقترنا باسم غيره، فقد ورد مقترنًا باسمه تعالى (الحكيم) ستا وأربعين مرة أي أكثر من نصف عدد مرات وروده في القرآن الكريم، وورود في سورة البقرة (العزيز الحكيم) في ست آيات .

وورد مقترنًا باسمه تعالى (الرحيم) ثلاث عشرة مرة، وباسمه تعالى (العليم) ست مرات، و(القوي) ست مرات، و(الغفار) ثلاث مرات، (الغفور) مرتين، و(الحميد) ثلاث مرات، و(الوهاب) مرة، و(المقتدر) مرة، و(جبار) مرة، واقترن بـ(ذو انتقام) أربع مرات[1]. فعزته تعالى في حكمة، ورحمة، وعلم، وقوة، ومغفرة، سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٥٩، ٤٦٠.



ولم يأت فاصلة إلا ست مرات مقترنًا مع اسمه تعالى القوي (القوي العزيز)

(العزيز) لغة: العز ضد الذل، والعز في الأصل : القوة، والشدة، والغلبة .

عزيز: قوي، وفي التنزيل ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس:١٤]: قوينا بثالث، وقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص:٢٣]: غلبني .

والعز والقوة : الرفعة والامتناع، وهي حالة مانعة للإنسان أن يغلب .

وأرض عزيزة : أي صلبة، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت:٤١] يصعب مناله ووجود مثله، والعزيز هو: الذي يقهر ولا يقهر قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦] والعزة قد يمدح بها تارة كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] وقد يذم بها تارة كقوله تعالى: ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص:٢] .

ووجه ذلك أن العزة التي هي لله وللرسول هي الباقية وللمؤمنين كذلك فهي

العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزيز، وهو في الحقيقة ذل، لأنه تشبع من الإنسان بما لم يعط .

وقد تأتي العزة بمعنى نفاسة القدر(١) .

العزيز اصطلاحًا :

العزيز يضم في ثناياه العديد من الصفات كالقوة، والغلبة، والقدرة على كل شيء والقيومية، فهو تعالى : الغالب الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يقهر والقوي الممتنع الذي لا مثيل له(٢) .

«يقال عز الطعام في البلد إذا قل وجود مثله، فإذا كان الذي يقل وجوده عزيزًا فالذي لا مثيل له أولى أن يكون عزيزًا .

ويقال: حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه، فإذا قيل لما يتعذر الوصول إليه مع جوازه عزيزًا، فالذي يستحيل الوصول إليه أولى أن يكون عزيزًا إذ لا حد له .

والعزة إن كانت بمعنى الشدة وهي القوة فمعناها يرجع إلى صفة القدرة، وكذلك إذا كانت بمعنى نفاسة القدر فإنها ترجع إلى استحقاق الذات تلك العزة»(٣) .

حظ العبد من أسمه تعالى (العزيز) :

من عرف أن الله عزيز فلا ينبغي له أن يذل لمخلوق مهما تكن الظروف

---

(١) راجع لسان العرب ٤/ ٢٩٢٥ – مختار الصحاح ١٨١. المعجم الوجيز ٤١٧، معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ٣٤٤.

(٢) راجع الأسماء والصفات للبيهقي ٤٧– ١٥٦، سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد للإمام محمد ابن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢م – القاهرة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد ١/ ٦٠٥.

(٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص٧٣.

والأحوال، أو تنزل به الأهوال، بل عليه أن يصون عزة الإيمان أن تلحقها ذلة، ويربأ بها ان تمسها مهانة، وخليق بالمؤمن الذي يحترم دينه ونفسه أن لا يظهر الذلة والضراعة لغير ربه العزيز الجبار المتكبر، ولكن المسلمين بعد أن فرطوا في جنب الله، وقصروا في دينهم أخذوا يظهرون الذلة والضراعة للأحياء والأموات .

وإنك لتشعر بالألم يحز في نفسك، والحسرة تعتلج في قلبك حين ترى حال المسلمين اليوم بين الأمم .

والمتدبر لقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥] .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١].

يعلم علم اليقين أن العزة لله وحده وأن الإخلاص لله تعالى وإفراده بالعبادة والضراعة سبب للاستخلاف في الأرض وتمكين الدين، وتبديل الأمن بعد الخوف، والتمتع بنعمة الحرية والاستقلال، والعزة التي قال عنها المولى ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨] .

هي خصوصية لله تعالى، وخصوصية لرسوله الكريم، وخصوصية للمؤمنين، ومن خصائص التكريم الحقيقي للبشر لتتربى الأجيال المسلمة عليها لكي لا يعرفوا القهر ولا يساءوا بالمذلة، وتضفي روح العقيدة على المسلم يتمشى على الأرض بخطى ثابتة ورأسه وقلبه مشدودان إلى رب العالمين .

فما أحوجنا في هذا العصر خاصة وكل عصر أن نتفهم معناها لتوضع ضمن

إطارنا الأخلاقي نستمد منها القوة والصلابة في الحق، والنأي عن الذل والهوان، وأبعاد شبح الضعف والاستكانة[١].

ويجب أن يكون راسخًا في الأذهان أن العزة ليست تكبرًا ولا تفاخرًا لا هي حمية جاهلية تهضم الحقوق، وتظلم الإنسان، وإنما هي تعني الحفاظ على الكرامة الإنسانية وصيانة ما يجب أن يصان.

وإن العزة لا تتعارض مع الرحمة، ولا تبعد عن منطق العدل بل تجعل من التواضع مرتكزًا أساسيًا لفهمها؛ لأنه من تواضع لله رفعه وأعزه.

والعز يبني المجد، ويؤثر الهلكة على الذل والانقياد لأهواء الباطل، فإن من يرتضون الذلة والحقارة بديلاً للعزة والطهارة، هم قوم هانت عليهم نفوسهم، وضاعت منهم عقائدهم التي تسعى دائمًا لوضع الإنسان في موضع التكريم.

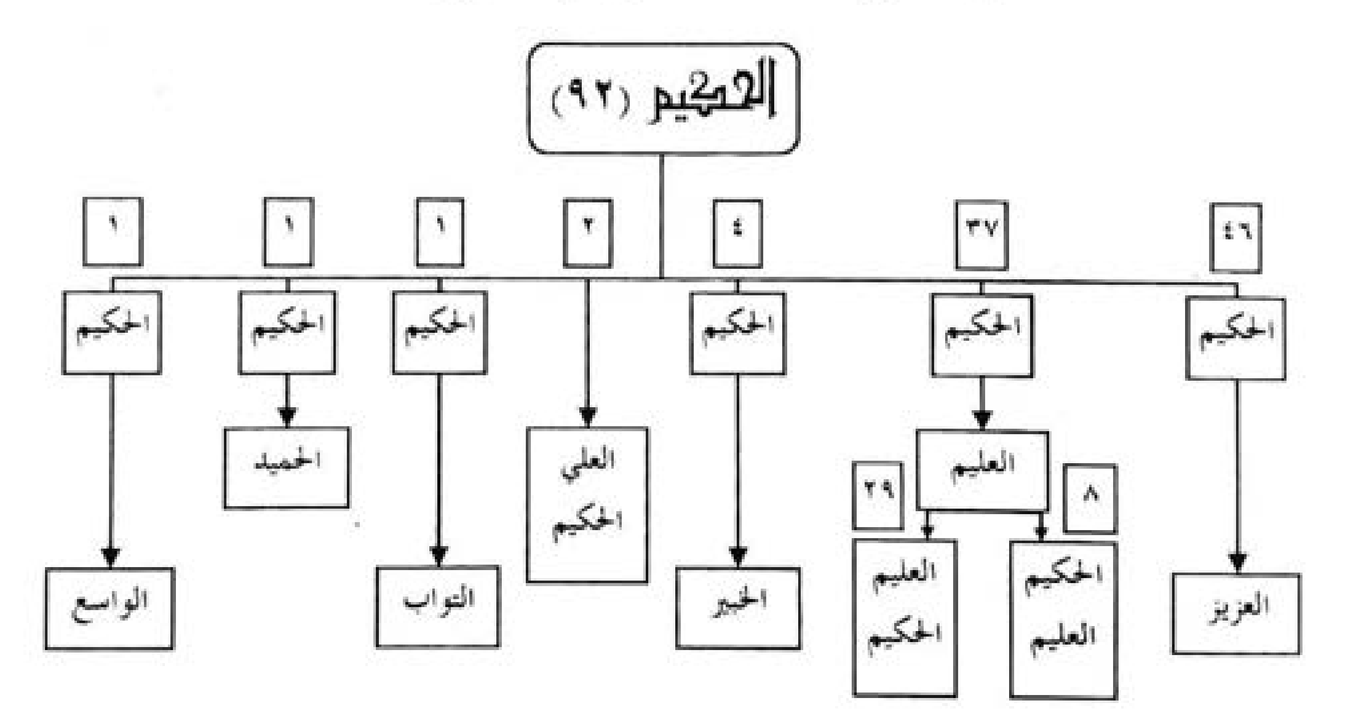
وما يحدث من المسلمين اليوم من الصراع الدائر بين مسلمي لبنان والصهاينة خاصة من بيدهم الأمر، لا يخفى ما فيه من ذلة وهوان وبعد عن العزة التي جعلها المولى ﷻ خالصة له، وخالصة لرسوله، وخالصة للمؤمنين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) راجع الأسماء الحسنى - الشيخ محمد أبو الوفاء درويش ٥-٥١، وأسماء الله الحسنى د. حمزة النشرتي - الشيخ عبدالحفيظ فرغلي - الشيخ عبدالحميد مصطفى موسوعة القصص القرآني المكتبة القيمة ص١٢٥.

(الحكيم) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة، ولم يرد مفرداً بل ورد مقترنًا باسم غيره، فقد ورد مقترنًا باسمه تعالى (العزيز) في ستة وأربعين موضعًا، ولاسمه تعالى (العليم) في سبعة وثلاثين موضعًا، ثمانية منه متقدمًا عليه (الحكيم العليم) وفي تسعة وعشرين موضعاً فاصلة (العليم الحكيم)، ومقترنًا باسمه تعالى (الخبير) في أربعة مواضع، و(العلي) في موضع واحد، و (التواب) في موضع واحد، و(الحميد) في موضع واحد، و(واسع) في موضع واحد[1].



أي أن المولى ﷻ وصف نفسه الشريفة بأنه (عزيز حكيم)، (عليم حكيم)، (حكيم خبير)، (علي حكيم)، (تواب حكيم)، (حكيم حميد)، (واسع حكيم).

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٢١٤، ٢١٥.

الحكيم: لغة:

حكم: أصله المنع لإصلاح، وقد سميت لجام الفرس حكمة، وهي الحديدة التي تكون في فم الفرس لأنها تمنعه من الجري الشديد.

ولهذا قيل للحاكم بين الناس حاكم لأنه يمنع الظالم من ظلم المظلوم.

الحكم: العلم والفقه والقضاء، وهو مصدر حكم يحكم.

الحكمة: العلم والفقه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

وهي إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها علي غاية الأحكام.

ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات.

وإذا وصف به القرآن فلتضمنه الحكمة لأنه حاكم بين الناس وعليهم، ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب.

الحكيم: العالم وصاحب الحكمة المتقن للأمور.

ومن أسمائه تعالى (الحكيم) وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها[1].

الحكيم: اصطلاحًا:

الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ولما كان أفضل العلوم علي الإطلاق هو علمه سبحانه الأزلي الدائم المطابق لحقيقة الأشياء، والذي لا يتطرق إليه شبهة ولا خفاء كان سبحانه الحكيم الحق ذا الحكمة المطلقة، كما يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم، وكمال ذلك أيضًا ليس إلا لله تعالى، فهو الحكيم الحق الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب وهو المحكم لخلق الأشياء، وإنما يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، وليس أقل من دلالة السماوات والأرض والجبال والبحار علي علم الصانع

---

(١) راجع: لسان العرب ٢/٩٥١- مختار الصحاح ٦٢- المعجم الوجيز ١٦٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن ١٢٦.

وقدرته قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:٧] .

وحقيقة الحكمة في أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقوعها موافقة لعلمه وإرادته؛ لأن من فعل فعلاً لا يقع على موافقته وإرادته يقال إنه لم يرتبه على حكمة منه فيه فإذا حصل مراده فيه يقال إنه حكيم في فعله، كما لا يمكن أن يقال في شيء من أفعاله إنه كان ينبغي أن يوقعه علي خلاف ما أوقعه ؛ لأنه يتصرف في ملكه، ومن تصرف في ملكه لم يتقرر عليه الاعتراض في فعله، ومن تصرف في ملكه يستحل عليه الظلم في وصفه.

لذلك فالحكيم هو الذي يكون مصيبًا في التقدير ومحسنًا في التدبير ليس له أغراض وليس على فعله اعتراض، لطيفًا في التقدير، خبيرًا بحقائق الأمور يضع كل شيء في موضعه، والمولى ﷻ هو الحكيم علي الإطلاق، فهو تعالى قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصي كل شيء عددًا، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، ودبر شئون ملكه تدبيرًا لا يعتريه خلل ولا تفاوت، وحكم بين عباده بالعدل المطلق، وهو يقول الحق ويهدي السبيل.. ويقضي قضاء لا يقبل الرد ولا التعقيب، وهو الذي يعلم من يشاء من عباده الحكمة وحسن المنطق وإحكام التدبير والتقدير وغرس الصواب في الأقوال والأفعال.

فالحكيم المطلق هو الله وحده لا شريك له[1].

حظ العبد من اسمه تعالى (الحكيم):

لما كانت الحكمة هي جماع الفضائل كلها، وأعظم ما يؤتاه المرء بعد الإيمان، لذا كانت هي ضالة المؤمن وبغيته، وقد امتن الله تعالى على من يؤتيه الحكمة فقال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٦٩].

كما وصف سبحانه القرآن بـ (الحكيم) لما فيه من الآيات والذكر الحكيم قال

---

(١) راجع الأسماء والصفات للبيهقي ٣٤، شرح أسماء الله الحسنى للقشيري ص٢٣٣ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية للاسفراييني ص ١٠٣، المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي، ص١٢٠، لوامع البينات للرازي ص ٢٧١.

تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس:١-٢].

أرسل رسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلتو علي المؤمنين آيات ربهم، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وأمره أن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

فإذا تدبر العبد هذه الآيات علم أن الحكمة هبة من الله تعالى يختص بها من يخاف مقام ربه إذا صمت فكر وإذا نطق قال خيرًا وصوابًا، ولكي يكون العبد كذلك ينبغي أن يتسلح بالعلم فإن العلم يدعو للإيمان، والإيمان بغير علم لا يكون صحيحاً، إذ كيف يؤمن العبد بربه وهو لا يعرف ما يليق بذاته وما لا يليق، ومن لا يعرف ذلك فكيف يقال إنه حكيم أو ذو حكمة وهو لا يعرف أجل الأشياء وأفضلها.

لذا كانت الحكمة في حق العبد هي الصواب في القول والفعل بقدر الطاقة البشرية، والعمل بأوامر الله سبحانه والبعد عن نواهيه، مجتهداً في العبادات بعيدًا عن مواطن الشبهات، وهذا كله لابد أن يكون أساسه العلم.

وإذا كان المولي ﷻ قد من علينا برسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمنا الحكمة فعلينا أن نتأدب بآداب هذا الرسول الكريم ونتخلق بأخلاقه، ونتأسى بهديه ونتمسك بسنته[(١)].

وعلي المؤمن أيضًا أن يأخذ من دنياه لآخرته، ومن صحته لمرضه، ومن شبيبته لشيبته، ومن قوته لضعفه، ومن يفعل ذلك فقد أصبح حكيمًا حقًا.

---

(١) راجع مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٤٩٨، موسوعة الأسماء الحسني للشرباص ١/ ٢٥٤، أسماء الله الحسنى وآثارها د. محمد بكر إسماعيل ١٨٦.

الآيات التي ختمت باسمه تعالى: (العزيز الحكيم)

١) ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩].

٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٠٨-٢٠٩].

٣) ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٠].

٤) ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

٥) ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٤٠] .

٦) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما دعا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ربهما بالأمن لمكة، وبالرزق لأهلها، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة، وأن يريهم جميعًا مناسكهم، ويبين لهم عباداتهم وأن يتوب عليهم لأنه هو التواب الرحيم.

دعا في هذه الآية ألا يتركهم بلا هداية في أجيالهم البعيدة، فختم الدعاء لهم بما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة فكانت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فشمل دعاؤهم الأمن والخصب والهداية.

الآيـــة:

يقول تعالى إخبارًا عن تمام دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وابعث في الأمة المسلمة رسولاً من أنفسهم ليكون أرفق بهم، وأشفق عليهم، ويكونوا هم أعز به، وأشرف، وأجدر باتباعه، والترامي في نصرته، لأنهم يعرفون منشأه، وصدقه، وأمانته، ذلك الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب إلى مكة ومن حولها غيره فهو دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾: يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل وحدانيتك، وصدق أنبيائك، ويذكرهم بها، ويدعوهم إليها، ويحملهم على الإيمان بها.

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: المراد أنه يأمرهم بتلاوة الكتاب، ويعلمهم معانيه وحقائقه، وذلك لأن التلاوه مطلوبة لوجوه منها: بقاء لفظها على الألسن فيبقي مصوناً عن التحريف والتصحيف، ومنها أن يكون لفظه ونظمه مؤثرًا فيمن يسمعه فهو معجز، وكون تلاوته في الصلوات، وسائر العبادات نوع عباده وطاعة، إلا

أن الحكمة العظمى، والمقصود الأشرف تعليم ما فيه من الدلائل والأحكام، وكان ترتيب التعليم بعد التلاوة؛ لأن أول ما يقرع السمع هو التلاوة، والتلفظ بالقرآن ثم بعد ذلك نتعلم معانيه، وأحكامه، ونتدبر مدلوله.

وأسند التعليم إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه هو الذي يلقي الكلام إلى المتعلم، وهو الذي يفهمه، ويتلطف في إيصال المعاني إلى فهمه ويتسبب في ذلك.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: أي ويعلمهم الحكمة وهي: الشريعة، وبيان الأحكام، والسنة، والفهم في الدين والإصابة في القول، والعلم المؤدي إلى العمل الموصل إلى خشية الله تعالى، أي هي كل أمر يشرعه لهم يحفظهم في صراطي معاشهم ومعادهم من الزيغ المؤدي إلى الضلال الموجب للهلاك.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يطهرهم من الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وسائر الأرجاس لقوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

أي يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة فترتقي بصفائها، ولطفها ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن ترتد على أدبارها، وتحرف كتابها كما فعل من قبلها.

ولما ذكر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه الدعوات ختمها بالثناء على الله تعالى فقالا: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

إنك أنت القادر، الغالب الذي لا يغلبه ولا يمتنع علي قوته شيء، ولا يعجزه شيء، يضع الأشياء مواضعها، لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل، فأعطنا ما ينفعنا وينفع ذريتنا، ولا ينقص خزائنك.

مناسبة الاسمين الجليلين للآية:

إن بعث الرسول تولية، والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب علي ما يريد، كما أن إرساله متصف بالأوصاف التي سألها إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ لا تصدر إلا

عمن اتصف بالغلبة، والقدرة، وعدم النظير، وإصابة مواقع الفعل فيضع الرسالة في أشرف خلقه وأكرمهم عليه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

كما أن تعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندًا إلى حكمة مرسلة لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه فلابد وأن يكون حكيمًا.

فتكون الجملة: تعليلاً للدعاء، وإجابة المسئول فإن وصف الحكمة مقتضى لإفاضة ما تقتضيه الحكمة من الأمور التي من جملتها بعث رسول حكيم، ووصف العزة مستدعي لامتناع وجود المانع بالمرة[١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٨-٢٠٩].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية تدخل ضمن مجموعة آيات من المنهج الرباني في تربية الجماعة المسلمة وإعدادها، فإنها والآية السابقة عليها دعوة للمؤمنين باسم الإيمان بهذا الوصف المحبب إليهم، والذي يميزهم ويفردهم، ويصلهم بالله الذي يدعوهم إلي الدخول في السلم كافة، وهي توجه كل حين للذين آمنوا ليخلصوا، ويتجردوا، وتتوافق خطرات نفوسهم واتجاهات مشاعرهم مع ما يريده الله بهم، ويقودهم إليه نبيهم من غير تردد ولا تلفت.

كما يحذرهم من إتباع خطوات الشيطان.

وفي هذه الآية يخوفهم عاقبة الزلل بعد البيان، ويحذرهم من عاقبة الانحراف

---

(١) راجع مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢/ ٤/ ٦٢- البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٦٢٧- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٨٤- نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٤٢- البرهان للزركشي ١/ ٨٨.

عن الدخول في السلم واتباع خطوات الشيطان.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾: أصل الزلل للقدم، يقال زلت قدمه ثم يستعمل في الآراء، والاعتقادات وغير ذلك، فيقال لمن زل عن حال كان عليها: زلت به الحال، ويسمي الذنب زلة يريدون به الزلة للزوال عن الواجب.

والتعبير بـ (إن) مشيرًا بأداة الشك إلى أنهم صاروا إلى حالة من الاستقامة يبعد معها كل البعد أن يزلوا عن الطريق، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

معنى الآية:

بدأ المولي ﷻ فأمر المؤمنين بالدخول في السلم كافة، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، ويدعو إلى التنازع والفشل، ويبين لهم أنه عدوهم المبين العداوة، ثم يبين لهم أنهم إن عصوا أمره سبحانه، وانحرفوا عن الطريق، وضلوا، وخالفوا الإسلام وشرائعه بعد أن تبين لهم الهدى ووضحت أمامهم الحجة. فإن الله قادر علي أن يعاقبهم بما كسبت أيديهم، وأن أحدًا لن يستطيع أن يفلت من عقوبته أو يهرب من ملكوته، لا يعجزه من زل ولا يفوته من ضل.

وقرن تعالى العزة بالحكمة في قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ليبين لهم أنه تعالى لا يأخذهم اعتسافًا وظلمًا، إنما يعاقبهم بذنوبهم وخطيئتهم؛ لأنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، فلا يعاقب إلا من يستحق العقوبة ولا ينتقم إلا ممن يستوجب الانتقام، وأن ذلك من مقتضي الحكمة.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكرت الآية الزلل بعد مجيء البينات كان لابد من الوعيد علي ذلك فجاءت الخاتمة نهاية في الوعيد، فذكر العزة التي تتضمن الغلبة والقدرة اللتين يحصل بهما الانتقام لمن خالفه وزال عن منهج الحق إنه وعيد شديد لأنه يجمع من ضروب الخوف مالا يجمعه الوعيد بذكر العقاب.

وتذكيرهم بأنه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيه تنبيه علي أن ما اختاره لهم هو الخير وما نهاهم عنه هو الشر، وأنهم يتعرضون للخسارة حين لا يتبعون أمره ولا ينتهون عما نهاهم.

فالتعقيب بشرطية يحمل معني التهديد والوعيد في هذا المقام[1].

قال تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

مناسبة الآية لما قبلها:

«في الآية السابقة كان السؤال عن الخمر والميسر، وكان تركهما مدعاة إلى تنمية المال، وذكر السؤال عن النفقة وأجيبوا بأنهم ينفقون ما سهل عليهم، ناسب ذلك النظر في حال اليتيم وحفظ ماله وتنميته، وإصلاح اليتيم بالنظر في تربيته.

فالجامع بين الآيتين: أن في ترك الخمر والميسر إصلاحَ أحوالهم أنفسهم، وفي النظر في حال اليتامى إصلاحًا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه، فيكونوا قد جمعوا بين النفع لأنفسهم ولغيرهم»[2].

الآيــة:

إن التكامل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، والجماعة المسلمة مكلفة بأن ترعى مصالح الضعفاء فيها، واليتامى بفقدهم آباءهم وهم صغار ضعاف أولى بالرعاية والحماية، وقد كان أهل الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع بأموال اليتامي وربما تزوجوا باليتيمة طمعًا في مالها، أو يزوجها من ابن له، لئلا يخرج مالها من يده، فنزلت الآيات في التخويف من أكل أموال اليتامي، فعند ذلك ترك القوم

---

(١) راجع تفسير آية ٢٠٨، ٢٠٩ من سورة البقرة في كل من جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٢٥٩، مفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٥/ ١٧٨، البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٢٥٢، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٢٤٧.

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤١٠.

مخالطة اليتامى، والقيام بأموالهم، والاهتمام بمصالحهم، فاختلت مصالح اليتامى، وساءت معيشتهم، فثقل ذلك على الناس وسألوا عنه فأفتاهم المولى ﷻ فيهم، وندبهم إلى مخالطتهم على وجه الإصلاح، فالإصلاح لليتامى خير من اعتزالهم، والمخالطة لا حرج فيها إذا حققت الخير لليتامى فهم إخوان للأوصياء، كلهم إخوة في الإسلام، ومن حق الأخ أن يخالط أخاه.

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ ﴾: هذا تحذير من المولى ﷻ للأوصياء أن يتقوا الله فليس المعول عليه هو ظاهر العمل وشكله، ولكن نيته وثمرته، والله لا يخفي عليه من داخلهم بإفساد وإصلاح فيجازيه علي حسب مداخلته فاحذروه لا تتحروا غير الإصلاح؛ وتعلق العلم بالمفسد أولاً ليقع الإمساك عن الفساد.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ ﴾: ولو شاء الله لضيق عليكم، وشدد لكنه لا يريد المشقة، والضيق، والهلاك للمسلمين فيما يكلفهم لكنه يريد التسهيل عليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾: (الله) الذي له كل صفات الكمال له القدرة الكاملة والقهر لكل شيء والغلبة والاستيلاء لا يمتنع عليه شيء من الأمور التي من جملتها إعناتكم، لكنه (حكيم) يتصرف في ملكه بما يريد، لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقاتكم .

مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين:

في وصفه تعالى بالعزة وهي الغلبة والاستيلاء، إشارة إلى أنه مختص بذلك لا يشارك فيه، فكأنه لما جعل لهم ولاية على اليتامى نبههم إلى أنهم لا يقهرونهم، ولا يغالبونهم، ولا يستولون عليهم استيلاء القاهر فإن هذا الوصف لا يكون إلا لله الحكيم المتقن لما صنع، وشرع، فالإصلاح لهم ليس راجعًا إلى نظركم، وإنما هو راجع لاتباع ما شرع في حقهم، فلا تتعدوا ما أذن هو تعالى فيهم، وفي أموالهم، فليس لكم نظر إلا بما أذنت فيه لكم الشريعة واقتضته الحكمة الإلهية.

فهو لم يشرع لعباده شيئًا مجردًا عن الحكمة، فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة لتمام حكمته.

وهكذا يربط الأمر كله بالله ويشده إلي المحور الأصيل الذي تدور عليه العقيدة وتدور عليه الحياة[١].

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

مناسبة الآية لما سبق:

لما ذكر تعالى الإيلاء وأن الطلاق قد يقع، بيّن تعالى حكم المرأة بعد التطليق.

الآية: هذه الآية في المطلقات المدخول بهن من ذوات الإقراء غير الحوامل[٢] فعليهن أن ينتظرن دون زواج جديد حتى تنقضي مدة العدة ثم إن شاءت أن تتزوج تتزوج.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾: تعبير يلقي ظلال الرغبة الدافعة إلى استئناف حياة زوجية جديدة، رغبة الأنفس اللائي يدعوهن إلى التربص بهن، والإمساك بزمامهن مع

---

(١) راجع تفسير آية ٢٢٠ من سورة البقرة في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٦٣- مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣/٦/٤٣- البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤١٥- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢٦٥- في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٣٠.

(٢) المطلقات لفظ عموم والمراد به الخصوص في المدخول بهن وخرجت المطلقة قبل البناء بآية ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا...﴾[الأحزاب: ٤٩]، وكذلك الحامل يقول تعالي ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾[الطلاق:٤]، وجعل الله عدة الصغيرة التي لم تحض والكبيرة التي يئست بالشهور قال تعالي: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ...﴾ [الطلاق: ٤].

التحفز، وهي صورة طبيعية تدفع إليها رغبة المرأة في أن تثبت لنفسها ولغيرها أن إخفاقها في حياة زوجية لم يكن لعجز فيها أو نقص، وإنها قادرة علي أن تبني حياة زوجية جديدة، هذا الدافع يوجد بعنف في نفس المرأة ؛ لأنها هي التي وقع عليها الطلاق، ولا يجود بطبيعته في نفس الرجل لذا قال تعالى في الآية السابقة:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ [البقرة:٢٢٦].

﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾: هذه الفترة كي يتبين براءة أرحامهن من آثار الزوجية السابقة قبل أن يصرن إلي زيجات جديدة هذه من جهة، ومن جهة، أخري، فإنه لابد من فترة معقولة يختبر الزوجان عواطفهما بعد الفرقة... فإذا سكن الغضب وهدأت النفس واطمأنت استصغرت تلك الأسباب التي دفعت إلى الطلاق وعاودها الحنين إلى استئناف الحياة، أو عاودها التجمل لرعاية واجب من الواجبات.

وقد اختلف السلف، والخلف، والأئمة في المراد بالأقراء، ما هو؟

علي قولين:

أحدهما: أن المراد بها الأطهار واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ [الطلاق:١].

أي في الأطهار، لأنه إذا كان الله تعالى قد أمر المريد طلاق امرأته أن لا يطلقها إلا طاهرًا غير مجامعة، وحرم عليه طلاقها حائضاً، فيكون القرء هنا بمعني الطهر، ويكون بانقضاء الطهر الثالث ومجيء الحيض الذي يتلوه انقضاء عدتها.

والقول الثاني: أن المراد بالأقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة، وفسروا قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ أي مستقبلات لعدتهن، وعدتهن الحيض الثلاث[1].

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع تفسير القرطبي، ابن كثير آية ٢٢٨ من سورة البقرة.

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾: حذر المولى ﷻ أن تكتم المرأة المطلقة زوجها ما خلق الله في رحمها من حمل أو حيض.

فهو تهديد لهن علي خلاف الحق، ودل هذا علي أن المرجع في هذا إليهن لأنه أمر لا يعلم إلا من جهتهن ويتعذر إقامة الدليل غالباً علي ذلك، فرد إليهن الأمر، وتوعد فيه لئلا يخبرن بغير الحق إما استعجالاً لانقضاء العدة أو رغبة منها في تطويلها لمالها في ذلك من المقاصد، فأمرت أن تخبر بالحق في ذلك من غير زيادة ولا نقصان.

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: ويلمس قلوبهن بذكر الله الذي خلق ما في أرحامهن، ويستجيش كذلك شعور الإيمان بالله واليوم الآخر، فشرط هذا الإيمان ألا يكتمن ما خلق الله في أرحامهن، وذكر اليوم الآخر بصفة خاصة له وزنه منها، فهناك الجزاء... وهناك العوض عما يفوت من التربص، وعلى الطاعة، وهناك العقاب لو كتمن ما خلق الله في أرحامهن، وهو يعلمه فهو الذي خلق، فلا تخفي عليه شيئا منه.

﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾: وزوجها الذي طلقها أحق بردها ما دامت في عدتها إذا كان مراده بها الإصلاح والخير، ولم يكن القصد هو إعنات الزوجة، وإعادة تقييدها في حياة محفوفة بالأشواك انتقامًا منها، أو استكبارًا، أو استنكافًا أن تنكح زوجًا غيره.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: وللمطلقات من الحقوق مثل الذي عليهن من الواجبات، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف وللرجال عليهن درجة أي زيادة في الحق وفضيلة كالإنفاق، والمهر، وترك الضرر، كما أنهم قوامون عليهن حراس لهن، وهذا القول من الله تعالى ذكره وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فمعناه ندب الرجال إلى الأخذ بالفضل على النساء ليكون لهم عليهن درجة.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: والله الذي له كل صفات الكمال قوي غالب قادر علي الإنتقام ممن عصاه وخالف أمره، وتعدى حدوده.

حكيم في أمره وشرعه وقدره، وفيما حكم وقضى بين عباده من أحكام منبهًا علي أنه ما فعل ذلك إلا لحكمة بالغة.

مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين:

بعد أن بين المولى ﷻ ما على المطلقات وأزواجهن من حقوق

وواجبات اتبع ذلك بالوعيد ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مشعرًا بقدرته على فرض هذه الأحكام وحكمته في فرضها على العباد ليزدجر أولو النهي، فيتقوا عقابه، ويحذروا عذابه، وفيه ما يرد القلوب عن الزيغ والانحراف تحت شتي المؤثرات والملابسات، وفيه تسلية للنساء وأن ما أوجده بعزته، وأتقنه بحكمته لا يمكن نقضه.

ولأن الآية تضمنت ما معناه الأمر في قوله تعالى ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ والنهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ﴾، والجواز في قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ﴾، والوجوب في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

ناسب وصفه تعالى بالعزة وهي القهر والغلبة، وهي تناسب التكليف وناسب وصفه بالحكمة، وهي إتقان الأشياء ووضعها على ما ينبغي، وهي تناسب التكليف أيضًا[(١)].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٠].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٢٨ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ٤/ ٤٩٩- ٥٣٦- تفسير الكشاف للزمخشري ١/ ٢٧٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٦٩-٢٧١- نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٢٨-٤٣٠- البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٦٢.

علاقة الآية بما سبق:

لما ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحكام الأزواج في الطلاق، والوفاة، وحكم المتعة في المطلقات قبل الدخول، وقدم تصور الإسلام لقاعدة الإسلام الكبرى، وهي العبادة متمثلة في كل طاعة، عاد السياق إلي ختام هذه الأحكام.

فهذه الآية تقرر حق المتوفى عنها زوجها، في وصية منه تسمح لها بالبقاء في بيته والعيش في ماله، مدة حول كامل لا تخرج ولا تتزوج، إن رأت من مشاعرها أو من الملابسات المحيطة بها ما يدعوها إلى البقاء، وذلك مع حريتها في أن تخرج، فعند ذلك لا حرج على أولياء الميت في خروجها، وما تفعله في نفسها من معروف لا ينكره الشرع كالتزين، والتطيب، وترك الحداد، والتعرض للخطاب، وفيه دلالة على أن المحظور: إخراجها عند إرادة القرار وملازمة مسكن الزوج، والحداد من غير أن يجب عليها ذلك وأنها كانت مخيرة بين الملازمة مع أخذ النفقة، وبين الخروج مع تركها.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره يعاقب من خالف أمره ونهيه، وتعدى حدوده.

﴿حَكِيمٌ﴾: يراعي في أحكامه مصالح العباد.

مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين:

للفت القلوب إلى قوة الله وحكمته فيما يفرض ويوجه، وفيه معني التهديد والتحذير للأولياء إن لم ينفذوا ويمضوا هذه الوصية بما ألزم الله، فقوله تعالى ﴿عَزِيزٌ﴾ إظهار للغلبة والقهر لمن منع من نفاذ الوصية بالتمتيع المذكور أو إخراجهن وهن لا يخترن الخروج، وهو مشعر بالوعيد على ذلك، حكيم في إظهار أن ما شرع من ذلك فهو جار على الحكمة والإتقان ووضع الأشياء في مواضعها.

قال الأكثرون هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤].

ففي الصحيح قال ابن الزبير: قلت لعثمان: «هذه الآية التي في البقرة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة:٢٤٠].

قد نسختها الأخرى فلم تكتبها أو تدعها؟ قال: يا ابن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه»[(١)].

ومعنى هذا الإشكال الذي قاله ابن الزبير لعثمان: إذا كان حكمها قد نسخ بالأربعة الأشهر فما الحكمة في بقاء رسمها مع زوال حكمها، وبقاء رسمها بعد التي نسختها يوهم بقاء حكمها؟

فأجابه أمير المؤمنين بأن هذا أمر توقيفي وأنا وجدتها مثبتة في المصحف كذلك بعدها فأثبتها كما وجدتها[(٢)].

«وذهب جماعة من المفسرين في تأويل هذه الآية أن المتوفى عنها زوجها كانت تمكث في بيت المتوفى عنها حولاً وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل فإن خرجت لم يكن على الورثة جناح في قطع النفقة ثم نسخ الحول بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن وفي السكن خلاف بين العلماء)[(٣)].

وذهب آخرون إلى أن هذه الآية لم تدل علي وجوب الاعتداد سنة حتي يكون ذلك منسوخًا بالأربعة الأشهر والعشر وإنما دلت على أن ذلك كان من باب الوصاية بالزوجات أن يمكن من السكن، في بيوت أزواجهن بعد وفاتهم، حولاً كاملاً إن اخترن ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ أي يوصيكم الله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ حديث ٤٥٣٠ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٤١.

(٢) التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٢٩٦.

(٣) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢/ ١٤٨.

بهن وصية... فإذا انقضت عدتهن بالأربعة أشهر والعشر، أو بوضع الحمل واخترن الخروج والانتقال من ذلك المنزل فإنهن لا يمنعن من ذلك...»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

مناسبة الآية لما قبلها:

في هذه الآية والآيتين السابقتين عليها رتب المولى ﷻ ذكر المعاد في ثلاثة أحوال:

١) حال الجاحد الذي انتهت غايته إلى بهت.

٢) ثم حال المار علي القرية المستبعد الذي انتهت غايته إلى علم وإيمان فقد أراه الله ذلك في نفسه وفي حماره.

٣) وأنهي ﷻ خطابه إلي حال المؤمن الذي انتهي حاله إلي يقين وطمأنينة فقد قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للملك ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

أي هو وحده الذي يحي ويميت وقال الملك: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ أراد أنه يمن على من استحق القتل فيتركه، ويقتل من لا يستحق القتل- فأراد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يعرف من المولى ﷻ كيفية إحياء الموتي ليكون عنده خبر ذلك فينتقل من اليقين إلى عين اليقين، وليثبت لمن حاجه أن الإحياء الذي يستحق به الملك الألوهية هو هذا الإحياء الحقيقي لا التخليه عمن استحق القتل.

---

(١) راجع تفسير آية ٢٤٠ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥/ ٢٠٥-٢٠٦، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٥٥٤-- في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٣١.

الآيــة:

واذكر قصة أبيكم إبراهيم حين طلب من المولي ﷻ أن يريه كيف يحي الموتي، طلب ما هو أهله بما قاله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام:٧٥].

وفي استفتاح السؤال بـ ﴿رَبِّ﴾ [١] حسن استلطاف واستعطاف للسؤال فقد سأل ربه أن يريه عياناً كيفية إحياء الموتى.

والسؤال عن الكيفية يقتضي تيقن ما سأل عنه وهو الإحياء وتقرره، والإيمان به، وأنه مما انطوى الضمير على اعتقاده، فقد ورد السؤال بصيغة كيف؟، وموضوعها السؤال عن الحال، ونظير هذا السؤال أن يقول القائل: كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا شك أنه يحكم فيهم ولكن السؤال عن كيفية حكم لا عن ثبوته.

وقد يتوهم البعض تطرق الشك إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الآية، لكنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن شاكًا في إحياء الله الموتي قط، وإنما طلب المعاينة، ليزول عن قلبه الفكر في كيفية الحياة لأنه إذا شاهدها سكن قلبه واطمأن عن الجدل في الكيفيات المختلفة، وتعينت عنده بالتصوير المشاهد. وجاءت الآية مطابقة لسؤاله ؛ لأنه شاهد صورة حياة الموتى، وقد قطع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دابر هذا الوهم بقوله: «ونحن أحق بالشك من إبراهيم» قال: «رب أرني كيف تحيي الموتي، قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي»[٢].

---

(١) حذفت ياء الإضافة اجتزاء بالكسرة وهي اللغة الفصحى في نداء المضاف لياء المتكلم، وحذف حرف النداء للدلالة عليه انظر ملخص قواعد اللغة العربية – فؤاد نعمة ص٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[البقرة: ٢٦٠]، حديث (٣٣٧٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/ ٤٧٣.

ليس في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» اعتراف بالشك علي نفسه ولا علي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لكن فيه نفي الشك عنهما يقول: إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولي بأن لا يشك- قال ذلك علي سبيل التواضع وهضم النفس- ولا يجوز على الأنبياء- صلوات الله عليهم وسلامه- مثل هذا الشك فإنه كبر، والأنبياء متفقون علي الإيمان بالبعث، وقد أخبر المولى جَلَّ أن عباده ليس للشيطان عليهم سبيل قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَـاوِينَ ﴾ [الحجر:٤٢] .

وإذا لم يكن له عليهم سلطان فكيف يشككهم!

وقد استجاب الله لهذا الشوق المتطلع في قلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنحه التجربة الذاتية المباشرة، قال جَلَّ: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة:٢٦٠].

لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه، ويميلهن، حتي يتأكد من صفاتهن ومميزاتهن التي لا يخطئ معها معرفتهن، وأن يقطعهن ويفرق أجزاءهن على الجبال المحيطة ثم يدعوهن.

أمره تعالى بدعائهن وهن أموات ليكون أعظم له في الآية، ولتكون حياتها متسببة عن دعائه بإذن الله، ولذلك رتب على دعائه إياهن أن تجمع أجزاؤهن مرة أخري، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات وقد كان.

ورأى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ السر الإلهي يقع بين يديه، وهو السر الذي يقع في كل لحظة ولا يري الناس إلا آثاره بعد تمامه، رأى طيوراً فارقتها الحياة وتمزقت، فرقها في أماكن متباعدة، رآها تدب فيها الحياة مرة أخري وتعود إليه سعيًا، رأى ذلك لكنه لا يدرك طبيعته ولا يعرف طريقته إنه أمر الله، والناس لا يحيطون بشيء من

علمه إلا بما شاء، وهو لم يشأ أن يحيطوا بهذا الطرف من علمه لذا كانت خاتمة الآية[1] ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

عزيز: قوي قادر غالب على أمره لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء وما شاء كان بلا ممانع لأنه تعالى هو القاهر لكل شيء ولا يقدر على إحياء الموتى غيره وبإذنه.

حكيم: خبير بحقائق الأمور قد أحاط بكل شيء علمًا، محسن في التدبير مصيب في التقدير، حكيم في أقواله، وأفعاله، وشرعه، وقدره، لا يفعل شيئاً عبثاً سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علوًا كبيرًا.

مناسبة الاسمين الجليلين لختام الآية:

لما كان اسمه تعالى (العزيز) يتضمن معني القوة والغلبة والقدرة، وكان البعث من دلائل قدرته تعالى، وكان البعث في هذه الآية في الدنيا لإرادة حكمة معينة، منها أن يرى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ملكوت السماوات والأرض لذا ناسب ختم الآية باسمه تعالى (العزيز) و (الحكيم).

نظرة عامة على الآيات:

١- بالنظر إلى خواتم الآيات الست نجد أنها جاءت جملة، وذلك أمر ضروري حيث إن اسم (العزيز) لم يأت مفردًا، كذلك اسم (الحكيم)، لذا جاء اقترانهما معًا في جملة كما يلي على الترتيب:

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

---

(١) راجع تفسير آية ٢٦٠ من سورة البقرة في كلٍّ من: جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ٥/ ٤٨٥- جامع الأحكام للقرطبي ٢/ ١٩٥- البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٧٤- نظم الدرر للبقاعي ١/ ٥٠٩.

حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠]، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨-٢٤٠].

﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

٢-أشار سبحانه إلى أن عزته تعالى موصوفة بالحكمة في ستة وأربعين موضعًا، حتى لا يظن أحد أنها عزة بطش، أو ظلم، أو قهر -تعالى الله علوا كبيرا- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦] (عزيز) ومع هذه العزة (حكيم) لا تصدر أفعاله إلا عن حكمة بالغة، فهو إن عاقب لا يأخذ اعتسافًا وظلمًا بل إنما يعاقبهم بذنوبهم وخطيئتهم، لأنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، فلا يعاقب إلا من يستحق العقوبة، ولا ينتقم إلا ممن يستوجب الانتقام، ولا تصدر أفعاله إلا عن حكمة بالغة .

ومن مظاهر ذلك العزة مع الحكمة ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

أ- إحياء الموتى:

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠].

ب- الخلق: ومن صورة تصوير الأجنة في بطون أمهاتهم :

قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦].

٣- إرسال الرسل :

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥]، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ

﴿فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

٤- الملك - التفرد في الملك والملكوت :

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:٢٧].

٥- النصر :

قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

٦- تنزيل الكتاب :

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١].

٧- شرح العقوبات والحدود والتنكيل بالعصاة :

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨].

٨- الإيحاء إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأخبار الأمم الماضية لتكون موعظة :

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦٢].

٩- الأمر والتشريع بما يصلح حال المسلمين :

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٨-٢٠٩].

وقوله تعالى: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

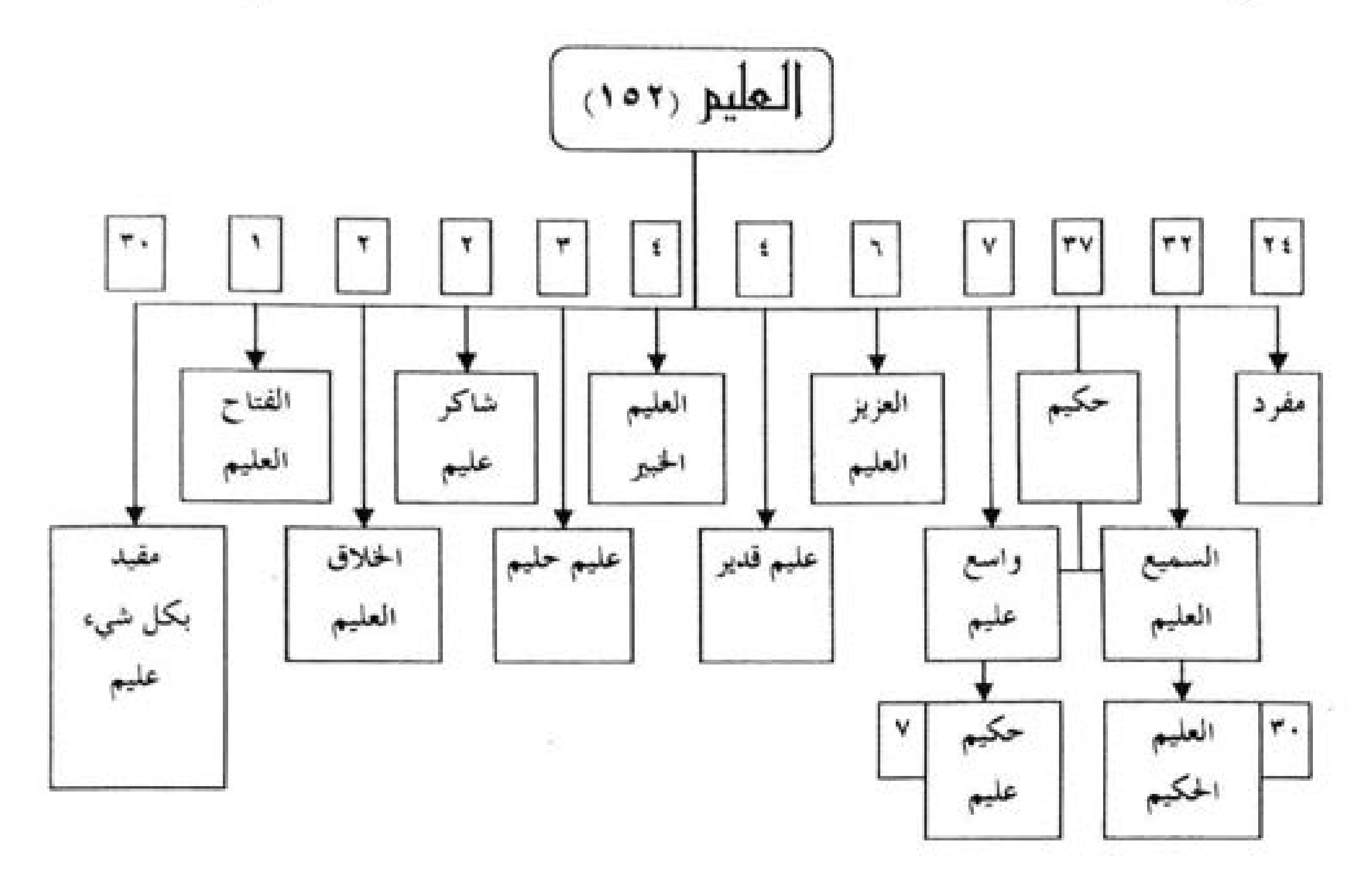
المَبحَثُ الثَاني

أسماء تدل على إحاطته تعالى الكاملة ورقابته الشاملة لكل من سواه

(العليم) جل جلاله:

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم في اثنين وخمسين ومائة موضع، ورد مفردًا أربعًا وعشرين مرة، ورد مقترنًا باسمه تعالى (الحكيم) سبعًا وثلاثين مرة، منها سبع مرات فاصلة (حكيم عليم)، وورد مقترناً بإسم(السميع) اثنتين وثلاثين مرة، و(واسع) سبع مرات، و(العزيز) ست مرات، و(القدير) أربع مرات، و(الخبير) أربع مرات، و(الحليم) ثلاث مرات، و(شاكر) مرتين، و(الخلاق) مرتين، و(الفتاح) مرة واحدة وورد مقيداً ثلاثين مرة[1].

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٤٧٦ – ٤٧٨.



كما ورد اسمه تعالى علام، عالم، أعلم لكنه ورد مقيدًا ولم يرد اسمًا مفردًا وإنما ورد ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام:٧٣] وورد (أعلم) في آيات كثيرة منها: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران:٣٦]، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:٧٧].

ومادة علم: تشير كلها إلى سعة علم الله وكثرته «تقلب الاسم بين صيغة اسم الفاعل، وصيغة المبالغة، واسم التفضيل يدل على قصر العلم على الله ﷻ وإنه بإرادته وفضله يمنح بعض العلم لمن يشاء»[1].

المعنى اللغوي:

العلم: نقيض الجهل – علمت الشيء: عرفته وخبرته.

---

(١) أسماء الله الحسنى – دراسة في البنية والدلالة – د. أحمد مختار عمر ص١٤٧.

العلم: إدراك الشيء بحقيقته، وهو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع.

والعلم ضربان: نظري، وعملي.

فالنظري: ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم.

العملي: ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات.

والتعليم: تنبيه النفس لتصور المعاني.

العلامة: كثير العلم، يقال: فلان علامة للدلالة على سعة علمه، أي قد بلغ الغاية والنهاية(١).

العليم: اصطلاحًا:

العليم في حق الله تعالى هو البالغ نهاية العلم فالمولى ﷻ هو الذي أبدع هذا الكون، وأقامه على سنن ونظم لا تختل ولا تضطرب، وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وهو الذي يسير كل ذرة، ويرعى كل نسمة، ويدبر أمر خلقه، ويصرف شأنه، وأحاط علمه بكل شيء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فعلمه ﷻ مطلق شامل، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٤].

وقد اختص المولى ﷻ نفسه بعلم أشياء لا يعلمها إلا هو قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾

---

(١) راجع: لسان العرب ٤/ ٣٠٨٢ - طبعة دار المعارف - مختار الصحاح ١٨٦ المعجم الوجيز ٤٣٢.

[الأنعام:٥٩].

ومفاتيح الغيب كما قال المولى ﷻ هي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

والمولى ﷻ يفتح أبواب العلم لمن يشاء من عباده يستوي في ذلك المؤمن والكافر، إلا أن الكافر قد يفتح عليه أبواب العلم بالدنيا، ولا يفتح عليه من العلوم الأخروية شيئًا ولو فتح له بابًا منها لأسلم قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧].

أما المؤمن فإن الله يفتح عليه من أبواب العلم ما شاء، ويجمع له بين الحسنيين، فيتعلم من علوم الدنيا ومن علوم الآخرة معًا. والمولى ﷻ قد يعطي علم بعض الأشياء التي اختص بها لنفسه لمن شاء من رسله وأصفيائه قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾ [الجن:٢٦-٢٨] .

حظ العبد من اسمه تعالى (العليم):

المولى ﷻ حث عباده على، العلم وأمر به، وكان أول توجيه وجهه إلى رسوله ﷺ في أول خطوة من خطواته في طريق الدعوة هو (اقرأ) ليحض أمته ﷺ على القراءة والتعلم، كما أمره المولى ﷻ بعد ذلك بالحرص على

الازدياد في العلم، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

فكلما ازداد المرء العلم النافع ازدادت الخشية وازدادت الرعاية لحقوق الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨] ولذا فمكانة العلم عالية لا يستوي معها مكانه، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

فحامل العلم له مكانته وفضله ولا يستوي مع غيره من الناس، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة»[١] وفضل العلم وثوابه عظيم ومستمر حتى بعد الموت، وفي الحديث: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[٢].

فالعلماء يكرمون بعلمهم في الدنيا ويؤجرون عليه في الآخرة[٣].

الآيات التي ختمت باسم (العليم) جل جلاله :

١- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩].

٢- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر حديث (٣٨/ ٢٦٩٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٢٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان به من الثواب بعد وفاته حديث (١٤/ ١٦٣١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١١/ ٨٧.

(٣) راجع الأسماء والصفات للبيهقي ص ١٣٦، أسماء الله الحسنى للقشيري ص٥٩ أسماء الله الحسنى محمد بكر إسماعيل ص٨٦.

٣- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٥].

٤- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣١].

٥- ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣].

٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَاتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

٧- ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٣].

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩].

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن استنكر المولى ﷻ على الكفار عبادتهم لغيره تعالى، وهو المستحق للعبادة، بدلالة خلقه إياهم بعد أن كانوا عدمًا، وما يشاهدونه في أنفسهم، وأنه قادر على الإحياء بعد الموت كما كان قادرًا على الإيجاد بعد العدم، وأنه باعثهم وجامعهم ومجازيهم بأعمالهم. ذكر في هذه الآية دليلاً آخر لاستحقاقه تعالى للعبادة مما يشاهدونه من خلق السماوات والأرض فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾.

هو: عائد على اسمه تعالى في قوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا ﴾ [البقرة:٢٨].

خلق: أنشأه وأخرجه من حالة العدم إلى الوجود .

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾: استوى ترد في القرآن على ثلاثة معانٍ :

فتارة لا تعدى بالحرف فيكون من معناها الكمال والتمام، كما في قوله تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾ [القصص:١٤] .

وتارة تكون بمعنى علا وارتفع، وذلك إذا عديت بـ(على)، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٣].

وتارة تكون بمعنى قصد كما إذا عديت بـ(إلى) كما في هذه الآية، ويكون المعنى: لما خلق الله الأرض قصد إلى خلق السماوات ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩] فخلقها وأحكمها وأتقنها .

والسماء في اللغة: السقف، ويقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو فهو سماء، ومن هذا قيل للسحاب سماء لأنه عليها .

﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: معنى التسوية في كلام العرب: التقويم، والإصلاح، والتوطئة، فكذلك تسوية الله جل ثناؤه سماواته: تقويمه إياهن على مشيئته، وتدبيره على إرادته .

المعنى: هو الذي أنعم عليكم فخلق لكم ما في الأرض جميعًا، وسخره لكم تفضلا منه بذلك عليكم ليكون لكم بلاغًا في دنياكم، ومتاعا، إلى موافاة آجالكم، ودليلاً على وحدانية ربكم. ثم قصد إلى السماوات السبع وهي دخان فسواهن وحبكهن وأجرى في بعضها شمسه وقمره ونجومه، وقدر في كل واحدة منها ما قدر من خلقه .

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: وهو نفسه الذي خلقكم وخلق ما في الأرض جميعًا، وسوى السماوات السبع بما فيهن، فأحكمهن وأتقن صنعهن ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه ما تبدون وما تكتمون في أنفسكم، وعلمه محيط بجميع ما خلق كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]. وهو خالق كل شيء فوجب أن يكون عالما بكل شيء[1] .

---

(١) راجع تفسير آية ٢٩ من سورة البقرة في الآية، جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري

مناسبة الخاتمة للآية :

لما كان الخلق من دلائل اسمه تعالى القدير، فكان يفترض أن تنتهي الآية بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولما كانت الخاتمة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ كان لابد من إمعان النظر في الآية، وبعد تمحيص وجد أن كلمة ﴿لَكُم﴾ هنا ذات مدلول عميق وإيحاء كذلك عميق، إنها قاطعة بأن الله خلق هذا للإنسان لأمر عظيم، فهو خلقه ليكون خليفة في الأرض مالكًا لما فيها، فاعلاً مؤثرًا فيها – كما دلت على علمه تعالى بما يصلح لهم أمور معاشهم ومعادهم .

كذلك تسوية السماء على هذا النمط البديع تدل على علمه تعالى، ولأنه خالق كل شيء فوجب أن يكون عالمًا بكل شيء، فتكون الخاتمة مقررة لمضمون ما قبلها من خلق السماوات والأرض وما فيها على هذا النمط المحكم البديع .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢].

مناسبة الآية لما قبلها :

هذه الآية ضمن الآيات في قصة استخلاف آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأرض، ومنحه مقاليدها على عهد من الله وشرط، وإعطائه المعرفة التي يعالج بها هذه الخلافة .

ففي الآية السابقة سأل المولى ﷻ الملائكة عن الأسماء بقوله تعالى: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٣١]. وقد سبق منهم قولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة:٣٠] ولما لم يكن عندهم علم

١/ ٢٦٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٧ – إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ١٠٦، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٤٨.

بالجواب، فلم يكن لهم مرجع إلا الإقرار بالعجز، والتبري إليه أن يعلموا إلا ما علمهم، فقدموا بين يدي الجواب تنزيها لله واعتذارًا وأدبًا منهم في الجواب – تنزيها عن الادعاء وعن الاعتراض – وإشعارًا بأن ما صدر منهم قبل قد يمحوه هذا التنزيه.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾: في الآية تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى، وتسليم علم ما لم يعلموه له تعالى، وتبريهم من أن يعلموا أو أن يعلم أحد شيئًا إلا ما علمه الله تعالى، والاعتراف منهم بالعجز عن أمر الخلافة، والقصور عن معرفة الأسماء، والاستسلام التام للمعلم الأول ردا لبدء الأمر لمن له البدء وتعليل ذلك ﴿أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إنك أنت يا ربنا العليم – من غير تعليم – بجميع ما قد كان وما هو كائن، والعالم للغيب دون جميع خلقك فلا يخفى عليك خافية.

الحكيم في خلقك، وأمرك، وفي تعليمك ما تشاء ومنعك من تشاء لك الحكمة في ذلك والعدل التام.

مناسبة الخاتمة للآية :

إن الملائكة لما نفوا عن أنفسهم أن يكون لهم علم إلا ما علمهم ربهم، أثبتوا ما نفوا من ذلك لربهم على أكمل أوصافه من المبالغة فيه والتأكيد ﴿إِنَّكَ﴾ وتكرير الضمير ﴿أَنتَ﴾ وحدك على سبيل الحصر ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ –التعريف بأل– بكل المعلومات يعنون بذلك المحيط بكل المخلوقات.

ولما خفيت عليهم حكمة المشيئة العليا في بناء هذه الأرض وعمارتها على يد خليفة الله في أرضه أردفوا الوصف بالعلم، الوصف بأكمله ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يتطرق إلى صنعك فساد بوجه فلا اعتراض أصلاً، وفيها توكيد، وتخليص، وإخلاص، العلم والحكمة لله وحده.

وناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ؛ لأنه المتصل به في قوله تعالى: على لسان الملائكة ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ولأن الحكمة من آثار العلم وناشئه عنه[1].

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥].

مناسبة هذه الآية لما قبلها:

في الآية السابقة يبين المولى ﷻ للجماعة المسلمة الأولى، والجماعة المسلمة في كل جيل، الطريق المؤهل لحياة الجنات في نهاية المطاف، وهذا الطريق هو: إيمان وجهاد، ومحنة وابتلاء، وصبر وثبات، وتوجه إلى الله وحده ثم يجيء النصر، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة:٢١٤].

وفي هذه الآية سؤال عن الإنفاق، وظاهرة الأسئلة ظاهرة توحي بيقظة العقيدة واستيلائها على نفوس الجماعة المسلمة إذ ذاك، ورغبة المؤمنين في معرفة حكم العقيدة في كل شأن من شئون حياتهم اليومية كي يطابقوا بين تصرفهم وحكم العقيدة، وهذه آية المسلم: أن يتحرى حكم الإسلام في الصغيرة والكبيرة من شئون حياته، فلا يقوم على عمل حتى يستبق حكم الإسلام فيه، فما أقره الإسلام

---

(١) راجع تفسير آية ٣٢ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١/ ٢٩٠، البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٢٣٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٧٤١.

كان هو دستوره وقانونه، وما لم يقرره كان ممنوعًا عليه حرامًا، وهذه الحساسية هي آية الإيمان بهذه العقيدة، كما أن الصبر على النفقة وبذل المال هو من أعظم ما تحلى به المؤمن، وهو من أقوى الأسباب الموصلة إلى الجنة .

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾: في هذه الآية يسأل بعض المسلمين ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ وهو سؤال عن نوع الفقة فجاءهم جواب عن السؤال، وضم إليه زيادة، بها يكمل ذلك المقصود، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ جواب عن السؤال، والخير: هو المال وذلك لقوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات:٨]. أو هو سائر وجوه البر والطاعة وهذا أولى.

ثم إن الإنفاق لا يكمل إلا إذا كان مصروفًا إلى جهة الاستحقاق، فلهذا لما ذكر الله تعالى الجواب، أردفه بذكر المصرف تكميلاً للبيان: أي اصرفوها في هذه الوجوه، وقد راعى المولى ﷻ الترتيب في الإنفاق فبدأ في المصرف بالأقرب فالأقرب ثم بالأحوج فالأحوج فقدم الوالدين: وذلك لأنهما كالمخرج له من العدم إلى الوجود في عالم الأسباب ثم ربياه في الحال الذي كان في غاية الضعف فكان إنعامهما على الابن أعظم من إنعام غيرهما عليه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

وفيه إشارة إلى أنه ليس بعد رعاية حق الله تعالى شيء أوجب من رعاية حق الوالدين، لأن الله تعالى هو الذي أخرج الإنسان من العدم إلى الوجود في الحقيقة، ولأن الوالدين هما اللذان أخرجاه إلى عالم الوجود في عالم الأسباب الظاهرة، فثبت أن حقهما أعظم من حق غيرهما ؛ فلهذا أوجب تقديمهما على غيرهما في رعاية الحقوق .

ثم ذكر تعالى بعد الوالدين الأقربين والسبب فيه أن الإنسان لا يمكن أن يقوم

بمصالح جميع الفقراء بل لا بد وأن يرجح البعض على البعض، والقرابة تصلح لأن تكون سببًا للترجيح لأسباب:

أ- أن القرابة مظنة المخالطة، والمخالطة سبب لاطلاع كل واحد منهما على حال الآخر .

ب- أن قريب الإنسان جار مجر الجزء منه، والإنفاق على النفس أولى من الإنفاق على الغير .

جـ- حتى لا يرجع الفقير إلى غيره فيكون ذلك عارًا وسيئة في حقه .

د- ولحديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حينما سألته امرأتان عن النفقة على زوجيهما فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لهما أجران : أجر القرابة وأجر الصدقة[1]».

فلهذه الأسباب كان الإنفاق على القريب أولى من الإنفاق على البعيد .

ثم إن المولى ﷻ ذكر بعد الأقربين اليتامى وذلك لكونهم لصغرهم لا يقدرون على الاكتساب، وليس لأحد أن يكتسب لهم، فالطفل الذي مات أبوه قد عدم الكسب والكاسب، وأشرف على الضياع .

ثم ذكر الله تعالى بعدهم المساكين، وهم الذين لا يجدون ما يغنيهم وهم مستورون لا يفطن لهم .

ثم ذكر تعالى بعدهم ابن السبيل بسبب انقطاعه عن بلاده، قد يقع في الاحتياج

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الزكاة باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر حديث (١٤٦٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣/ ٣٨٤، مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين حديث (٤٥/ ١٠٠٠) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٧/ ٨٨ والسائل هو بلال سأل للمرأتين.

والفقر، فهذا هو الترتيب الصحيح الذي رتبه المولى ﷻ في كيفية الإنفاق.

ثم لما فصل المولى ﷻ هذا التفصيل الحسن الكامل أردفه بعد ذلك بالإجمال فقال ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥].

أي كل ما فعلتموه من خير إما مع هؤلاء المذكورين، وإما مع غيرهم ابتغاء مرضاة الله تعالى لله وطلبًا لجزيل ثوابه، وهربًا من أليم عقابه، فإن الله به عليم، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض فيجازيكم أحسن الجزاء عليه، كما قال ﷻ: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩٥].

مناسبة الخاتمة للآية:

جاءت الخاتمة على طريق الاستئناف في مقام الترغيب والترهيب لكونه تعالى وكل الأمر إلى المنفقين ، ولأن دخول الخلل على النيات في الإنفاق من أشد الأشياء على النفس فيكاد لا يسلم منها إلا القليل، فيبين المولى ﷻ أنه عليم بالانفاق، عليم ببواعثه، عليم بالنية المصاحبة له، وهو إذن لا يضيع، فهو في حساب الله الذي لا يضيع عنده شيء، والذي لا يبخس الناس شيئًا ولا يظلمهم، والذي لا يجوز عليه كذلك الرياء والتمويه، وذلك حتى يصل بالقلوب إلى درجة الصفاء والتجرد والخلوص لله ﷻ[1].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ

---

(١) راجع تفسير آية ٢١٥ من سورة البقرة في كل من: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣/ ٦/ ٢٠-٢١، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٠٠، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢٦٠، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٢٣.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٣١].

مناسبة الآية لما قبلها

بعد أن بين المولى ﷻ عدة المطلقة، وعدد الطلقات، وذكر الطلاق رجعية وبائنه، جاء في هذه الآية التوجيه الإلهي للأزواج المطلقين، توجيههم إلى المعروف واليسر والحسنى بعد الطلاق في جميع الأحوال .

الآيـــة :

هذا أمر من المولى ﷻ للرجال إذا طلق أحدهم المرأة طلاقًا له عليها فيه رجعه، أن يحسن أمرها إذا انقضت عدتها ولم يبن منها إلا مقدار ما يمكنه فيه مراجعتها فإما أن يمسكها أي يرتجعها إلى عصمته، أو يتركها حتى تنقضي عدتها.

والأجل : هو الذي ضربه الله تعالى للمعتدات من الأقراء، والأشهر، ووضع الحمل وأضاف الأجل إليهن لأنه أمس بهن .

﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾ : أي آخر عدتهن حيث شارفن منتهاها، والأجل قد يقع على المدة كلها، وعلى آخرها، لأنه بعد بلوغ الأجل لا خيار له في الإمساك، ولا سبيل له عليها .

﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾: إشارة إلى المراجعة، والمراد بالمعروف هو القيام بما يجب لها من حق على زوجها، والمراعاة، وإيصال الخير .

﴿بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾: بأن تتركوهن حتى تنقضي العدة فتبين الزوجة بدون إيذاء ولا طلب فدية من الزوجة، وبدون عضل لها عن الزواج بمن تشاء، ولا تضييق في شيء من الأشياء – من ذلك يتضح أن معروف الإمساك غير معروف

التسريح – ولذلك فرق في الخطاب فلم يقل فأمسكوهن أو سرحوهن بمعروف .

والمعروف والجميل والحسنى يجب أن تسود جو هذه الحياة سواء اتصلت حبالها أو انفصلت عراها، ولا يجوز أن يكون فيه الإيذاء عنصرًا من عناصرها ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [الطلاق:٢].

وفي هذا تأكيدًا للأمر بالإمساك بالمعروف، وتوضيح معناه، وزجر صريح عما كانوا يفعلونه عمدًا، فقد كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لاعن حاجة ولكن ليطول العدة عليها، أو يسيء عشرتها، ويضيق عليها النفقة رجاء أن تختلع منه بمالها، فنهاهم الله عن ذلك وتوعدهم عليه فقال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ .

أي بمخالفة أمر الله تعالى فقد عرض نفسه لعذاب الله، لأن إتيان ما نهى الله تعرض لعذابه، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾: هذا تهديد عظيم للعصاة، والتهديد إذا ذكر بعد التكليف كان ذلك تهديدًا على تركها .

وآيات الله دلائله، وأمره، ونهيه، ويقال (اتَّخذها هُزُوًا) لمن سخر من آيات الله أو كفر بها أو طرحها ولم يأخذ بها وعمل بغيرها .

وآيات الله التي بينها في العشرة والطلاق واضحة مستقيمة جادة تقصد إلى تنظيم هذه الحياة وإقامتها على الجد والصدق، فإذا هو استغلها في إلحاق الأضرار والأذى بالمرأة متلاعبًا بالرخص التي جعلها الله صمام أمن واستخدم حق الرجعة الذي جعله الله فرصة لاستعادة الحياة الزوجية وإصلاحها، إذا استخدم ذلك في إمساك المرأة لإيذائها وإشقائها فقد اتخذ آيات الله هزوا .

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: ولما رغبهم المولى ﷻ في أداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم أيضا في أدائها بأن ذكرهم أنواع نعمه عليهم فبدأ أولا بذكرها على سبيل الإجمال وهذا يتناول كل نعم الله على العبد في الدنيا والدين، ثم ذكر تعالى بعد هذا نعم الدين وإنما خصها بالذكر، لأنها أجل من نعم الدنيا، فقال:

﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾: أي بالإسلام وبيان الأحكام والسنة المبينة على لسان رسوله ﷺ مراد الله فيما لم ينص عليه في الكتاب، ليذكركم، ويأمركم، وينهاكم عن ارتكاب المحارم ثم يلمس قلوبهم اللمسة الأخيرة في هذه الآية وهو يخوفهم فيقول :

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: فيما تأتون، وفيما تذرون، والتقوى هي التي بحصولها يحصل الفلاح في الدنيا والآخرة، ثم عطف عليها ما يؤكد طلبها، وهي قوله تعالى :

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: فلا يخفى عليه شيء من أموركم السرية والجهرية وسيجازيكم على ذلك؛ فهو عليم بكل شيء، فلا يأمر إلا بما فيه الحكمة والمصلحة فلا تخالفوه .

مناسبة الخاتمة للآية:

نجد أن هذه الآية تبين قاعدةً كبرى من قواعد المنهج الإلهي للحياة البشرية وأصلا من أصول العقيدة موصولاً بإرادة الله وحكمته ومشيئته في الناس، ومنهجه لإقامة الحياة على النحو الذي قدره وأراده لبني الإنسان، ومن ثم فهى موصولة بغضبه ورضاه وعقابه وثوابه، وموصولة بالعقيدة وجودًا وعدمًا .

وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ منبهًا بضخامة هذا الأمر وخطورته لملاحقة

الضمير الإنساني ملاحقة موقظة موحية، وبخاصة أن هذه التوجيهات مناط تنفيذها بتقوى الله وحساسية الضمير، لأن الاحتيال على النصوص ممكن بغير هذا الوازع الحارس المستيقظ ؛ لذلك جاء قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فيما أمركم به ونهاكم عنه ونبه على عظيم أمره بقوله: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

أي بالغ العلم فاحذروه حذر من يعلم أنه بحضرته وكل ما يعمله من سر وعلن لا يخفى عليه من شيء.

والتهديد بالعمل منتهى التحديد [(١)].

وتعليل للأمر ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية ضمن آيات يتعرض السياق فيها لإقامة قواعد النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي يريد الإسلام أن يقوم عليه المجتمع المسلم، وأن تنتظم بها حياة الجماعة المسلمة، إنه نظام التكافل والتعاون المتمثل في الزكاة المفروضة، والصدقة المتروكة للتطوع.

---

(١) راجع تفسير آية ٢٣١ من سورة البقرة في الآية: جامع البيان في تأويل أي القرآن للطبري ٢/ ٥٤٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ١٠٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٠، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٥٠.

ففي الآية السابقة يبين المولى ﷻ أنه يجوز صرف الصدقة إلى أي فقير كان، ثم يبين في هذه الآية الذين هم أولى الناس بها، فوصفهم بست صفات :

١- لِلْفُقَرَاءِ .

٢- الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

٣- لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ .

٤- يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ .

٥- تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ .

٦- لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا .

الآيــة :

اجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين أحصرهم الجهاد، لا يستطيعون لاشتغالهم به تقلبًا في الأرض وسفرًا في البلاد ابتغاء المعاش وطلبًا للكسب والتجارة، منعهم علو همتهم من رفع حاجتهم إلا إلى الله، يحسبهم الجاهل بأمرهم وماهم أغنياء من تعففهم عن المسألة وتركهم التعرض لما في أيدي الناس - والتعبير بالتعفف يفيد الاجتهاد في العفة والمبالغة فيها.

﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾: أي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف، ورثاثة الحال، وصفرة ألوانهم من الجوع وغيره .

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾: إِلْحَافًا: سؤال إلزام من لزوم ومداومة في الشيء أي إلحاحًا .

اختلف العلماء في هذه الجملة إلى قولين :

أحدهما : لا يسألون ألبتة، وهذا على أنهم متعففون عن المسألة عفة تامة،

ويكون التعفف صفة ثابتة لهم لا يسألون الناس إلحافًا ولا غير إلحاف.

وثانيها : المراد نفي الإلحاح أي أنهم يسألون غير إلحاف وهذا هو السابق منهم أي يسألون غير ملحين، وفي هذا تنبيه على سوء حال من يسأل الناس إلحافًا أي يثبت السؤال وينفي الإلحاح .

وجمهور المفسرين على الرأي الأول لأنه ؛ تعالى لما وصفهم بالتعفف، وعرف عبادة أنهم ليسوا أهل مسألة بحال، وأنهم يعرفون بسيماهم، زاد عباده إبانة لأمرهم وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة - التي تكون في الملحين في السؤال - عنهم .

وأرى توضيحًا لرأي جمهور المفسرين: أن التعفف يدل على أنهم لا يسألون الناس الحافًا أو غير إلحاف .

لكن التقييد بالإلحاف يدل على وقوع السؤال قليلاً جدًا .

إذن يمكن أن يفهم من ذلك أنهم لا يسألون الناس من شدة تعففهم، ولكن حالهم هو الذي يدل على سؤال الناس على وجه التلميح لا التصريح، كما يؤيده ويؤكده قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ - والله أعلم بمراده .

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ : لما رغب المولى ﷻ في التصدق للفقراء الموصوفين بهذه الأوصاف أردفه بما يدل على عظيم ثوابه فهو تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ بما ينفقه الإنسان من الخير ومقداره لا يخفي عليه شيء فيجازيكم بذلك أحسن الجزاء، وفيه ترغيب على الإنفاق .

مناسبة الخاتمة للآية :

لما ذكر المولى ﷻ هؤلاء الفقراء الذين يكتمون الحاجة، فإن في ذلك إشارة إلى أن إعطاءهم لن يكون إلا سرا وفي تطلف لا يخدش إباءهم ولا حياءهم، ولا

يجرح كرامتهم، لذلك كانت الخاتمة موحية بإخفاء الصدقة وإسرارها ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ في أي وقت أنفقتموه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ وهنا يطمئن أصحاب الصدقة الخفية وصدق النية بعلم الله بها وجزائه عليها، وإن اجتهدوا في إخفائها حين إعطائها لمن لا يسأل؛ فالله وحده يعلم السر ولا يضيع عنده الأجر.

وذكر العلم في موضع الجزاء أعظم في الترغيب، وأخوف في الترهيب، وأعظم وقعًا من ذكر الجزاء(١).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٧٣ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ١٠٠-١٠٥، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٩٨، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ٢٢٢ في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣١٥، ٣١٦.

مناسبة الآية لما قبلها :

لما أمر المولى بالنفقة في سبيل الله وترك التعامل الربوي، والديون الربويه والبيوع الربويه، بسط في هذه الآية وأرشد إلى حفظ المال الحلال وصونه عن الفساد فجاء الحديث في هذه الآية عن القرض الحسن بلا ربا ولا فائدة، وعن المعاملات التجارية الحاضرة المبرئة من الربا .

الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾

هذه آية الدين وهي أطول آيات القرآن العظيم وهي تتناول أحكامًا عظيمة خاصة بالدين والتجارة والرهن والمعاملات التجارية المبرأة من الربا .

١-فالآية تقرر كتابة الدين الآجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ هذا إرشاد من الله تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها، ولابد أن يكون الأجل معلومًا كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام .

٢-وتعين الشخص الذي يقوم بكتابة الدين: ﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ بينكم أي بين صاحب الدين والمدين، والبائع والمشتري، والمقرض والمستقرض، فهو كاتب وليس أحد المتعاقدين للاحتياط والحيدة المطلقة، وهذا الكاتب مأمور أن يكتب بالحق والإنصاف، لا يكون في قلبه ولا في قلمه ميل لأحد منهما على الآخر، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص فيه، وهذا الكاتب مكلف من الله ألا يمتنع ولا يتأخر عن الكتابة مع تذكر لطيف بنعمة الله عليه ووفاء لفضله تعالى عليه، فكما علمه مالم يكن يعلم

فليتصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة وليكتب .

٣-ثم ينتقل إلى فقرة تالية وهي كيف يكتب: فليكتب الكاتب، وليملل من وجب عليه الحق، أي المدين هو الذي يملي على الكاتب الدين ومقداره وشروطه وأجله، يمل ما يريد الارتباط به عن طيب خاطر، وفي الوقت نفسه يناشد ضمير المدين أن يتقي الله ربه ولا ينقص شيئا من الدين الذي يقر به، ولا سائر أركانه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ .

وجمع بين اسمه تعالى ﴿ ٱللَّهَ ﴾، ﴿والرب﴾ ليذكره تعالى كونه مربيًا له مصلحًا لأمره باسطًا عليه نعمه، وقدم اسمه تعالى ﴿ٱللَّهَ﴾، لأن مراقبته من جهة الألوهية والعبودية أسبق من جهة النعم .

- وإن كان سفيهًا لا يستطيع ولا يحسن تدبير أموره، أو كان صغيرًا أو ضعيفا أو لا يستطيع ان يمل هو إما لعمى أو جهل أو لآفة في لسانه، أو لسبب من الأسباب المختلفة الحسية أو العقلية فليملل ولي أمره القيم عليه بالعدل، والعدل يذكر هنا لزيادة الدقة كي تتوافر الضمانات كلها لسلامة التعاقد .

وبعد أن ينهي المولى ﷻ الكلام عن الكتابة في جميع نواحيها ينتقل إلى نقطة أخرى في العقد وهي الشهادة .

- لابد من شهيدين على العقد مرضي عنهما من الطرفين ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ .

اطلبوا أن يشهد لكم شهيدان من رجال المؤمنين فإن لم يكن الشهيدان رجلين فليشهد رجل وامرأتان ممن تعرفون عدالتهم من أهل الفضل والدين والكفاءة، إن نسيت إحداهما تذكرها الأخرى .

- وكما وجه الخطاب في أول الآية إلى الكتاب ألا يأبوا الكتابة يوجه هنا إلى الشهداء ألا يأبوا الشهادة، فتلبية الدعوة للشهادة فريضة وليست تطوعًا، فهو وسيلة لإقامة العدل وإحقاق الحق .

وهنا ينتهي الكلام عن الشهادة فينتقل المولى ﷻ إلى غرض عام للتشريع يؤكد ضرورة الكتابة كبر الدَّين أم صغر .

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ : هذا من تمام الإرشاد لضبط أموال الناس وتحريض على ألا يقع النزاع، وهو الأمر بكتابة الحق صغيرًا كان أو كبيرا إلى وقته الذي اتفق المتداينان على تسميته .

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ : إيحاء وجداني بأن الله يحب هذا ويؤثره، كذلك الشهادة على أمر مكتوب أقوم من الشهادة التي تعتمد على الذاكرة وحدها لاحتمال النسيان إذا لم يكتب، وأقرب لعدم الريبة في صحة البيانات التي تضمنها العقد، بل ترجعون عن التنازع إلى الكتاب الذي كتبتموه فيفصل بينكم بلا ريب.

- ثم ينتقل إلى التجارة الحاضرة ليستثنى بيوعها من قيد الكتابة وتكفي فيها شهادة الشهود تيسيرًا للعمليات التجارية التي يعوقها التعقيد والتي تتم في سرعة، وتتكرر في أوقات قصيرة، أي إذا كان البيع حاضرًا يدًا بيد فلا بأس بعدم الكتابة لانتفاء المحذور في تركها، وأشهدوا على حقكم على كل حال.

- ثم يقرر حقوق الكتاب والشهداء كما قرر واجباتهم من قبل العقد، فقد أوجب عليهم ألا يأبوا الكتابة أو الشهادة، والآن يوجب لهم الحماية والرعاية ليتوازن الحق والواجب في أداء التكاليف العامة أي لا يحصل ضرر على كاتب أو

شهيد بسبب أدائه لواجبه الذي فرضه الله عليه .

ثم يحذرهم من مخالفة أمره ﷻ: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ إن خالفتم ما أمرتم به أو فعلتم ما نهيتم عنه فإنه خروج بكم عن الشرع الذي نهجه الله لكم.

– وعلى عادة القرآن في إيقاظ الضمير، واستجاشة الشعور كلما هم بالتكليف ليستمد التكليف دفعته من داخل النفس، يدعو المؤمنين إلى تقوى الله، ويذكرهم بأن الله هو المتفضل عليهم وهو الذي يعلمهم ويرشدهم، وأن تقواه تفتح قلوبهم للمعرفة، وتهيئ أرواحهم للتعليم ليقوموا بحق هذا الإنعام بالطاعة والرضا والإذعان.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾: لما كان قوله تعالى: ﴿تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ خطابًا على سبيل الوعيد أمر بتقوى الله في جميع أوامره ونواهيه حتى لا يقع في الفسق .

وهو وعد من الله بأن من اتقاه علمه، وذلك بأن يجعل في قلبه نورًا يفهم به ما يلقى إليه وهو كقوله تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [الحديد:٢٨].

وهذه الجملة تذكر بنعمة تقوى الله التي أشرفها التعليم للعلوم .

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: والله الذي له كل صفات الكمال عالم بحقائق الأمور ومصالحها وعواقبها، فلا يخفي عليه شيء من الأشياء، بل علمه تعالى محيط بجميع الكائنات، وفيها إشعار بالمجازاة للفاسق، ووعد للمتقي .

وأعيد لفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ في هذه الجمل الثلاث ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ . . .﴾ لإدخال الروعة، وتربية المهابة، وللتنبيه على استقلال كل منهم بنفسه، فلا تحتاج إلى ربط بالضمير بل اكتفى فيها بربط الحرف العاطف، وليست على معنى

واحد، فإن الأولى حث على التقوى، والثانية وعد بالإنعام، والثالثة تعظيم شأنه تعالى .

مناسبة الخاتمة للآية :

ختم آية المعاملات بصيغة العلم بعد الأمر بالتقوى في غاية المناسبة لما يفعله المتعاملون من الحيل التي يجتلب كل منهم بها الحظ لنفسه، والترغيب في امتثال ما أمرهم به، فقال عاطفًا على ما تقدم من أمر ونهي أو على ما تقديره : فافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، وخافوا الله الذي له العظمة كلها فيما أمركم ونهاكم عنه ؛ لأنه بكل شيء عليم .

كذلك لما كانت الآية كلها تعليمًا وإرشادًا من المولى ﷻ كان من الضروري أن تختم باسمه تعالى ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يشرع إلا ما فيه مصلحة العباد.

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي يعلمكم من هو بكل شيء عليم فيها من العظمة والمهابة ما فيها، وهو ختم جامع لبشرى التعليم(١).

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣].

مناسبة الآية لما قبلها

هذه الآية تكملة في أحكام الدين ففي الآية السابقة أمر المولى ﷻ بالكتابة

---

(١) راجع تفسير سورة البقرة آية ٢٨٢ في كل من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ٢٤٣، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٧٤٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٣٤، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٥٤٥، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣٣٤.

والإشهاد لمصلحة حفظ الأموال والديون، وأعلم في هذه الآية أنه ربما تعذر ذلك حين يكون الدائن والمدين على سفر فلا يجدان كاتبًا، فتيسيرًا للتعامل مع ضمان الوفاء للدين رخص الشارع في التعامل بلا كتابة مع تسليم رهن للدائن ضمانًا للدين.

الآيــة :

إن كنتم مسافرين وتداينتم إلى أجل مسمى ولم تجدوا كاتبًا يكتب لكم فليكن بدل الكتابة رهان[1] مقبوضة بيد صاحب الحق وثيقة لدينه.

وليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن حينما تتعذر الكتابة أو تقتضي الظروف ذلك، والرهن في السفر والحضر سواء، لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رهن درعه في المدينة عند يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير[2].

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: هذا وجه ثالث من البيع والمداينة وهو بيع الأمانة أي بيع لا يكون فيه كتابة ولا رهن فإن وثق رب الدين بأمانة المدين، وأحسن الظن به فلم يخف خيانته وجحده فدفع إليه ماله بغير كتاب ولا رهن، فليؤد الغريم ما ائتمنه عليه رب المال ولا يخلف ظنه في أداء أمانته وحقه إليه.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾: في الا يكتم من الحق شيئًا يؤديه عند حلول الأجل،

---

(١) الرهن: احتباس الدين وثيقة بالحق ليستوفي الحق من ثمنها أو من ثمن منافعها عند تضرر أخذه من الغريم.

(٢) متفق عليه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت «توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير» رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في درع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقميص في الحرب حديث (٢٩١٦) وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/ ١١٦، ورواه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر حديث (١٢٤/ ١٦٠٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١١/ ٤٢.

وفي الجمع بين قوله تعالى ﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿رَبَّهُۥ﴾ تأكيد للأمر بالتقوى في أداء الدين كما جمعهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٢]. فأمر بالتقوى حين الإقرار بالحق وحين أداء الحق فاكتنفه الأمر بالتقوى حين الأخذ وحين الوفاء تعظيمًا لحقوق العباد وتحذيرًا عما يوجب وقوع الفساد.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾: كتم الشهادة هو إخفاؤها بالامتناع عن أدائها عند الحاجة إلى إقامتها إذا دعى الشاهد إلى ذلك.

لما أباح المولى ﷻ ترك الكتابة والرهن عند الضرورة وعند اعتقاد كون المدين أمينًا، ثم كان من الجائز في هذا المدين أن يخلف الظن، وأن يخرج خائنًا جاحدًا للحق، فهنا ندب المولى ﷻ الشاهد أن يسعى إلى إحياء هذا الحق، وأن يشهد لصاحب الحق بحقه.

وفي هذه الجمل دليل على ضرورة الإشهاد على البيع في جميع الأحوال.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ هذا نهي تحريم لوجود الوعيد على من كتمها، فقد أتبع تعالى النهي التهديد، فقال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾.

وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ﴾ [المائدة:١٠٦].

وكتمان الشهادة هو إخفاؤها فلا يتكلم بها، ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ فاجر قلبه يكتسب بكتمانه إياها معصية، وفائدة ذكر القلب أن إخفاءها لما كان إثمًا مقترفا بالقلب أسند إليه، لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ، ولئلا يظن أن كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط، وليعلم أن القلب هو الأصل واللسان ترجمان عليه، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح كما قال ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا

صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[١].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾: بما تعملون من كتمان الشهادة أو أدائها على وجهها، وغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها ﴿عَلِيمٞ﴾ يحصي عليكم أعمالكم ويجازيكم بها، وهو تهديد للمبالغة والتأكيد في حفظ الأموال وصيانتها من الضياع.

مناسبة الخاتمة للآية :

لما أمر المولى ﷻ في الآية من عدم كتمان الشهادة ووصف من يكتمها بأنه ﴿ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ حذر من الإقدام على هذا الكتمان وهدد، فمن علم أن الله ﴿عَلِيمٞ﴾ لا يخفي ولا يغيب عن علمه ما يخفيه في قلبه كان خائفًا حذرًا من مخالفة أمره تعالى فهو يعلم أنه تعالى محاسبه على كل تلك الأفعال ومجازيه عليها[٢].

---

(١) جزء من الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه حديث (٥٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١/ ١٥٣.

(٢) راجع تفسير آية ٢٨٣ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ١٣٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٢٧، البحر المحيط لابن حيان ٢/ ٧٤٧-٧٤٩، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٣٢٢.



(البصير) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى:

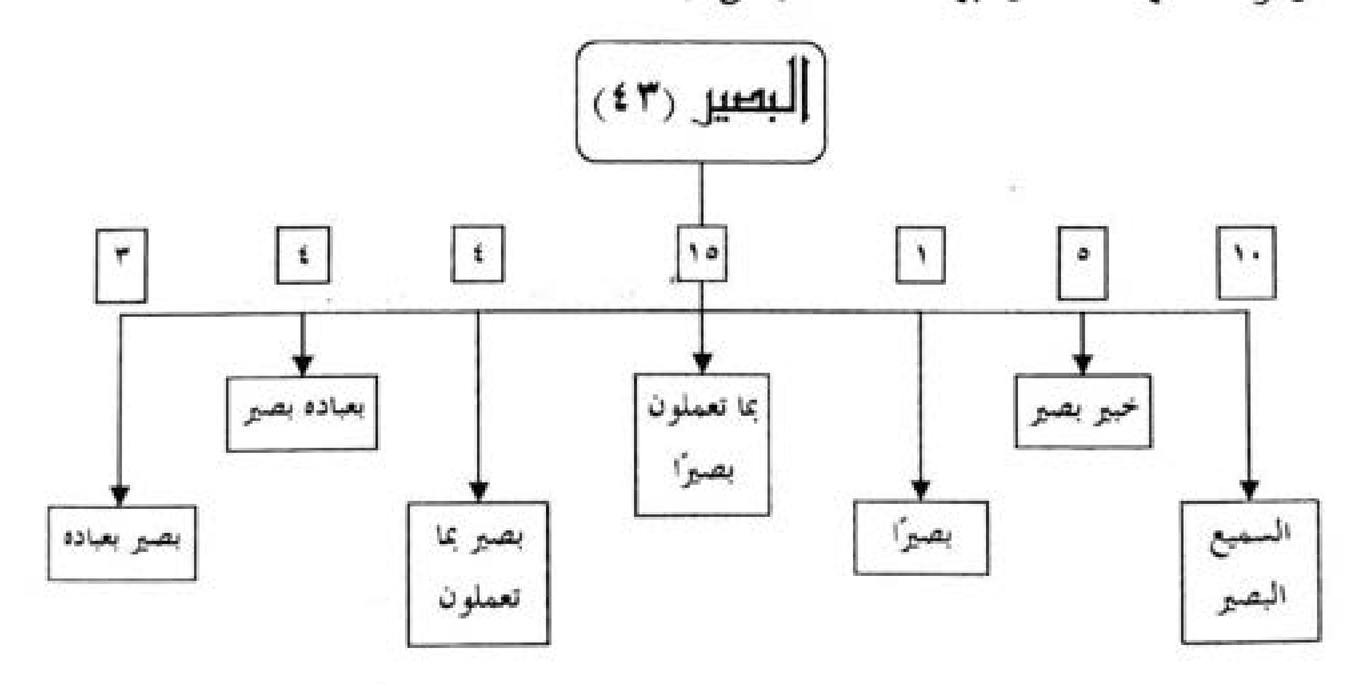
ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة.

وورد مقترنًا باسمه تعالى ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ في عشر آيات ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وباسمه تعالى ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ في خمس آيات ﴿خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ منها ثلاث آيات في سورة الإسراء، وورد مفردًا مطلقًا من القرينة في آية واحدة ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

وورد مقيدا متعلقا بالعباد في سبع آيات، ومقيدًا متعلقًا بالعمل في تسع عشرة آية[1].

ويلاحظ في استخدام القرآن لهذا الاسم إذا جاء مطلقًا غير مقيد ما يلي:

تأخره ومجيئه تاليًا لقرينه سواء كان اسمه تعالى ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ أو ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ وقوعه دائمًا عند اقترانهما (فاصلة) رأس آية.



(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص١٢٢.

ورد في سورة البقرة خمس مرات:

أربع آيات ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

آية واحد ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

البصيـر: لغـة:

البصر: حاسة الرؤية ويقال للجارحة الناظرة: العين وقوة الإدراك، أبصر فلان: نظر ببصره فرأى.

رجل بصير: مبصر

وتأتي بمعنى: علم: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ وجمعها أبصار

ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة، وجمعها بصائر ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨] أي معرفة وتحقق.

البصيرة: الفطنة، ومن أسماء الله تعالى ﴿الْبَصِيرُ﴾:

هو الذي يشاهد الأشياء ظاهرها وخافيها [١].

البصيـر: اصطلاحـًا:

البصير جل جلاله: هو الذي يشاهد ويرى جميع المبصرات ظاهرها وخافيها في أقطار الأرض والسماوات، ولا يغيب عنه ما تحت الثرى، يبصر خائنة الأعين وما تخفى الصدور، قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨-٣٩].

---

(١) راجع لسان العرب ٤/ ٦٤-٦٨، مختار الصحاح ٢٢، المعجم الوجيز ٥٣، ٥ - معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٠.

تنبيها لعباده بأنه يرى ما لا يرون .

وقال تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣].

فالمولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متعالٍ على أن يحاط به، لكنه يدرك ما لا تدركونه من أنفسكم، فهو ﷻ يرى الأجنة في بطون أمهاتها، ويرى اختلاف حركاتها، يرى الأجهزة داخل جسم الإنسان وينظر إلى القلوب ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ ﴾ [سبأ:٣]. تستوي عنده المسافات والأبعاد، ويرى ما تحت الثرى كما يرى طبقات السماوات العلا، ليست سماء أقرب إليه من سماء بل جميع ما تحت العرش عند بصره سواء.

والحق ﷻ يرى ما نحن عليه من طاعة فيوالينا بلطفه ورحمته، وما نحن عليه من معصية فيحاسبنا بعدله، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما أنتهى إليه بصره من خلقه»[1] .

وبصر الله ﷻ لا يشبه في شيء بصر المخلوقات، وإنما له تعالى بصر يليق بذاته سبحانه كما قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الإيمان باب في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام» وفي قوله «حجابه النور»، حديث (٢٩٣/ ١٧٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٣/ ١٧ سبحان وجهه: نوره وجلاله وبهائه.

والتقدير: لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورًا أو نارًا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته. والله أعلم.

«ويستحيل عليه ضده لأنه نقص والنقص في حقه تعالى محال»[١].

حظ العبد من اسمه تعالى البصير:

«حظ العبد من حيث الحس من وصف البصر ظاهر ولكنه ضعيف قاصر إذا لا يمتد إلى ما بعد، ولا يتغلغل إلى باطن ما قرب، بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن والسرائر»[٢].

فالمولى ﷻ خلق الإنسان وجعل له بصرًا يبصر به ما حوله وليس له إلا مدى محدود لا يستطيع أن يتجاوزه.

وإنما حظه الديني:

فالمولى ﷻ أخبر عباده بأسمائه وصفاته ليعرفوه بها، ويخافوا مقامه، ويعبدوه، ويدعوه بها.

فمن عَلِمَ علمَ اليقين أن الله ﴿بَصِيرٌ﴾ يراهم ويدرك أبصارهم وبصائرهم ويبلو أعمالهم وسرائرهم ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء:

١- لم يضع نفسه في الموضع الذي لا يريد الله أن يراه فيه، ولا يتخلى عن موضع أراد الله له أن يكون فيه، وهذه هي التقوى الخالصة في أرقى معانيها: ألا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك.

٢- لا يستهين بنظر مولاه إليه واطلاعه عليه فمن أخفى من غير الله ما لا يخفيه من الله فقد استهان بنظر الله، فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله يراه فما

---

(١) المقصد الأسنى ى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي ص٩٠.

(٢) المرجع السابق ص٩١.

أجسره وما أخسره، ومن ظن أن الله لا يراه فما أظلمه وأكفره، فيجب على العبد أن يستحيي من اطلاع الله عليه فينزه سمعه، وبصره، ويحفظ لسانه وبصره عن كل ما نهى عنه، فإن عصيت مولاك فاعصه في موضع لا يراك فيه.

٣- من عرف أن مولاه بصير فلابد أن يراقب نفسه دوام المراقبة ويطالب نفسه بدقيق المحاسبة، فالمراقبة من أعظم ثمرات الإيمان؛ فهي الإحسان الذي قال عنه رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(١)]

٤- وليعلم العبد أن الله ﷻ خلق له البصر لينظر إلى الآيات وإلى عجائب ملكوت الأرض والسماوات، فلا يكون نظره إلا عبره.

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

٥- **وقال تعالى:**

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٥].

والآيات في ذلك كثيرة، وذلك حتى يهتدي الإنسان إلى قدره الله فيعبده حق عبادته[(٢)].

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلى الساعة، حديث (٥٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري١/ ١٤٠ ومسلم في صحيحه/ باب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث (١/ ٨) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١/ ١٨١.

(٢) راجع: الأسماء والصفات للبيهقي ص٢٠٨، أسماء الله الحسنى للقشيري ٧٦، أسماء الله الحسنى محمد بكر إسماعيل ص١٠٩-١١٠.

قال تعالى :

(١) ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٩٦].

(٢) ﴿ وَأَقِيمُوا۟ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:١١٠].

(٣) ﴿ وَالْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا۟ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

(٤) ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ الَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٣٧].

(٥) ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٦٥] .

قال تعالى:

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:٩٦].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية تدخل في سياق الآيات التي تتجه بالخطاب إلى الجماعة المسلمة تبصرها بأساليب اليهود، ووسائلهم في الكيد والفتن، وتحذِّرهم من ذلك في ضوء تاريخهم وجبلتهم حتى لا تنخدع الجماعة المسلمة بأقوالهم ودعاويهم ووسائلهم الماكرة في الفتنة والتضليل.

ففي الآيات السابقة ذمهم المولى ﷻ على ما أمرهم به إيمانهم، ولا إيمان لهم في الحقيقة، بل نسب ذلك إليهم على سبيل التهكم من عباده العجل واتخاذه إلهًا من دون الله. ثم كذبهم في دعواهم أن الجنة خالصة لهم لا يدخلها أحد سواهم، فأمرهم بتمني الموت؛ لأنه من اعتقد أنه يصير إلى نعيم دائم وجنة دائمة لا تنقضي يؤثر الوصول إلى ذلك، فأخبر تعالى أن تمني الموت لا يقع منهم أبدًا وأن امتناعهم عن ذلك هو بما قدمت أيديهم من الجرائم فظهر كذبهم بدعواهم أن لهم الدار الآخرة خالصة من دون الناس.

ثم بين في هذه الآية خصلة أخرى في اليهود يصورها القرآن تفيض زراية، وتحقيرًا ومهانة وهي شدة حرصهم على حياة، أية حياة لا يهم أن تكون حياة كريمة، ولا حياة مميزة على الإطلاق، حياة بهذا التنكير والتحقير.

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾: لتجدن يا محمد اليهود من بني

إسرائيل أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا، كما يقال:

هو أشجع الناس ومن عنترة بمعنى هو أشجع من الناس ومن عنترة .

هذه تتمة الحجة عليهم في أنهم أهل باطل، فظهور هذا الحرص العظيم عندهم على حياة متطاولة مهما كان نوع هذه الحياة حتى أنهم أشد حرصًا من الناس ومن الذين أشركوا خاصة الذين لا يؤمنون بالمعاد، وما يعرفون إلا الحياة الدنيا لذلك يود المشرك لو يعمر ألف سنة ؛ فهو حريص على الحياة لأنها هي جنته، فإذا زاد عليه في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقًا بأعظم توبيخ.

وإنما زاد حرصهم على المشركين لأنهم؛ علموا أنهم صائرون إلى عذاب وخزي لما ضيعوا بما عندهم من العلم، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم.

﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ : وما طول العمر بمبعدهم من عذاب الله ـ ولا منجيهم منه، ولا يؤثر في إزالة العذاب أقل تأثير .

لأنه لابد للعمر من الفناء ومصيره إلى الله، فإن المرجع إليه والأمر كله بيديه.

﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ : ختم الآية بأن الله تعالى مطلع على أفعالهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو بجميعها محيط، ولها حافظ ذاكر ومجازيهم عليها(١) .

مناسبة الخاتمة للآية :

لما كانت الآيات تدل على أن اليهود أهل باطل فيما يدعونه من اختصاصهم

---

(١) راجع تفسير آية ٩٦ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١/ ٥٠٩-٥٩١ البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٥٠٨/٠٣ في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٩٢.

بالآخرة ومع ذلك لا يتمنون الموت أبدًا بل هم أحرص ما يكون على حياة .

جاءت الخاتمة في صورة تهديد ووعيد، فأتى بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ المشعر بالمهابة والخوف، واتبعه اسمه تعالى ﴿بَصِيرٌ﴾ زيادة في التخويف والوعيد وإعلامًا بأنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم .

«ولا تترجم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمعنى ﴿عَلِيمٌ﴾ وإنما المولى ﷻ أراد ذكر بصير بالتحديد فالبصر ليس المقصود منه إدراك ما يعلمه الإنسان وإنما مطابقة حركة الإنسان وعمله مع ما يرضاه الله، ومتابعة الحركة في الحياة تحتاج إلى البصر ولا تحتاج إلى العلم، وعندما يخبر المولى ﷻ أنه بصير بكل سكناتهم وحركاتهم ففي هذا وعيد وتهديد لهم إذا انحرفوا عما يعلمون»[1] .

قال تعالى:

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠].

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن حذر المولى ﷻ عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب، وبعد أن أعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، أمر عباده المؤمنين بالعفو والصفح حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح.

ثم أمرهم في هذه الآية بالإقبال على إصلاح النفس والإحسان إلي الغير وذلك بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، إذ الصلاة فيها مناجاة الله تعالى والتلذذ

---

(١) أسماء الله الحسنى لمحمد متولي الشعراوي ٣/ ١٤..

بالوقوف بين يديه، والزكاة فيها الإحسان إلي الغير بالإيثار على النفس، فأمروا بالوقوف بين يدي الحق والإحسان إلى الخلق وحثهم على ذلك ورغبهم فيه.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: إقامة الصلاة: أداؤها بحدودها وفروضها.

إيتاء الزكاة: إعطاؤها عن طيب نفس على ما فرضت ووجبت.

﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: هذه الجملة عامة في كل أنواع الخير ويندرج فيها الصلاة، والزكاة، وغيرهما فرضًا، ونفلاً.

يحثهم المولى ﷻ علي الاشتغال بما ينفعهم وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل كل الخيرات حتى يمكن لهم النصر في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، فيجدوا ثوابه عند الله، ويربيه لهم بما له من الكرم والرحمة، فإقامة الصلاة كفارة للذنوب، وإيتاء الزكاة تطهير للنفوس والأبدان من أدناس الآثام، وفي تقديم الخيرات الفوز بالرضوان.

ووصل الوعد بالجزاء علي العمل بما يبعث المؤمن علي الإحسان فيه ويدل علي تحققه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

هذا الخبر من المولى ﷻ للذين خاطبهم من المؤمنين أنهم مهما فعلوا من خيرٍ أو شرٍ، سرًا أو علانية فهو بصير لا يخفي عليه عمل عامل ولا يضيع لديه شيء. فيجزيهم بالإحسان خيرًا، وبالإساءة مثلها.

مناسبة الخاتمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ للآية:

المجيء بالاسم الظاهر يدل علي استقلال الجمل لذلك جاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ ولم يجئ (إنه) مع إمكان ذلك في الكلام، وذلك تحقيقًا للبشرى بالإيحاء إلي استحضار ما يدل عليه هذا الاسم العظيم من صفات الجلال والإكرام، وإشعارا بالاستئناف

للخير ليكون ختمًا جامعًا، لأنه لو أختم بقوله (إنه) لكان ربما أفهم تقييد عمله بما تقدم من عمل الخير ؛ لأن الغالب من المضمر إرادة المعني الأول أما الإظهار لقصد عموم العمل.

وهذه الجملة وإن كانت قد خرجت مخرج الخبر فإن فيها وعداً، ووعيداً، وأمراً، وزجرًا. وذلك أنه أعلم القوم أنه بجيمع أعمالهم بصير ليجدوّا في الطاعة[1].

قال تعالى:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية ضمن مجموعة آيات تتناول بعض أحكام الزواج، والمعاشرة والإيلاء، والطلاق، والعدة، والنفقة، والمتعة فهي تتضمن جانبًا من التنظيم للقاعده الركنية التي يقوم عليها نظام الأسرة في الجماعة المسلمة ويقوم عليها المجتمع الإسلامي أحاطها الإسلام برعاية ملحوظة، واستغرق تنظيمها وتطهيرها من فوضى الجاهلية جهدًا كبيرًا، وهذه الآية خاصة بالرضاعة والحضانة والاسترضاع والأجر.

---

(١) راجع تفسير آية ١١٠ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١/ ٥٠٥-٥٠٧- البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٥٩٩-٥٦٠ نظم الدر للبقاعي ١/ ٢٢٠.

الآيــة:

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: هذا إرشاد من المولى ﷻ للوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين فهو سبحانه الخالق وهو سبحانه العليم بما يصلح العباد ويعلم مدى أهمية هذه الفترة من حياة الطفل من جميع الوجوه الصحية والنفسية، ولا اعتبار للرضاعة بعد ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾، وذهب أكثر الأئمة إلي أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم.

وأكد المولى ﷻ بصفة الكمال ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ لبيان أن التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة، ثم بين تعالى أنه يجوز الفطام للمصلحة قبل ذلك وأنه لا إرضاع بعد التمام.

وللوالدة في مقابل ذلك حق على والد الطفل أن يرزقها ويكسوها بالمعروف والمحاسنة، فكلاهما شريك، وكلاهما مسئول تجاه هذا الصغير الرضيع هي تمده باللبن والحضانة، وأبوه يمدها بالغذاء والكساء وكل منهما يؤدي واجبه في حدود طاقته.

ولا ينبغي أن يتخذ أحد الوالدين من الطفل سببًا لمضرة الآخر، فلا يستغل الأب عواطف الأم وحنانها ولهفتها علي طفلها ليهددها به، ولا تستغل هي عطف الأب على ابنه وحبه له لتثقل كاهله بمطالبها.

والواجبات الملقاة على الوالد تنتقل في حالة وفاته إلى وارثه الراشد، من الإنفاق علي والدة الطفل وكسوتها وعدم الإضرار بها.

وعندما يستوفي المولى ﷻ هذا الاحتياط يعود إلى استكمال حالات الرضاعة ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ إن شاء الوالد

والوالدة أو الوالدة والوارث أن يفطما الطفل قبل استيفاء الحولين ؛ لأن تمام الحولين غاية لتمام الرضاع وانقضائه ولا تشاور بعد انقضائه، إن شاءا ذلك لمصلحة الصغير بسبب صحي أو سواه، وإذا تم هذا بالرضا بينهما وبالتشاور في مصلحة الصغير الموكول إليهما رعايته والمفروض عليهما حمايته، ورحمة من المولى ﷻ لهذا الصغير الضعيف فلم يصرح لهما بالإذن في الفطام بعد اجتماع كل هذه الشرائط، بل قال عز من قائل: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ .

كذلك إذا رغب الوالد في أن يحضر لطفله مرضعًا مأجورة حين تتحقق مصلحة الطفل في هذه الرضاعة فله ذلك، علي شرط أن يوفي المرضع أجرها وأن يحسن معاملتها، حتى تكون طيبة النفس راضية، حتى تكون للطفل ناصحة وله راعية وواعية.

وفي النهاية يربط الأمر كله بذلك الرباط الإلهي، بالتقوى، بذلك الشعور العميق اللطيف الذي يكل إليه ما لا سبيل لتحقيقه إلا به.

ولما كان التقدير: وافعلوا جميع ما أمرتكم به وانتهوا عن جميع ما نهيتكم عنه عطف عليه بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

خافوا الله فيما فرض لبعضكم على بعض من الحقوق، وبما ألزم نساءكم لرجالكم ورجالكم لنسائكم، وفيما أوجب عليكم لأولادكم، فاحذروا أن تخالفوه واعلموا أن الله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم سرها وعلانيتها، خفيها وظاهرها، خيرها وشرها، يراه ويعلمه فلا يخفي عليه شيء، ولا يغيب عنه منه شيء، فهو يحصي كل ذلك عليكم حتى يجازيكم بخير ذلك وشره.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان كثير من أحكام هذه الآية متعلقًا بأمر الأطفال الذين لا قدرة لهم ولا منعة مما يفعل بهم، حذر وهدد بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ وأتى بالصفة التي هي ﴿بَصِيرٌ﴾ مبالغة في الاحتياط بما يفعلونه معهم والاطلاع عليهم، وذلك إشارة إلى المجازاة وتهديد ووعيد لمن خالف أمر الله[1].

قال تعالى:

﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٣٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين المولى ﷻ حال المطلقة قبل الدخول ولم يكن قد فرض لها مهرًا معلومًا، بين حالة المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها مهرًا معلومًا.

ففي هذه الآية بيان حكم المطلقة غير المدخول بها إن سمى لها مهرًا ففي هذه الحالة يجب لهن نصف ما سمى من المهر قبل طلاقهن، ولكن القرآن يدع الأمر بعد ذلك للسماحة والفضل واليسر، فأذن الله للزوجة التي تملك أمر نفسها- ولوليها إن كانت صغيرة- أن تعفو وتصفح وتترك ما يفرض القانون لها إن شاءت، وللزوج كذلك أن يعفو عن الصداق ويسلمه إليها كاملاً.

---

(١) راجع تفسير آية ٢٣٣ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٥/ ١٤٠-١٦٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ١٠٨-١١٢، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٩٦-٥١٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٢.

فليعف بعضكم لبعض، أيها الأزواج والزوجات بعد فراق بعضكم بعضاً كما وجب لبعضكم قبل بعض، فيتركه إن كان قد بقي له قبله أو يوفيه بتمامه أقرب لكم إلي تقوى الله، ولا تغفلوا أيها الناس الأخذ بالفضل بعضكم علي بعض فتتركوه، ولكن ليتفضل الرجل المطلق زوجته قبل مسيسها فليعطها صداقها جميعه، وإن كان ساقه إليها فليتفضل عليها بالعفو عما يجب له، فإن شح الرجل بذلك وأبى إلا الرجوع بنصفه عليها فلتتفضل المرأة المطلقة برده جميعه عليه إن كانت قد قبضته منه وإن لم تكن قبضته تعف عن حقها فيه، والتنازل في هذه الحالة هو تنازل الإنسان الراضي القادر العفو السمح الذي يعفو عن مال رجل قد انفصمت منه عروته، أو يعفو بها له فيعوض من لم يتم زواجه منها، فيسارعان في ذلك إلى ما ندبهما الله إليه ودعاهما وحضهما عليه، فكان فعلها ذلك ابتغاء مرضاة الله وإيثار ما ندبه إليهما علي هدي نفسيهما، هكذا يلاحق القرآن هذه القلوب كي تصفو وتخلو من كل شائبة باستجاشة شعور التقوي، وشعور السماحة، والتفضل، وشعور مراقبة الله لتبقي القلوب نقية خالصة صافية موصوله بالله في كل حال.

ثم علل ذلك مرغبًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ الذي له الكمال كله ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أيها الناس مما ندبكم إليه وحضكم عليه من عفو بعضكم عن بعض عما وجب له قبله من حق بسبب النكاح الذي كان بينكم وبين أزواجكم.

﴿بَصِيرٌ﴾: لا يخفى عليه شيء من أموركم وأحوالكم، بل هو يحصيها عليكم ويحفظها وسيجزي كل عامل بعمله، فلا يضيع ما عملتم من التفضل والإحسان.

مناسبة الخاتمة للآية:

ختم المولى ﷻ هذه الآية بهذه الصفة الدالة على المبصرات، لأن ما تقدمه من

العفو من المطلقات والمطلقين وهو أن تدفع شطر ما قبضته، أو يتركون لهن الصداق كاملاً هو مشاهد مرئي فناسب ذلك المجيء بالصفة المتعلقة بالمبصرات.

والخاتمة خبر في ضمنه الوعد للترغيب في العفو[1].

قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر المولى ﷻ صفة صدقات القوم الذين لا خلاق لصدقاتهم فهم ينفقون أموالهم رئاء الناس، وهم غير مؤمنين فلم تثمر خيرًا ولم تعقب بمثوبة. ذكر ضده وهو نفقات القوم الذين تزكو صدقاتهم إذا كانت وفق الشرع، ووجهه بتمثل محسوس للذهن حتى يتصور السامع تفاوت ما بين الضدين، وهذا من بديع أساليب فصاحة القرآن.

الآيـة:

هذا مثل المؤمنين الذين ينفقون أموالهم فيصدقون بها، ويحملون عليها في سبيل الله، ويقووون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله، وغير ذلك من طاعات الله وطلب مرضاته، وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفى الجزاء.

---

(١) راجع تفسير آية ٢٣٧ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٦٠٧-٦٢١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ١٣٥، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٥٣٤-٥٤١- في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٥٧.

مثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله كمثل بستان بمكان مرتفع من الأرض الشريدة فآتت ثمرها ضعفين بالنسبة إلى غيرها من الجنان، أو يصيبها مطر قليلا لا يكفيها لكرم منبتها، فينوب مناب الوابل في إخراج الثمر ضعفين كذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا بل يتقبله الله ويكثره وينميه.

والله بما تعملون أيها الناس وبما تنفقون ﴿بَصِيرٌ﴾ لا يخفي عليه شيء، يعلم من المنفق ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من نفسه من غيره، يحصي عليكم ذلك حتي يجازي جميعكم جزاءه على عمله إن خيرًا فخير، وإن شراً فشر، وإنما يعني جل ذكره بهذا القول التحذير من عقابه في النفقات التي ينفقها عباده وغير ذلك من الأعمال التي تقدم النهي عنها أو يفرط فيما قد أمر به ؛ لأن ذلك بمرأى من الله ومسمع بعمله ويحصيه عليهم ففيه وعد ووعيد.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان المشهد مجالاً للبصر والبصيرة، ومرد الأمر فيه كذلك إلي رؤية الله ومعرفته بما وراء الظواهر، جاء التعقيب لمسة للقلوب ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ حتى يجتهدوا في إحسان الظاهر والباطن[1].

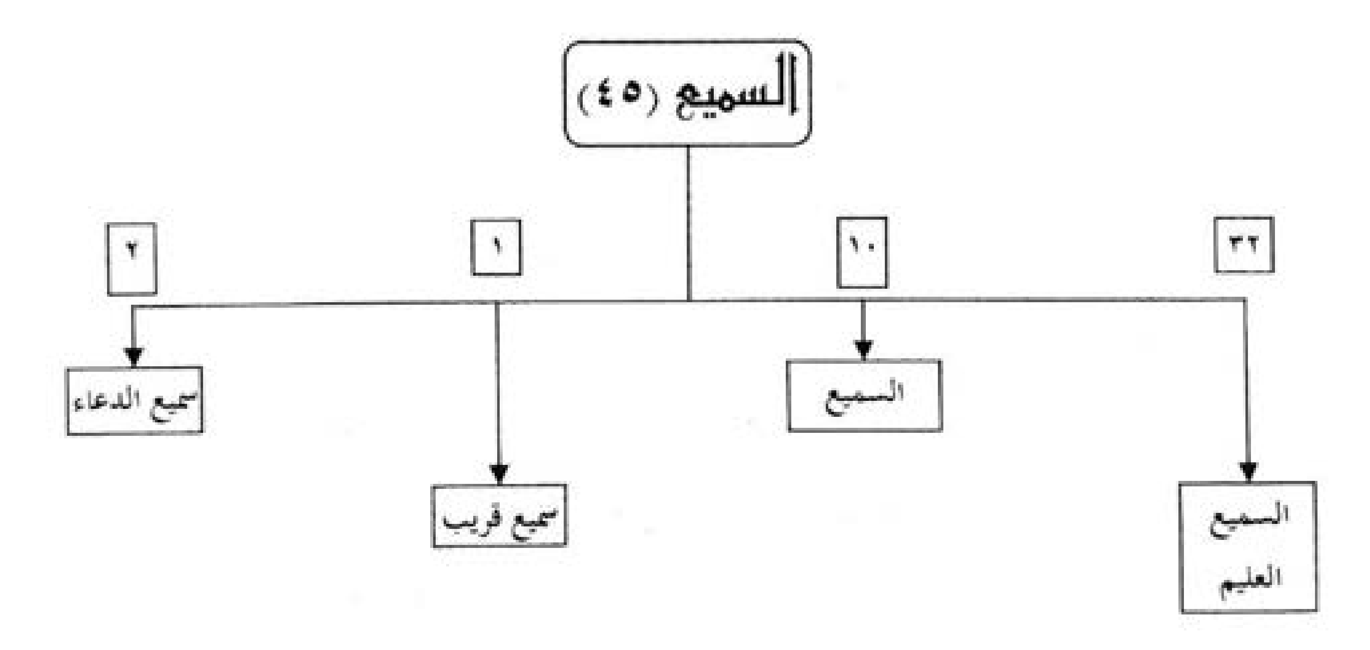
---

(١) راجع تفسير آية ٢٦٥ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ٧١-٧٦، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ٢٠٤، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٦٥.

(السميع) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسني ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس كما ورد في القرآن الكريم خمسًا وأرعين مرة.

ويلاحظ أن هذا الاسم الكريم لم يرد في القرآن الكريم مفرداً، ولم يرد فاصلة، فحيث اجتمع مع غيره من أسماء الله الحسنى جاء متقدمًا عليه أبدًا، وجاء مقترنًا باسمه تعالى ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ في اثنتين وثلاثين آية، ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ عشر آيات، ﴿قَرِيبٌ﴾ آية واحدة، وورد مضافاً ﴿سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ في آيتين[1].



المعنى اللغوي:

السمع: قوة في الأذن تدرك بها الأصوات.

سمع: أصغى وأنصت.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

السمعيات في العقائد: ما يستند إلي الوحي[1].

«وفعل السمع يراد به أربعة معانٍ:

أحدها: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات، ومنه قوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١].

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ...﴾ [آل عمران:١٨١].

الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني، ومنه قوله تعالى:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]. أي لأفهمهم بأن جعل لهم قوة يفهمون بها.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سأل:

وعنه قول المصلي: سمع الله لمن حمده- أجاب حمده وتقبله.

الرابع: سمع قبول وانقياد نحو قوله تعالى:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة:٤١]. وقوله تعالى ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧].

وقد يعبر بالسمع عن الأذن نحو قوله تعالى:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة:٧][2].

السميع: اصطلاحًا:

السميع ﷻ هو الذي وسع سمعه الأصوات كلها فلا يغيب عن سمعه صوت، ولا يشغله صوت من صوت، ولا نداء عن نداء. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة تشكو إلي رسول الله وأنا في

---

(١) راجع لسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٠٩٥ معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٤٨، مختار الصحاح ١٣٢.

(٢) راجع بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٢/ ٢٥٩، بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ص ٢/ ٢٥٩.

ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١][(١)].

وهو تعالى لا تخفى عليه أصوات خلقه في سمائه وأرضه ولا تختلط عليه الألسنة واللهجات.

عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سير فكنا إذا علونا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أيها الناس أربعوا[(٢)] على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ولكنكم تدعون سميعاً قريباً»[(٣)].

وهو تعالى قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وقد نعى المولى ﷻ على الكافرين جهلهم بالله، وعدم إيمانهم بأن الله يسمع سرهم ونجواهم فقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠].

والمولى ﷻ له سمع ولكن ليس كأسماعنا، فهو تعالى كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. والسمع من صفات الألوهية فقد عاب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ علي أبيه عبادته للأصنام قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢].

---

(١) ذكره البخاري معلقاً في صحيحه كتاب التوحيد باب وكان الله سميعًا بصيرًا فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٣٨٤، وذكره ابن ماجه في سننه وصححه الألباني ، سنن ابن ماجه- المقدمة فيما أنكرت الجاهلية- مكتب التربية العربي بدول الخليج بالرياض الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م. ص ١/ ٣٧ صحيح سنن ابن ماجه في اختصار السند للألباني.

(٢) أربعوا: أرفقوا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب لا حول ولا قوة إلا بالله حديث ٦٤٠٩ فتح الباري ١١/ ٢١٧ ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب استحباب خفض الصوت بالذكر حديث (٤٤/ ٢٧٠٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٢٩.

حظ العبد من اسمه تعالى (السميع):

من علم علم اليقين أن الله يسمعه، ويعلم سره ونجواه، وصح إيمانه بهذا الاسم، لم ينطق بالسوء من القول بل يحفظ لسانه ليقينه بأن الله يسمع ويحصي عليه ما يقول، ولعلمه أن الله لا يحب الجهر بالسوء قال تعالى:

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨].

وإذا صح إيمان العبد بهذا الاسم كان من آدابه دوام المراقبة، ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة، وأن يلجأ الإنسان إلى ربه داعيًا إياه أن يتقبل عمله، وأن ينزه سمعه عن كل ما نهى الله عنه[1].

(السميع العليم):

١) ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

٢) ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

٣) ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٨١].

٤) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٤].

٥) ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٧].

---

(١) راجع: الأسماء والصفات للبيهقي ص ٥٧، ٢٠٤- المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي ص ٩٠- الأسماء الحسنى موسوعة القصص القرآني د. حمزة النشرتي وآخرين ٢٢٥.

٦) ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٤٤].

٧) ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال تعالى:

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين المولى ﷻ وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم بين مواقفهم من أنبيائهم وشرائعهم، ومن مواثيقهم وعهودهم، وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠].

شرع سبحانه في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكيفية أحواله، والحكمة فيه أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فقريش ترجع بأصولها إلى إبراهيم عن طريق إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وتعتز بنسبها إليه، وتستمد من هذا النسب القوامة علي البيت، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضًا مقرين بفضله ويرجعون بأصولهم إلي إبراهيم عن طريق إسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ويعتزون بنسبهم إليه، ويحتكرون لأنفسهم الهدي والقوامة على الدين، كما يحتكرون لأنفسهم الجنة. فحكي المولى ﷻ عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أمورًا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتراف بدينه، والإنقياد لشرعه.

فهي تقرر حقيقة دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي التوحيد الخالص، وبعد ما بينها

وبين العقائد المشوهة المنحرفة التي عليها أهل الكتاب والمشركون سواء. وهذه الآية من الأمور التي حكاها المولى ﷻ عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهو دعاؤهما عند البيت.

الآيــة:

واذكر إذ يرفع إبراهيم وابنه إسماعيل القواعد(١) من البيت الحرام يقولان ربنا تقبل منا عملنا وطاعتنا إياك وعبادتنا لك في انتهائنا إلى أمرك الذي أمرتنا في بناء بيتك الذي أمرتنا ببنائه.

وفي ندائهما بلفظ ربنا تلطف واستعطاف بذكر هذا الاسم الدال على التربية والإصلاح بحال الداعي.

وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية، استحضارًا لهذا الأمر ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الابتهال في قبولها، وليعلموا عظمة البيت الحرام فيعظموه.

وفي قولهما ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ دليل واضح علي أن بناءهما ذلك لم يكن بناء مسكن يسكنانه ولا منزلاً ينزلانه، بل هو دليل على أنهما بنياه ورفعا قواعده لكل من أراد أن يعبد الله تقربًا منهما إلى الله بذلك.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾: هذه هي الغاية فهو عمل خالص لله، الاتجاه به في خشوع وقنوت إلي الله، والغاية المرتجاة من ورائه هي الرضا والقبول، وهذا كما حكي المولى ﷻ عن المؤمنين الخلص في قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]. أي يعطون ما أعطوا من الصدقات، والنفقات، والقربات، وقلوبهم خائفة أن لا يتقبل منهم.

---

(١) القواعد: جمع قاعدة وهي الأساس ورفعة البناء عليها لأنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: والرجاء في قبوله متعلق بأن الله (سميع) الدعاء، (عليم) بما وراءه من النية والشعور، كأنهما يقولان: تسمع دعاءنا وتضرعنا، وتعلم ما في قلوبنا من الإخلاص وترك الالتفات إلى أحد سواك، وتعلم الإذعان لك في الطاعة، والمصير إلي ما فيه لك الرضا والمحبة، وما نبدي وما نخفي من أعمالنا. فأعطنا الثواب عما فعلناه لأجلك وتنفيذًا لأمرك.

مناسبة الخاتمة للآية:

«قد يختتم المولى ﷻ بعض الآيات فيها دعاء باسم أو اسمين يتناسبان مع الدعاء المطلوب»[1]، وهذان الاسمان مناسبان هنا غاية التناسب إذ صدر منهما عمل وتضرع وسؤال، فهو (السميع) لضراعتهما وسؤالهما التقبل، وهو العليم بنياتهما في إخلاص عملهما.

وجاءت الجملة مؤكدة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها، وقصر صفتي السمع والعلم عليه ﷻ للكمال في هذه الصفة، ولإظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية، وتقدمت صفة السمع للمجاورة ﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:١٢٧]، مثل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾[آل عمران:١٠٦].

وتأخرت صفة العلم لعمومها إذ تشمل علم المسموعات وعلم النيات وغيرهما.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: توسل إلي الله بهذين الاسمين إلي قبول هذا العمل الجليل... فإنما يراد بالسميع في مقام الدعاء - دعاء العبادة

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٦٩.

ودعاء المسألة، معنى المستجيب كما قال الخليل في الآية الأخرى ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ﴾ [إبراهيم:٣٩].

قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

لازال الحديث عن أهل الكتاب وفيما شجر بين اليهود والجماعه المسلمة في المدينة من نزاع حاد متشعب الأطراف، فقد بينت الآيات رفض دعوى اليهود والنصاري بأنهم هم المهتدون، وبينت أن ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الإسلام الخالص الصريح، ودعت المسلمين لإعلان الوحدة الكبرى للدين من لدن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي الأنبياء إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد.

ثم يقرر السياق الحقيقة الكبرى ويثبت عليها المؤمنين بهذه العقيدة، حقيقة أن هذه العقيدة هي الهدي، من أتبعها فقد اهتدى قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾.

الآيــة:

فإن صدق الكفار من أهل الكتاب (اليهود والنصاري) وغيرهم بالله وجميع كتبه ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم، وأقروا بذلك مثل ما صدقتم أنتم أيها المؤمنون وأقررتم فقد أصابوا الحق، وأرشدوا إليه وهم حينئذ منكم، وأنتم منهم لدخولهم في ملتكم بإقرارهم بذلك.

فإن أعرضوا ولم يؤمنوا بمثل إيمانكم أيها المؤمنون بالله، وبما جاءت به الأنبياء، وانبعثت به الرسل، وفرقوا بين رسل الله، وبين الله ورسله فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، فاعلموا أيها المؤمنون إنما هم في عصيان، وخلاف ومنازعة وعداوة وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم.

ولما دل بتنكير الشقاق على امتناع الوفاق، وأن ذلك مما يؤدي إلى الجدال، والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتقوية قلوب المؤمنين وتفريحهم بوعد النصر والغلبة، فجاء بضمان التأييد والإعزاز على أبلغ وجه: بالسين الدالة على تحقق الوقوع، لأنه تعالى إذا تكفل في الكفاية بأمر حصلت الثقة به، وإن ذلك كائن لا محالة ولو تأخر إلى حين.

أي سيكفيك كيدهم وشرهم، ويعني ذلك إظهاره علي أعدائه وغلبته إياهم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾: هذا ضمان من المولى ﷻ في النصر لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبإظهار ما بعثه به علي كل دين سواه، وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة:٣٣].

وأيضًا شهادة من الله تعالى تسكب في قلب كل مؤمن الإعزاز بما هو عليه فهو وحا ه المهتدي، ومن لا يؤمن بما يؤمن به فهو المشاق للحق المعادي للهدى، ولا عليه من كيده ومكره، ولا من جداله ومعارضته، فالله سيتولاهم عنه وهو كافيه وحسبه.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: لما وعده المولى ﷻ بالنصر والمعونة أتبعه بما يدل على أن ما يسرون وما يعلنون لا يخفى عليه، فهو تعالى (السميع) لما يقولون لك بألسنتهم، ويبدون لك بأفواههم.

(العليم) بنياتهم وبما يدبرون لك، ويضمرون في أنفسهم من الحسد والبغضاء.

فلا يقع منهم أمر إلا وهو قادر على كفايته إياهم، ومعاقبتهم عليه فهو وعيد للكفرة، ووعد للمؤمنين.

مناسبة الخاتمة للآية: (السميع العليم):

أنّ كلاً من الإيمان وضده، مشتملان على أقوال وأفعال وعقائد ينشأ عنها تلك الأقوال والأفعال، فناسب أن يختم ذلك بهما أي هو: (السميع) لأقوالكم (العليم) بنياتكم.

ولما كانت الأقوال هي الظاهرة لنا الدالة على ما في الباطن قدمت صفة (السميع) علي (العليم)[1].

قال تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٨١].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين المولى ﷻ في الآية السابقة أمر الوصية ووجوبها، وبين أن المحافظة عليها والقيام بها من شعائر المتقين الخائفين من الله، أتبع ذلك بما يجري مجرى الوعيد في تغييرها.

الآيــة:

يقول تعالى فمن بدل الوصية وحرفها فغيَّر حكمها وزاد فيها أو نقص- ويدخل في ذلك الكتمان لها بطريق الأولي- فقد وقع أجر الميت علي الله، وتعلق الإثم بالذين بدلوا بعد ما وصل إليهم أمر الوصية، وتحقق لديهم أي علموه علمًا لاشك فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: إن الله المحيط بجميع صفات الكمال (سميع) للوصية علي وجوبها، (عليم) بعلمها علي صفتها، فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها، فيسمع أقوال المبدلين والموصين، ويعلم بنياتهم، فيجازيهم على ذلك، وفي هذا وعيد وتهديد للمبدل.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان للموصي، والمبدل للوصية أقوال وأفعال ونيات، لذا ناسب ذكر هذين

---

(١) راجع تفسير آية ١٣٧ من سورة البقرة في كل من: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٢/ ٣/ ٧٦- ١٣٧، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ١٨٧، البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٦٥٤.

الاسمين فهو تعالى (سميع) للأقوال (عليم) بالنيات والأفعال لا يخفى عليه شيء[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٤].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر تعالى بالإنفاق، ومخالطة الأيتام، وحسن معاشرة النساء، وذلك من البر والتقوى، نهاهم عن أن يكون القسم باسمه العظيم حاجزًا لها ومانعًا منها.

الآيـة:

العُرضة: أي يصير حاجزًا ومانعًا، وقيل: أصل العرض القوة، ومنه يقال للجمل القوي هذا عرضة للسفر أي: قوي عليه.

اليمين: أصلها العضو واستعمل للحلف لما جرت عليه العادة في تصافح المتعاقدين.

البر: كل أفعال الخير.

أن تتقوا: أن تتقوا ربكم وتحذروه، وتحذروا عقابه في فرائضه وحدوده أن تضيعوها أو تتعدوها.

الإصلاح بين الناس: فهو الإصلاح بينهم بالمعروف فيما لا إثم فيه، وفيما يحبه الله دون ما يكرهه.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤]، فقال بعضهم معناه: ولا تجعلوه عرضة لأيمانكم، وذلك إذا سئل أحدكم الشيء من الخير والإصلاح بين الناس قال: علي يمين الله ألا أفعل ذلك، أو قد حلفت بالله ألا أفعله، فيتعلل في تركه فعل الخير والإصلاح

---

(١) راجع تفسير آية ١٨١ من سورة البقرة في كل من: البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٦٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢١٢، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣٣٦.

بين الناس.

مثلاً: أن يحلف الرجل ألا يكلم قرابته، ولا يتصدق، أو يكون بينه وبين إنسان تقاضٍ فيحلف لا يصالحه ويقول قد حلفت أى النهي عن تكسير الأيمان بالله.

قال آخرون: معنى ذلك ولا تعترضوا بالحلف بالله في كلامكم فيما بينكم فتجعلوا ذلك حجة لأنفسكم في ترك فعل الخير.

وأولى التأويلين بالآية لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم أو قوة لأيمانكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبين الله وبين الناس، ولكن إذا حلف أحدكم فرأي الذي هو خير مما حلف عليه من ترك البر والإصلاح بين الناس فليحنث في يمينه وليبر، وليتقِ الله، وليصلح بين الناس، وليكفر عن يمينه.

وذلك كما في حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: «من حلف علي يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير»[1].

وذلك كالذي وقع لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين أقسم ألا يبر مسطحاً قريبه الذي شارك في حادثة الإفك فأنزل الله الآية:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]. فرجع أبو بكر في يمينه وكفر عنها.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: والله (سميع) لما يقوله الحالف منكم بالله إذا حلف.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب كفارات الأيمان» باب الاستثناء في الأيمان حديث ٦٧١٨، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ٦١٠، ومسلم في صحيحه كتاب الأيمان باب ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها حديث (١١/ ١٦٥) واللفظ لمسلم صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ١١/ ١١٣.

(عليم) بما تقصدون وتبتغون بحلفكم، ذلك الخير تريدونه أم غيره. لأنه تعالى علام الغيوب، وما تضمره الصدور، ولا تخفى عليه خافية، وهذا تهديد ووعيد، فاحذروه في جميع ما يأمركم به وينهاكم عنه.

مناسبة الخاتمة للآية:

ختمت هذه الآية بهذين الاسمين لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذي يتعلق بالسمع الحلف لأنه من المسموعات، والذي يتعلق بالعلم هو إرادة البر والتقوي والإصلاح إذ هو شيء محله القلب، فهو من المعلومات التي لا تخفى عن المولى ﷻ فجاء هذان الاسمان منطبقتين على العلة والمعلول، وجاءا علي ترتيب ما سبق من تقدم السمع على العلم كما قدم الحلف علي إرادة البر والتقوى والإصلاح[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد الانتهاء من القاعدة الكلية في الحلف يأخذ المولى ﷻ في الحديث عن يمين الإيلاء. ولما كان الإيلاء في الجاهلية يضار به النساء وذلك بأن يحلف الرجل علي عدم الوطء أبدًا فتكون المرأة لا أيمًا، ولا ذات بعل، أمهلهم المولى ﷻ أربعة أشهر ينتظر فيها رجوعهم إليهن حلمًا منه تعالى فإن رجعوا عن اليمين بالحنث يغفر لهم ذلك، ويغفر لهم ما قصدوا بالإيلاء من إضرار بالمرأة، ولما كان الحال في مدة الإيلاء شبيهًا بحال الطلاق وليس بطلاق قال تعالى:

﴿ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾: **العزم**: هو عقد القلب علي الشيء،

---

(١) راجع تفسير آية ٢٢٤ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٤٤٨-٤٥٢، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٣٥، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٢٤.

ومعناه هنا الإصرار على الطلاق.

الطلاق: معناه هو حل عقدة النكاح بما يكون حلالاً في الشرع وأصله من الإنطلاق وهو الذهاب، فالطلاق عبارة عن انطلاق المرأة.

والآية فيها دلالة على أن الطلاق لا يقع بمجرد مضى الأربعة لأشهر، وإنما يوقف فيطالب إما أن يرجع إلى أداء حق الله عليه في امرأته وإلا طلق، فإن لم يطلق طلق عليه الحاكم، والطلقة تكون رجعية، له رجعيتها في العدة كرأي الجمهور من المتأخرين.

أخرج البخاري عن ابن عمر أنه قال في الإيلاء: «إذا مضت أربعة أشهر يوقف حتى يطلق ولا يقع الطلاق حتي يطلق»[1].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: فإن الله (سميع) لطلاقهم إذا طلقوا.

(عليم) بما أتوا إليهن، وبنياتهم فيجازيهم عليها، وفيها من الوعيد ما لا يخفى، وفيها تهديد بما يقع في الأنفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الأزواج في أمور لا تأخذها الأحكام، ولا يمكن أن يصل علمها الحكام، فجعلهم أمناء فيما بطن وظهر.

مناسبة الخاتمة للآية:

دلت خاتمة الآية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ على أن انقضاء الأشهر الأربعة لا يدل علي وقوع الطلاق، وإنما لابد من التلفظ، لأن انقضاء الأشهر الأربعة غير مسموع وإنما هو معلوم، فلو كان عزم الطلاق هو انقضاء الأشهر الأربعة لم تكن الآية مختومة بذكر الله الخبر عنه تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الطلاق باب قول الله تعالي: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ... إلي سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢٢٦-٢٢٧]، حديث ٥٢٩١ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/ ٣٣٥.

فختم الآية التي فيها ذكر القول والكلام بصفة نفسه بأنه للكلام سميع وبالفعل عليم.

(سميع) لطلاقهم إياهن إن طلقوهن.

(عليم) باعتبار العزم علي الطلاق ؛ لأنه من باب النيات ولا تدرك النيات إلا بالعلم.

إذن مجيء صفة السمع تجعل المعنى: وإن عزموا الطلاق أوقعوه أي الطلاق والإيقاع لا يكون إلا باللفظ فهذا من باب المسموعات، والصفة تتعلق بالجواب (أوقعوه) لا بالشرط (وإن عزموا)[(١)].

قال تعالى :

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٤].

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ساق المولى ﷻ قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ..

تنبيها لهذه الأمة أنه لا مفر من الموت كفرار أولئك فلا يقعدن بكم الحياة عن الجهاد في سبيل الله فالموت والحياة بيد الله، وحتى يعلم كل مسلم أنه إن ترك القتال فلا يثق بالسلامة من الموت .

فجاءت هذه الآية تشجيعًا للمؤمنين وحثًّا على الجهاد والتعريض للشهادة، وإعلامًا أنه لا مفر مما قضى الله للحث على التوكل والاستسلام لقضائه ﷻ .

---

(١) راجع تفسير آية ٢٢٧ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٤٩٣، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٤٥٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٦٨، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٢٧.

الآيــة :

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هذا خطاب لأمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقتال في سبيل الله لا في سبيل غاية أخرى، وتحت راية الله لا تحت راية أخرى .

والسبيل : هو الطريق، وسميت العبادات سبيلاً إلى الله من حيث إن الإنسان يسلكها ويتوصل إلى الله تعالى بها، وسميت المجاهدة خاصة سبيلاً إلى الله تعالى : من حيث إن الإنسان يتمكن بها من إظهار عبوديته وعبادته لله تعالى، ونشر الدعوة إلى التوحيد، وحماية أهلها، والمدافعة عن الحق وأهله .

فالقتال في سبيل الله لإزالة الضرر العام الذي هو منع الحق وتأييد الشرك، ولتربية الذين يفتنون الناس عن دينهم، وينكثون عهدهم لا لحظوظ النفس وأهوائها .

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: وبعد ما أمرهم و بعد ما حذرهم، رغبهم ورهبهم بقوله تعالى : (واعلموا) تنبيهًا لهم لأن يلقوا أسماعهم، ويحضروا أفهامهم لما يملى عليهم. (إن الله) الذي له القدرة الكاملة والعلم المحيط (سميع) لكل أقوالكم بما فيها ما يقوله المتخلف عن الجهاد وتنفير الغير عنه، وما يقوله السابق إليه ومن ترغيب الغير فيه .

(عليم) بما يتضمن هذا من الأغراض والبواعث فيجازي كلاً حسب عمله ونيته .

مناسبة الخاتمة للآية :

لما أمر المولى ﷻ الأمة الإسلامية بالجهاد في سبيله أراد أن تكون نيتهم في ذلك خالصة لله لا لغرض دنيوي فحذرهم بهاتين الصفتين (السميع) و (العليم) ؛ فهو يسمع كل ما تقولون، عليم بكل ما تفعلون فلا يكن قتالكم عن شجاعة، ولا حمية، ولا رياء ولكن في سبيل إعلان كلمة الله .

عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله[1]»[2].

وفي ختم الآية بهذين الاسمين حكمة أخرى وهي أن المجاهد في سبيل الله إذا علم أن الله سميع عليم هان عليه القتال وعلم أن الله يعينه ويقبل دعوته في نصره وتأييده، فهو عليم بحاله وما يتحمله من أجل نصرة دينه ومجازيه عليه، فالخاتمة تحمل معنى الوعيد والوعد في وقت واحد .

قال تعالى :

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[البقرة:٢٥٦].

مناسبة الآية لما قبلها :

في الآية السابقة : آية الكرسي التي بينت دلائل التوحيد وأوضحت قواعد التصور الإيماني في أدق جوانبها، وبينت صفة الله تعالى، وعلاقة الخلق بهذا البيان المنير، وتفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالشئون الجليلة الموجبة للإيمان به وحده جيء بهذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم - باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا، حديث ١٠٥ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣/ ٤٥، مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب حديث ١٥٠ صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) راجع تفسير آية ٢٤٤ من سورة البقرة في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٩٠ مفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٦/ ١٤٧، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٦٧.

الآية ليبين أنه بعد هذا الوضوح لا يتصور الإكراه في الدين ومن حق العاقل ألا يحتاج إلى التكليف والإلزام، بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم، فقضية العقيدة كما جاء بها هذا الدين قضية اقتناع بعد البيان والإدراك، وليس قضية إكراه وقسر وإجبار .

الآيــة :

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾: في هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد بعد أن بين لهم الحق من الباطل، فلا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام فقد تميز الإيمان الذي هو الرشد والذي ينبغي للإنسان أن يحرص عليه، فهو الموصل إلى السعادة الأبدية، من الكفر الذي هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفر منه ويتقي أن يوصم به فهو المؤدي إلى الشقاوة .

ثم يزيد حقيقة الإيمان إيضاحًا وتحديدًا وبيانا فيقول: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾.

فمن خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووحد الله فعبده وحده وشهد أنه لا إله إلا هو فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريقة المثلى، واستمسك من الدين بأقوى سبب وهو التوحيد الذي فيه الخلاص من عذاب الله وعقابه .

﴿ٱسۡتَمۡسَكَ﴾ : بالغ في التمسك حتى كأنه وهو متلبس به يطلب في نفسه الزيادة فيه والثبات عليه .

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: قيل الإيمان الذي يعتصم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالمتمسك بالعروة من الحبل الوثيق المحكم المأمون انقطاعه، عروة

متينة لا تنقطع، ولا يضل الممسك بها طريق النجاة .

وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخلية قبل التحلية، ولمراعاة الترتيب الواقعي، أو الاتصال بلفظ الغي -أي للمجاورة- مثل قوله تعالى: ﴿ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [آل عمران:١٠٦]. وعلم من هذه الآية أن سيف الجهاد المشروع في الإسلام والذي لا يبطله جور جائر لم يستعمل للإكراه في الدخول في الدين ولكن لحماية الدعوة إلى الدين والإذعان لسلطانه وحكمه العادل .

﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ : ولما كان كل من الإيمان والكفر المتقدمين قولاً وفعلاً واعتقادًا قال مرغبًا في الإيمان ومرهبا من تركه (والله) الذي له صفات الكمال (سميع) لما يقال مما يدل على إيمان المؤمن به وحده الكافر بالطاغوت عند إقراره بوحدانيته وتبرئه من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله . (عليم) بما عزم عليه قلبه من توحيد وإخلاص، وما انطوى عليه ضميره من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت، وبغير ذلك مما أخفته نفسه، فهو تعالى لا يخفى عليه أمر نطق به لسانه أو أضمرته نفسه، فالمؤمن الموصول به لا يبخس ولا يظلم ولا يخيب، وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى .

مناسبة الخاتمة للآية :

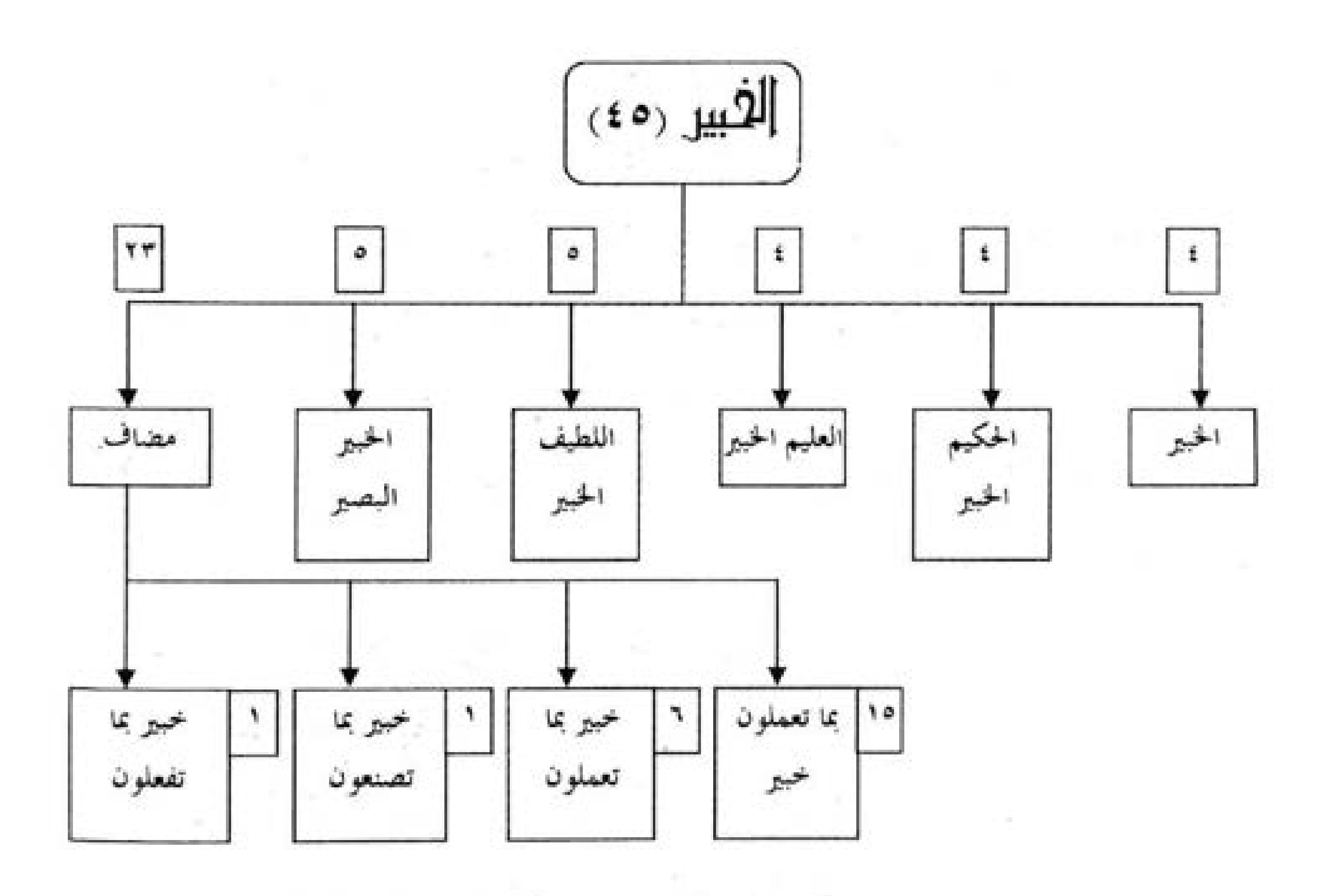
لما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن مجيء الصفات (سميع) من أجل النطق، (عليم) من أجل المعتقد[1] .

---

(١) راجع تفسر آية ٢٥٦ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ٣/ ٢٣، جامع أحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ١٨٢، روح المعاني للألوسي ٢/ ٣/ ٢١.

(الخبير) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس وورد في القرآن الكريم خمسًا وأربعين مرة، ورد مفردًا أربع مرات، وورد مقترنا باسمه تعالى (الحكيم) أربع مرات، و(العليم) أربع مرات، (اللطيف) خمس مرات، و(البصير) خمس مرات، وورد مفردًا مقيدًا ثلاثًا وعشرين مرة[1].



(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

الخبير : لغــة :

الخبر واحد الأخبار، وأخبر بمعنى استخبر .

خبر الأمر : علمه، **الخبرة**: المعرفة ببواطن الأمور

أخباركم : أحوالكم، خبره: بلاه وامتحنه – عرف خبره على الحقيقة فهو خابر أخبره : أنبأه – ورجل خابر وخبير – عالم بالخبر .

ومن أسمائه تعالى (الخبير) وهو : العالم بما كان وما يكون، فهو العالم بدقائق الأمور لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عن علمه شيء[1] .

الخبير: اصطلاحًا:

هو العالم بدقائق الأشياء الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء، ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ساكنة في السماوات والأرض، ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبر ذلك، فهو الذي انتهت إليه الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاطت بظواهرها فلا يخفي عليه ما تحوية الضمائر والصدور.

واسمه تعالى (الخبير) يؤكد معنى العلم، فالعلم إذا كان للخفايا الباطنة سمي خبرة وسمي صاحبه خبيرًا.

ومن ذلك: يقف ألوف المصلين في كل وقت من أوقات الصلوات الخمس للصلاة فينظر المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى قلوبهم جميعًا كأنهم قلب رجل واحد، لا

---

(١) راجع لسان العرب ٤/ ٢٢٦/ ٢٢٨، مختار الصحاح ٧١، المعجم الوجيز ١٨٢، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص١٤٢.

يخفى عليه ما يجول في كل قلب، وما توسوس به كل نفس فيجازي كل نفس على قدر إخلاصها وقربها، وإقبالها على ربها، وخشوعها بين يديه وتبتلها إليه، فصلوات المصلين تكاد تكون متماثلة في مظهرها الخارجي وحركاتها الظاهرة، أما في روحها وصورها الباطنة فهي مختلفة أشد الاختلاف متباينة أعظم التباين ولا يقدر هذا الاختلاف والتباين إلا الله العليم الخبير، وهو سبحانه الخبير بطبائع الأمم واستعداداتها، ومن أجل ذلك ينزل لهم الشرائع التي تناسبهم، كما أنه تعالى خبير بطبائع النفوس واستعداداتها فلا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبرز إحاطة علمه تعالى (العليم الخبير) منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

هذه هي مفاتح الغيب التي استأثر المولى ﷻ بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى له بها، فلا يعلم وقت الساعة نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

فقد جعل المولى ﷻ الساعة غيبًا لا يعلمه سواه ليبقى الناس علي حذر دائم وتوقع مستمر ومحاولة دائمة مستمرة أن يقدموا لها ويتزودوا، وهم لا يعلمون متى تأتي.

وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء من خلقه، وكذلك لا يعلم ما في الأرحام سواه تعالى؛ فهو وحده الذي يعلم ما في الأرحام في كل لحظة، وفي كل طور، وشقي هو أم

سعيد، ويعلم الملائكة المقربين بذلك متي شاء ومن شاء من خلقه.

وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب في دنياها وأخراها، وما تدري نفس بأي أرض تموت ؛ فهو أمر وراء الستر الذي لا تنفذ منه الأسماع والأبصار، وتظل هذه الأشياء مغلقة في وجه الإنسان ؛ لأنها فوق مقدوره ووراء علمه، فهي خالصة لله لا يعلمها غيره إلا بإذن منه وبمقدارٍ، سبحانه هو العليم الخبير.

حظ العبد من اسمه تعالى (الخبير):

من لطفه تعالى بعباده أن أخبرهم أنه خبير بأعمالهم، مطلع على أسرارهم عالم بخفاياهم وأدق أمورهم، ومتى عرف العبد ذلك راقب الله ﷻ في سره وعلانيته فيهذب سره، وينقي ضميره، ويخلص العمل لله سبحانه، ولا يخضع لوساوس نفسه، ولا يركن إلي شهواتها، ومن عرف أن الله (خبير حكيم) سلم لله في قضائه وقدره، فهو تعالى قضي ولا راد لقضائه فعلمه قديم، وإرادته نافذة، وأحكامه ماضية قال تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

والمؤمن الحق هو الذي لا يرفع حوائجه إلا لله متوجهاً بقلبه إليه سبحانه متضرعًا مخلصًا له الدعاء[١].

الآيات :

١ - ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ

---

(١) راجع: شرح أسماء الله الحسني للقشيري ٢٤١، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص ١٠٣ . الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤٩١، أسماء الله الحسني د. حمزة النشرتي وآخرين ص ٢٥٣.

وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٤].

٢- ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢٧١].

٣- قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة:٢٣٤].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر المولى ﷻ عدة الطلاق واتصل بذكرها ذكر الإرضاع، وذكر عدة الوفاة أيضاً لئلا يتوهم أن عدة الوفاة مثل عدة الطلاق.

وهذه الآية في الواجب على المعتدات من العدة في وفاة أزواجهن: والذين يتوفون منكم من الرجال أيها الناس فيموتون ويتركون أزواجًا يتربصن أزواجهن بأنفسهن أي يحتبسن بأنفسهن معتدات عن الأزواج، والطيب، والزينة، والنقلة عن المسكن الذي كن يسكن في حياة أزواجهن أربعة أشهر وعشرًا.

وهذا الحكم يشمل الزوجات المدخول بهن، وغير المدخول بهن بالإجماع ولا يخرج عن ذلك إلا المتوفى عنها زوجها وهي حامل فإن عدتها بوضع الحمل ولو لم تمكث بعده سوى لحظة بعموم قوله تعالى:

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤].

﴿يُتَوَفَّوْنَ﴾: تقبض أرواحهم بالموت، وأصل التوفي أخذ الشيء وافيًا كاملاً، يقال: توفيت مالي من فلان واستوفيته منه أي أخذته وقبضته، فمن مات فقد وجد عمره وافيًا كاملاً.

﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: التربص من التأني والتصبر على النكاح، وهو لفظ عام يدخل فيه الإحداد وهو ترك الزينة كلها من اللباس والحلي والكحل والخضاب وترك الطيب وكل ما يدعو إلي النكاح.

وقال تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ولم يقل عشرة لأن العرب في الأيام والليالي خاصة إذا أبهمت العدد غلبت فيه الليالي، وذلك لأن العدد عندهم قد جري بالليالي دون الأيام، فإذا أظهروا مع العدد مفسره أسقطوا من عدد المؤنث الهاء وأثبتوها في عدد المذكر[1] قال تعالى:

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:٧].

فأسقطوا الهاء مع سبع وأثبتت في الثمانية.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: إذا انقضت عدتهن بمضي الأشهر الأربعة والأيام العشرة، فلا حرج عليكم أيها الأولياء- أولياء المرأة وقيل الخطاب أيضًا للحكام وعلماء المسلمين- (فيما فعلن في أنفسهن) من التزيين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة.

---

(١) الأعداد ٣-٩ تخالف المعدود، ملخص قواعد اللغة العربية، فؤاد نعمة ص٨٧

(بالمعروف) ما أذن فيه الشرع مما يتوقف عليه النكاح.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: والله بما تعملون أيها الأولياء في أمر من أنتم أولياؤه من نسائكم من عضلهن وإنكاحهن ممن أردنا بالمعروف، وغير ذلك من أموركم وأمورهن (خبير) ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منه شيء.

مناسبة الخاتمة للآية:

ولما كان التقدير: فالله حد لكم هذه الحدود فاحفظوها. عطف عليه قوله محذراً من التهاون في شيء منها في أنفسكم أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حق الغير بقوله:

(والله) الذي له صفات الكمال بما تعملون من سر وعلانية (خبير) عالم بأعمالكم ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، فاحذروا مخالفته وأطيعوا أمره. فهذا وعيد يتضمن التحذير[1].

قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

علاقة الآية بما قبلها:

لما بين المولى ﷻ أن الإنفاق فيه ما يتبعه المن والأذى، ومنه ما لا يكون كذلك،

(١) راجع تفسير آية ٢٣٤ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٥٧٥-٥٨٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٦، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١/ ٤٤٢.

وذكر حكم كل واحد من القسمين، ثم ذكر ثانيًا أن الإنفاق قد يكون من جيد ورديء، وذكر حكم كل واحد من القسمين، ذكر في هذه الآية أن الإنفاق قد يكون ظاهرًا وقد يكون خفيًا وذكر كل واحد من القسمين.

الآيــــة:

مدح المولى ﷻ إبداء الصدقات بكلمة (نعم) فهي كلمة مبالغة تجمع المدح كله، والمقصود بها التناهي في المدح، وذلك لأن إظهارها سبب لاقتداء الخلق بذلك في إعطاء الصدقات فينتفع الفقراء بها.

ثم بين المولى ﷻ أن اخفاءها وتحري المحتاجين بحيث يعطي محتاج وغيره أحوج منه يكون أعظم لثوابكم، وتكفيرًا من سيئاتكم.

ولأن الصدقة لا تكفر جميع السيئات ؛ لذلك قال المولى ﷻ (من سيئاتكم) ليكون العباد علي وجل من الله ﷻ فلا يتكلون على وعده ما وعد علي الصدقات فقط.

وفي هذه الآية دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهاره ؛ لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب علي الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية. لكن الأصل أن الإسرار أفضل لهذه الآية ولما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفي حتي

لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[١].

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: والله بما تعملون في صدقاتكم من إخفائها وإعلانها، وأسرارها والجهر بها وفي غير ذلك من أعمالكم ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه شيء من ذلك؛ فهو بجميعه محيط، ولكنه محصٍ على أهله حتى يوفيهم ثوابهم.

مناسبة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ لخاتمة الآية:

هذه الآية تحمد هؤلاء الناس المتصفين بهذه الصفة، لكنها تنبه أيضًا على أن يكون ذلك لأجل الله لا لشهرة ولا لمدحٍ وتعظيم؛ فقد كانت العرب تحب ذلك لذا حثهم المولى ﷻ علي إخفائها، وكان التقدير:

فلا تخافوا من خفائها أن يضيع عليكم شيء منها؛ فإن (الله) الذي له كل كمال (بما تعملون) من ذلك وغيره (خبير) عليم ببواطن الأمور وما لطف من الأشياء وخفي فلم يدع حاجة أصلاً إلي الإعلان فعليكم بالإخفاء فإنه أقرب إلي صلاح الدين والدنيا، فأخلصوا فيه وقروا عينًا بالجزاء، فناسب الإخفاء ختمها بالصفة المتعلقة بما خفي[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد حديث (٦٦٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٢/ ١٦٨، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة حديث (٩١/ ١٠٣١)، صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ٧/ ١٢٣.

(٢) راجع: تفسير آية ٢٧١ من سورة البقرة جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣/ ٩٧، ٩٨ في: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٤/ ٧/ ٦٣، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٥٢٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٢١٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٢٢، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٦٩٣.

نظرة عامة على الآيات

- ورد اسمه تعالى العليم مائة واثنتين وخمسين مرة. وبالنظر إلى الصفات الإلهية التي جاءت مرتبطة بالعلم نجدها: الحكمة فقد ورد اسم (العليم) (الحكيم) خمسًا وثلاثين مرة، تلتها صفة السمع فقد ورد اسمه (السميع) (العليم) اثنتين وثلاثين مرة :

- وحين ارتبطت صفة العلم بصفة الحكمة جاءت متقدمة عليها إلا في سبعة مواضع، تقدم فيها اسم (الحكيم) على (العليم) وكانت الآيات فيها تتحدث عن تصرف إلهي أو حقيقة إلهية، وهذه الآيات هي :

قوله تعالى :

١- ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣].

٢- ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨].

٣- ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٣٩].

٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجر:٢٥].

٥- ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦].

٦- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤].

٧- ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات:٣٠].

- وتقدمت صفة العلم على صفة الحكمة عندما كانت الآيات تتحدث عن العلم، أو حدث إنساني يستلزم حصول العلم أولاً، أو يظهر فيه أثر العلم أكثر مما يظهر أثر الحكمة نحو قوله تعالى :

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

- ولا علاقة بين التقديم والتأخير وفواصل الآيات حيث تنتهي كلتا الصفتين بحرف المد والميم .

- أما صفة السمع التي جاءت في المرتبة الثانية من حيث اقترانها بصفة العلم فلم تأت فاصلة في جميع الآيات، وذلك لأن الوقف على (العليم) يحقق موسيقى الوقف من حيث حرف المد، والوقف على حرف الميم - حرف الغنة - وبملاحظة آيات سورة البقرة التي ختمت باسم (السميع) (العليم) نجدها اشتملت على أقوال وأفعال وعقائد لذا ناسب ختمها باسم (السميع) للأقوال، (العليم) بالنيات والأفعال .

- كذلك يلاحظ أن اسم (السميع) و (العليم) هم الاسمان اللذان يستعيذ بهما الإنسان من نزغ الشيطان، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

ذلك أن الإنسان لا يرى ذات الشيطان، وإنما يتأثر بنزغه ووسوسته، في حين أن الاستعاذة من المجادلين في آيات الله تكون باسم (السميع) (البصير) قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر:٥٦].

ذلك أن المجادلين هم ذوات يدركها الإنسان ويدرك جدالهم بحواسه .

كذلك يلاحظ أن صفة (السميع) هي الصفة الوحيدة من صفات الحواس - بالنسبة للبشر - التي اقترنت بصفة (العليم) فلم تقترن صفة (البصير) بصفة (العليم) مطلقًا .

الآيات التي ختمت باسم (البصير): تدل على متابعة حركة الإنسان في الحياة، ومطابقتها مع ما يرضاه الله فحرص اليهود على حياة أي حياة. وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وعمل الخير، والرضاعة، والفطام، والكسوة، ودفع المهر أو النصف أو العفو، والنفقة وتمثيلها بالحبة في نموها كل هذه الأشياء تستدعي اسمه تعالى البصير .

اسم (الخبير): يوحي بتوخي الحذر الدائم، والمحاولة الدائمة المستمرة للعمل على مرضاة الله.

فتربص الزوجات بأنفسهن في عدة الوفاة، فلا يطلع عليهن إلا الله وهو أعلم بأحوالهن. وما يعمله الأولياء في أمورهم .

كذلك وإخفاء الصدقات، ناسب ذلك ختمها بالصفة المتعلقة بها. حتى يحذر مخالفته.



المَبْحَثُ الثَّالِثُ

أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة وتدل على جمال الله ورحمته

تمهيد

هناك حقيقة في حياة الإنسان لا تقبل الشك، ولا يرقى إليها أي ارتياب، وهي واضحة جلية لا تحتاج إلى أدلة لبيانها أو شروح لإثباتها .. هذه الحقيقة هي أن كل لحظة تمر بالإنسان في حياته إنما تعجل من ساعة رحيله وتقربه من آخرته التي لا محيص ولابد منها .. ويخشى الإنسان هذه الحقيقة ويهرب دائمًا من الحديث عنها ولا يحاول أن يتأمل ويتدبر فلعله يجد غير ما كان يخشاه .. ولا شك أن هناك أكثر من سبب يدفعه إلى الخوف والخشية ولعل أقواها هو شعوره بأنه أخطأ في هذه الحياة وأن ذنوبه أكثر مما يجب .

ولكن أين الإنسان الذي لم يخطئ ؟ .. وأين العبد الذي لم يذنب ؟ ..

إن الإنسان خطاء بطبعه، مذنب بحكم ظروف وجوده .. فهل ييئس الإنسان ويقنط العبد أم أن رحمة الله واسعة، وقد شملت العباد في الدنيا بالرغم من خطاياهم، وعلى ما هم فيه من الذنوب ستتسع لهم في الآخرة، وهم وقوف بين يدي الله مستغفرين نادمين(1) .

---

(1) انظر المقدمة من كتاب الرحمن الرحيم لبعد الرازق نوفل -- دار الجيل للطباعة – مكتبة الأنجلو المصرية بتلخيص.

إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رحمن، رحيم، رءوف، غفور، حليم، تواب، عفو وقد فتح باب رحمته وعفوه ومغفرته بحيث تتسع لعباده مهما كان من ذنوبهم وخطاياهم .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]. هذه أرجى آية في القرآن الكريم .

وهذا مبحث الرحمة، به أسماء الله الحسنى المتعلقة بصفة الرحمة، لعلنا نجد فيه إجابة لسؤالنا بعد معرفة ولو القليل عن أسمائه تعالى، وأيضًا الآيات التي ختمت باسم أو اسمين من أسماء هذا المبحث .

أ- التعريف اللغوي للرحمة :

الرحمة : الرقة والتعطف والنعمة .

فالرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو : رحم الله فلانًا .

واسترحمه : سأله الرحمة .

الرحم : موضع الجنين ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة . قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء:١].

وسمى الله الغيث الرحمة؛ لأنه برحمته ينزل من السماء؛ قال تعالى :

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [الروم:٥٠][١]

---

(١) راجع لسان العرب ٣/ ١٦١١، معجم مفردات ألفاظ القرآن ٩٦، ٩٧، المعجم الوجيز ٢٥٩، مختار الصحاح ١٠٠.

ب- مقدمة عن الرحمة وفائدة الجمع بين اسمه تعالى (الرحمن) و(الرحيم) :

الرحمة هي السبب الواصل بين الله وبين عباده بها أرسل رسله، وأنزل عليه كتبه، وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم، وبها عافاهم[(١)] .

فرحمة الله إذن هي إحسانه وإنعامه، وهي تامة لإفاضة الخير على المحتاجين، وعامة لأنها تتناول المستحق وغير المستحق، فالمولى ﷻ هو الرحيم المطلق، ومن أسماء الله ﷻ (الرحمن)، (الرحيم)، وإن أول آية من آيات الكتاب العظيم التي يفتتح بها (بسم الله الرحمن الرحيم)، وعلى ذلك فأول اسم من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ورد في القرآن الكريم هو (الله)، ثم (الرحمن)، ثم (الرحيم) .

والمتدبر للقرآن الكريم يجد أن كل سوره الشريفة تبدأ بعد (بسم الله الرحمن الرحيم) عدا سورة براءة التي تبدأ بدونها[(٢)] .

وفائدة الجمع بين (الرحمن) و (الرحيم) :

- الإنباء عن رحمة عاجلة وآجلة عامة وخاصة، فهو تعالى رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، وليشعر كل عبد أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا خير يأتيه إلا من قبله ولا يدفع الشر عنه أحد سواه فهذان الأسماء مع الذات العليا مفتاح كل خير ومغلاق لكل شر[(٣)] .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٤.

(٢) يرى أكثر العلماء أن سبب ذلك نزولها بالسيف أي ما اشتملت عليه من الأمر بالقتل والأخذ والحصر ونبذ بالعهد وأيضًا فيها الآية المسماة بآية السيف – وذهب بعضهم إلى احتمال كونها من الأنفال – انظر هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري للشيخ عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي ص٥٦١.

(٣) راجع مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٤١.

- (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه، و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]. ولم يجئ قط رحمن بهم فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته»[1]

- (الرحمن) يدل على صفته المختصة به جل جلاله ويستحيل أن توجد لغيره، إذ لا يوجد مخلوق تعم رحمته جميع المخلوقات، و(الرحيم) يدل على الفعل الذي تقع فيه المشاركة لذا وصف سبحانه نفسه بأنه ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون:١٠٩]. ﴿أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

- (الرحمن الرحيم) اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل شيء، وكتبها للمتقين المتبعين لأوليائه ورسله، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

- عمومية لفظ الرحمن وشموله المؤمن والعاصي والكافر، وخصوصية لفظ الرحيم واقتصاره على المؤمنين، وبهذا يكون اللفظان قد جمعا الرحمة بنوعيها وشمل حالتيها في الدنيا والآخرة، ويكون في كل منهما تأكيد لمعنى الآخر[2].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٢٦، ٢٧ بتصرف.

(٢) راجع الجامع لأسماء الله الحسنى لأبي قيم الجوزيه والقرطبي ص١٤٠، أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة د. احمد مختار عمر ص١٤٠.

سر تقديم (الرحمن) على (الرحيم) في البسملة :

- «ذكر (الرحمن) بعد لفظ الجلالة مباشرة للتخفيف من وطأة المهابة التي تحصل للعبد من ذكر هذا الاسم العظيم، الذي ترد إليه جميع الأسماء والصفات .

- وجاء اسم (الرحيم) بعد (الرحمن) ليبعث في المؤمنين الرجاء والطمع، فإذا سمع العبد (باسم الله الرحمن) ربما وقع في نفسه أنه رحمن في ذاته لا تتعدى رحمته إلى مخلوقاته فإذا سمع اسم (الرحيم) وقع في قلبه أن الرحمة كما هي من أوصاف ذاته هي من أوصاف أفعاله، فيطمع فيها أو يرتجيها، ويتعرض لها بالطاعة والانقياد»[(١)] .

- «ذكر (الرحيم) بعد (الرحمن) إنما كان لتخصيص المؤمنين بزيادة بعد عموم البر والفاجر، فالله تعالى رحمن يرحم البر والكافر في الرزق وفي دفع الأسقام والمصائب، وهو رحيم بالمؤمنين خاصة بالهداية والمغفرة وإدخال الجنة»[(٢)] .

- هذا وقد أوجب المولى ﷻ على نفسه الرحمة تفضلاً منه جلَّ وعلا، وإحسانًا، وامتنانا كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام:٥٤].

وفي المطلب التالي تفصيل أكثر لاسمه تعالى (الرحمن) و(الرحيم) .

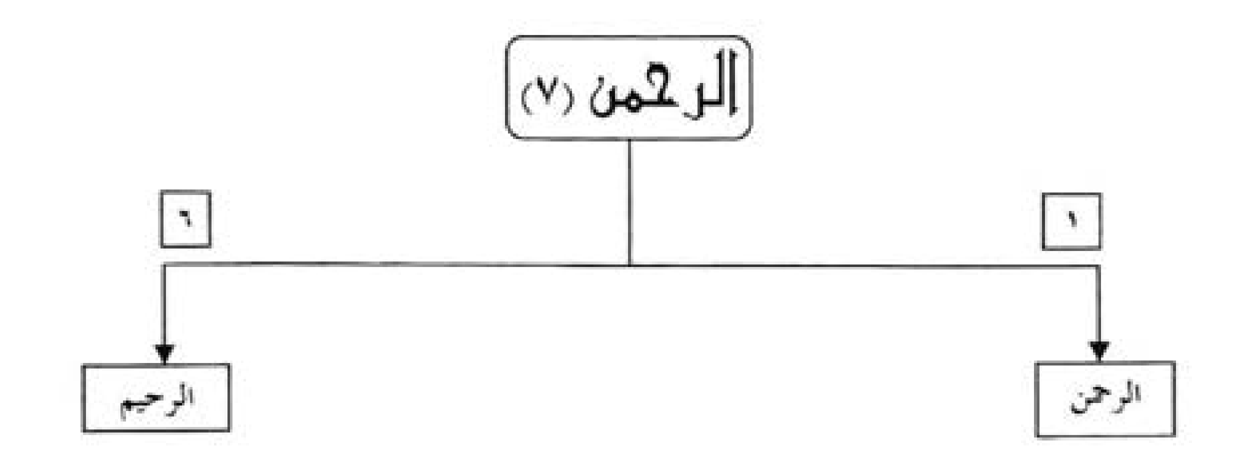
---

(١) أنظر أسماء الله الحسنى أليي بكر إسماعيل ص٢٠.

(٢) راجع أسماء الله الحسنى - دراسة في البنية والدلالة - أحمد مختار عمر ص١٤٠، لواقع البنيات للرازي ص١٥٢.

(الرحمن) جل جلاله

اسم من أسمائه تعالى الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس وورد في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة، منها خمسون في وسط الآية، وسبع مرات في خواتم الآيات ورد في ستٍّ منها مقترنًا باسمه تعالى (الرحيم) ومتقدمًا عليه ومعرفًا بـ (الـ) (الرحمن الرحيم)، وورد مرة واحدة فاصلة أو آية واحدة ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[1].



بخلاف البسملة (١١٣ مرة)

يلاحـظ :

- أن اسمه تعالى (الرحمن) لم يأت في القرآن الكريم إلا معرفا بالألف واللام فلم يأت نكرة، ولا مضافًا مما حدا بالمفسرين واللغويين إلى القول بعلميته أو قربه من اسم العلم (الله) .

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٣٠٦، ٣٠٧.

– أن الاسم لم يرد في القرآن الكريم وصفًا لغير المولى ﷻ لاختصاصه به ولهذا يقول تعالى : ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء:١١٠].

– أن الاسم لم يأت تابعا لاسم آخر من أسمائه تعالى إلا في آيات محدودة شملت لفظ الجلالة وضميره نحو قوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [الملك:٢٩].

والرب ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ ﴾ [النبأ:٣٧].

ولم يأت خبرا إلا عن اسم (الرب) نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ [طه:٩٠].

﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾[الأنبياء:١١٢]. وفيما عدا ذلك جاء قائمًا بذاته حالاً محل لفظ الجلالة .

– أن العبودية لم تأت منسوبة إلى اسم من أسمائه تعالى في القرآن إلا للفظ الجلالة (الله) واسمه تعالى (الرحمن) نحو قوله تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾[مريم:٣٠]. وقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [الصافات:٤٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [الفرقان:٦٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزخرف:٤٥].

فأخبر أن الرحمن هو المستحق للعبادة، وعادل الاسم الذي لا يشاركه فيه غيره من السجود والعبادة .

– نبه تعالى إلى الاستعاذة بهذا الاسم، فقال على لسان مريم :

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [مريم:١٨].

– وفي التوكل على الله، قال تعالى : ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الملك:٢٩].

– وفي الصوم، قال تعالى : ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم:٢٦].

– وفي حشر المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا﴾ [مريم:٨٥].

– كما أسند تعليم القرآن لهذا الاسم، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن:١-٢].

وغيرها من الآيات لذا لا يجوز أن يوصف بهذا الاسم إلا المولى ﷻ، ولا يشاركه فيه غيره، فالرحمن يدل على صفته العامة المختصة به جل جلاله ويستحيل أن توجد لغيره، إذ لا يوجد مخلوق تعم رحمته جميع المخلوقات من أوليائه وأعدائه، ونبات وجماد، فرحمته ﷻ وسعت كل شيء، قال تعالى على لسان ملائكته: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر:٧].

وقال تعالى : ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف:١٥٦][1].

---

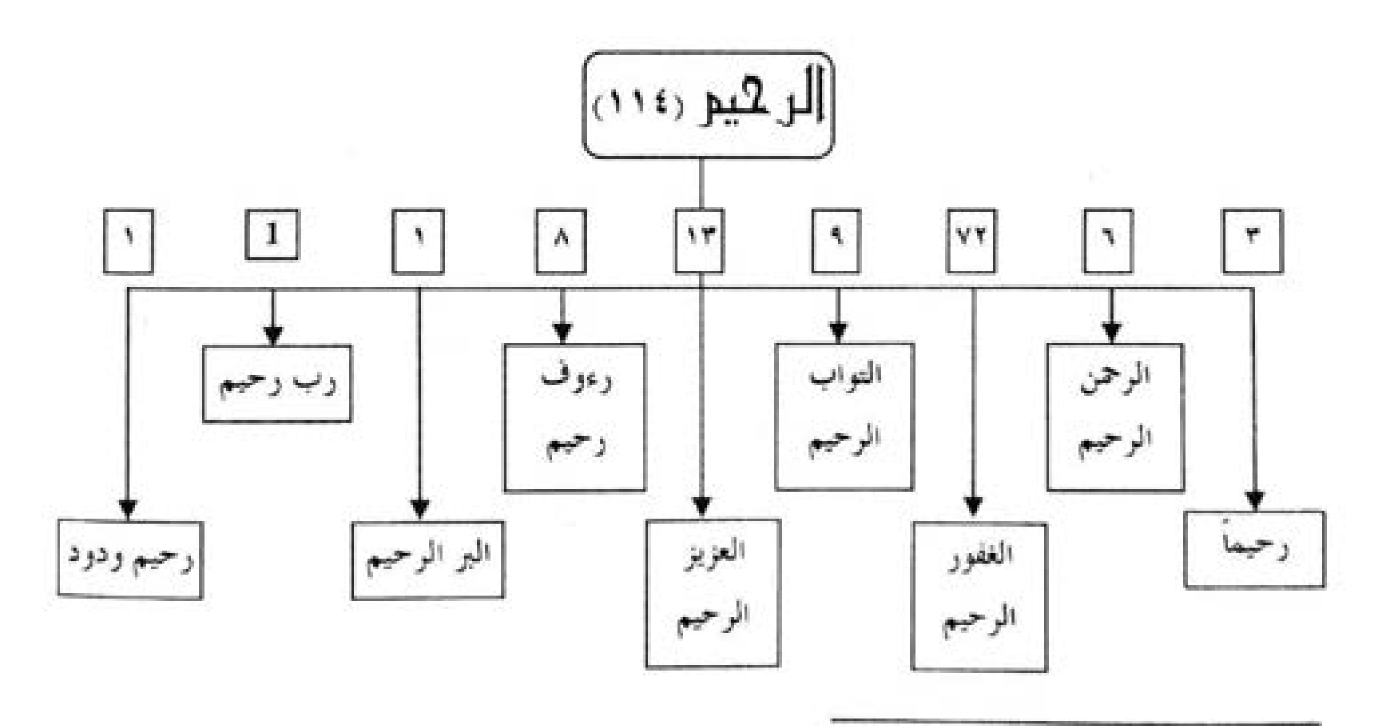
(١) راجع أسماء الله الحسنى – دراسة في البنية والدلالة – أسماء الله الحسنى – محمد متولي الشعراوي ٢/ ٧-١١.

(الرحيم) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة مرة غير البسملة، ورد فيها كلها وصفًا لله تعالى، وجاء مرة واحدة وصفا لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ورد مفردا في ثلاث آيات وبدون تعريف بـ (الـ) (رحيمًا) .

وورد مقترنا باسم غيره فقد جاء مقترنًا باسمه تعالى (الرحمن) ست مرات، و(الغفور) اثنتين وسبعين مرة، و(التواب) تسع مرات، و(العزيز) ثلاث عشرة مرة، و(الرءوف) ثماني مرات، و(البر) مرة واحدة، و(رب) مرة واحدة، و(ودود) مرة واحدة.[١]



---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٠٧ – ٣٠٩.

يلاحظ :

- جاء اسمه تعالى (الرحيم) في خواتم الآيات وفاصلة عدا آيتين ﴿ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ:٢]، ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠].

في الآية الأولى كانت فاصلة الآية السابقة عليها (خبير)، وفي الآية الثانية كانت الفاصلة (بعيد).

في الآية الأولى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ:٢].

جاءت الخاتمة على غير ما تواردت عليه الفواصل في واحد وسبعين موضعًا حيث كانت تختم كلها بـ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

«فالمقام في هذه الآية لا تجد المغفرة هي المطلب الأول منه إذ ليس هناك حال يستدعيها استدعاء مباشرًا، حيث لا عصاة، ولا مذنبين تهتف بهم مغفرة الله وتدعوهم إلى ساحتها، وإنما الذي هنا هو هذا الخلق العظيم الذي أوجده الله سبحانه، وملك أمره، وهو من رحمته التي شملت الوجود كله، فناسب ذلك أن يجيء اسم (الرحيم) أولاً لأن الرحمة هي صاحبة الموقف هنا، كذلك ناسب مجيء المغفرة بعد الرحمة لأن الإنسان وهو مخلوق لله، ومن رحمة الله، قد ضل عن وجوده، وعصى خالقه، وخالف أمره، وأفسد الفطرة السليمة التي أودعها الله فيه، ومع هذا فإن مغفرة الله لا تتخلى عن هذا الإنسان في أي حال من أحوالها. إنها رحمة واسعة لا حدود لها»[1].

---

(١) إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب – الكتاب الثاني – ص ٦٦،٦٧ بتصرف.

- يلاحظ ورود اسمه تعالى (الرحيم) في القرآن الكريم ضعف عدد مرات ورود اسمه تعالى (الرحمن)، ورد الرحيم ١١٤، والرحمن ٥٧ .

- يلاحظ كذلك أن اسمه تعالى (الرحيم) ورد في القرآن الكريم بعدد سور القرآن وهو يشمل كافة أمور الدنيا والآخرة .

(الرحمن) (الرحيم) اصطلاحًا :

«اختلف الناس في تفسير (الرحمن) وهل هو مشتق من الرحمة أو لا: فذهب بعضهم إلى أنه غير مشتق ؛ لأنه لو كان مشتقًا من الرحمة لا تصل بذكر المرحوم فجاز أن يقال : الله رحمن بعباده كما يقال : (رحيم بعباده) [1]. ولأنه لو كان مشتقًا من الرحمة لما أنكرته العرب حين سمعوه إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم، ولكنهم استنكروا هذا الاسم حين سمعوه، وأخبر المولى ﷻ بذلك حيث قال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان:٦٠].

وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الرعد:٣٠].

وذهب جمهور من الناس إلى أنه مشتق من الرحمة مبنى على المبالغة [2] ويبينوا أن : «الرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الفعل رحم، فالرحمن فعلان من رحم، ورحيم فعيل منه .

وليست المبالغة في الصفة أن الصفة تأتي مرة قليلة ومرة كثيرة، بل للمولى ﷻ

---

(١) لم يرد هذا التعبير في القرآن وإنما ورد قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[الإسراء: ٦٦].

(٢) راجع الأسماء والصفات للبيهقي ص٦٥، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

صفات الكمال المطلق، ولكن الذي يتغير هو متعلقات هذه الصفات»[١].

أي أن التكثير في الصفة بسبب تعدد المفعولات.

أما قولهم إن العرب كانت لا تعرف الرحمن، ولم يكن ذلك في لغتها إنكارًا منهم لهذا الاسم فذلك غير صحيح «فأهل الشرك دائمًا ما ينكرون ما كانوا عالمين بصحته، ألم يقل المولى ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]. يعني محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم مع ذلك كانوا به مكذبين ولنبوته جاحدين، فيعلم من ذلك أنهم كانوا يدفعون حقيقة ما ثبت عندهم صحته، واستحكمت لديهم معرفته لجهلهم بالله تعالى وبما وجب له»[٢].

و(الرحمن): اسم مختص بالله تعالى ولا يجوز أن يسمى به غيره قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]. فعادل بينه وبين الاسم الذي لا يشركه في غيره.

الرحمن: رحمن بجميع خلقه، فهو تعالى موصوف بعموم الرحمة بجميع خلقه في الدنيا «المؤمن والعاصي والكافر، العطوف على عباده بالإيجاد والهداية، يعطيهم مقومات حياتهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم في الدنيا، يرزق من آمن به ومن لم يؤمن، ويعفو عن كثير، فالحق تبارك وتعالى خلق الخلق من العدم المطلق، ودون أن يكون لهم سابقة وجود، وأعد لهم هذا الكون الفسيح موفرًا فيه كل مقومات الحياة من أرض وسماء، وشمس وماء، وكواكب ورياح، وعناصر داخل الأرض استخدمها الإنسان في صناعة المبتكرات الحديثة، وعناصر لم يصل إليها علمه

---

(١) أسماء الله الحسنى - محمد متولي الشعراوي ٢/ ٢١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١/ ١١٩.

بعد، وبعد أن أعد المولى ﷻ هذا الكون أعد للخلق في بطون أمهاتهم أرحامًا رحيمة تأتيهم بالرزق بلا حول ولا قوة، بلا مقابل ولا تعب، فإذا خرجوا إلى الدنيا أنبت لهم من الأرض الجدباء طعامًا، وجعل لهم من الليل سكنا للراحة والسكون بعد العناء، ومن رحمته أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور فمنهم من قبلها، ومنهم من أعرض عنها، والمولى ﷻ يواليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، ولكن في الآخرة الأمر مختلف إذ أن رحمته ستشمل المؤمنين فقط، فكما شملتهم في الدنيا باسم (الرحمن) فإنها سوف تشملهم في الآخرة باسم (الرحيم) فيغفر لهم خطاياهم، ويرحمهم، ويدخلهم جنته برحمته، والكفار و المشركون مطرودون من رحمة الله فانظر إلى قول الله ﷻ : ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية:٢٩: ٣١][(١)].

الرحمن : خاص في التسمية عام في الفعل ؛ فهو مختص بالباري لا يشركه فيه أحد، عام في الفعل يشمل المؤمن والعاصي والكافر. ولذا حسن مجيئه مفردًا غير تابع كمجيء اسم الله .

الرحيم : عام في التسمية خاص في الفعل فهو يسمى به غير الله تعالى لذلك وصف المولى ﷻ به نبيه ﷺ فقال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

---

(١) أسماء الله الحسنى للشيخ محمد متولي الشعراوي ٢/ ٧-٢١.

رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

خاص في الفعل أي خاص بالمؤمنين كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣].

والرحيم : دائم الرحمة[1].

هذه هي خلاصة آراء العلماء في معنى اسمه تعالى (الرحمن) و (الرحيم) نخلص منها إلى أن : (الرحمن) و (الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة ولكن لكل منهما معنى لا تؤدي الأخرى عنها منها، (الرحمن) خاص بالمولى ﷻ وهو رحمن الدنيا فرحمته تعالى تشمل المؤمن والعاصي والكافر يعطيهم مقومات حياتهم ولا يؤاخذهم بذنوبهم، يرزق من آمن منهم ومن لم يؤمن، ويعفو عن كثير .

(الرحيم) : رحيم الدنيا والآخرة ولكنها رحمة خاصة بالمؤمنين. ويؤيد هذا الرأي مجيء اسمه تعالى (الرحيم) ضعف عدد مرات ورود اسمه تعالى (الرحمن)، كذلك مجيئه بعدد سور القرآن الكريم وهو دستور وشريعة وطريق الدنيا والآخرة .

وهو عام في التسمية يمكن أن يسمى به غير المولى ﷻ .

ثمرة معرفة اسمه تعالى (الرحمن)، (الرحيم)

لم يغفل الناس عن أثر الرحمة، وجدواها، وفضلها، ومعناها ولكنهم غفلوا عن تطبيقها، والتخلق بها، لأن نفوسهم تضيق بذلك، لما ركب فيها من شح، ولما طبعوا عليه من أثرة، فلو تراحم الناس ما كان بينهم فقير، ولا مظلوم، ولا جائع،

---

(١) راجع: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١/ ١٠-٢٠ الأسماء والصفات للبيهقي ص٦٥ - المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي ص، ٦٢-٩٥، لوامع التبينات للرازي ص١١٢، مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٤.

ولا مهضوم، ولفاز العبد برضا الله ورحمته، قال تعالى:

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

وأولى الناس بالرحمة نفس الإنسان وذلك بطلب النجاة من النار، والفوز بالجنة قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[آل عمران:١٨٥].

وذلك بتقوى الله، وحفظ حدوده، والعمل بما يرضاه.

وأولى الناس كذلك بالرحمة هما الوالدان، لذلك فإن الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جمع بين الإخلاص له في العبودية والإحسان إليهما ورحمتها، قال تعالى:

﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

ومن تجب رحمتهم والرأفة بهم الأبناء:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسن بن علي وعنده الأقرع به حابس التميمي[١] جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فنظر إليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: من لا يرحم لا يرحم»[٢]

---

(١) الأقرع لقب واسمه فراس بن حابس بن عقال بكسر العين المهملة وتخفيف القاف ابن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن عبدالله بن ورام التميمي وكانت وفاة الأقرع في خلافة عثمان وهو من المؤلفة وممن حسن إسلامه فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٤٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته حديث (٥٩٩٧)

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال :**

«قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قلنا لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه[1] فقال : لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[2].

كذلك يجب على المؤمن أن يكون رحيمًا يرحم الغافلين من عباد الله فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى طريق الله ﷻ بالنصح والوعظ بطريق اللطف دون العنف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء، فهم في حاجة إلى النصح لهم والأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية والرشاد بدلا من القسوة التي تؤدي بهم إلى الإمعان في سبيل الضلال والعناء، اقتداء بنبي الرحمة الذي فهم عن ربه فكان رحمة مهداه للعالمين قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

فالمؤمن يجب أن يكون ينبوع رحمة يفيض على الآخرين، فإذا جف هذا الينبوع صارت الحياة شقاء .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٤٠، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبيان والعيال وتواضعه و فضل ذلك حديث (٦٥/ ٢٣١٨) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٥/ ٨٠.

(١) أي لا تطرحه طائعة أبدًا – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب رحمة الوالد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٩) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٤٤٠.

ومن الرحمة التي ينبغي الحرص عليها الرحمن بالحيوانات والرفق بها، والقسوة على هذه المخلوقات ليست من شيم المؤمنين، عن عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[1].

وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«أن امرأة بغيًا رأت كلبًا في يوم حار يطيف ببر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها»[2] [3].

وإذا كانت الرحمة بالكلب تغفر ذنوب البغايا فما بالنا برحمة المؤمنين بعضهم بعض[4].

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

«جاءت هذه الآية عقب آية مختومة باللعنة والعذاب لمن مات غير موحد له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ٤٥- باب حديث (٢٤٨٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/ ٥٩٤، أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام باب تحريم قتل الهرة حديث (١٥١/ ٢٢٤٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٧/ ١٤/ ٢٤٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤ وحديث (٣٧٦٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٦/ ٥٩١ واللفظ لمسلم أخرجه مسلم في صحيحه كتاب السلام باب فصل سقي لبهائم المحترمة وإطعامها حديث (١٥٤/ ٢٢٤٥) صحيح مسلم بشرح النوري ١٧/ ١٤/ ٢٤٩.

البغي: الزانية. يطيف: يدور حولها. أدلع لسانه: أخرجه لشدة العطش، (الموق) الخف (فنزعت له بموقها): استقت له من البئر

(٣) راجع: المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص٦٤، الجامع لأسماء الله الحسنى للقرطبي، أسماء الله الحسنى د.حمزة النشرتي – ص ٥١ – ٩٥.

تعالى، إذ غالب القرآن أنه إذا ذكرت آية عذاب ذكرت آية رحمة – وإذا ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب»[١] .

«ويكون في هذا تنبيه من الله- تعالى ذكره- أهل الشرك به على ضلالهم، ودعاء منه لهم إلى الأوبة من كفرهم والإنابة من شركهم»[٢]

الآية : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ : خطاب عام لكافة الناس، أي الذي يستحق عليكم الطاعة، ويستوجب منكم العبادة إله واحد لا مثيل له ولا نظير فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه سواه .

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ : نفي وإثبات أولها كفر، وآخرها إيمان، ومعناه لا معبود بحق إلا الله، فهي توكيد لمعنى الوحدانية، ونفي الإلهية عن غيره تعالى، فهي جملة جاءت تنفي كل فرد من الآلهة، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك وتعالى، فدلت الجملة الأولى على نسبة الوحدانية إليه تعالى، ودلت الثانية على حصر الإلهية فيه تعالى من اللفظ الناصِّ على ذلك، وإن كانت الجملة الأولى تستلزم ذلك ؛ لأن من ثبت له الوحدانية ثبتت له الألوهية .

فهذا تقرير للوحدانية بنفي غيره تعالى وإثباته فلا يصح بوجه ولا يمكن في عقل أن يصلح للألوهية غيره أصلاً، فلا يستحق العبادة إلا هو ؛ لأنه ﷻ :

﴿ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ : ذكر هاتين الصفتين منبها على استحقاق العبادة ؛ لأن من ابتدأ بالرحمة بإنشائه بشرًا سويًا عاقلاً، وتربيته في دار الدنيا، وأولاه بكل النعم

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٧٧.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٦٧.

أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة، فإن كل ما سواه إما نعمة و إما منعم عليه، ثم وعده الوعد الصادق بحسن العاقبة في الآخرة، جدير بعبادته والوقوف عند أمره، ونهيه فمن رحمته السابغة العميقة تنبثق كل التشريعات والتكاليف، وتدل هاتان الصفتان على سعة رحمته .

مناسبة الخاتمة للآية :

خص المولى ﷻ هذا الموضع بذكر هاتين الصفتين ؛ لأنه ثبت بتفرده بالألوهية أنه حائز جميع العظمة وبيده مجامع الكبرياء والعلم والقهر فعقبهما بذكر هذه المبالغة في الرحمة ترويحًا للقلوب عن هيبة الألوهية، وعزة الفردانية، وإشعارًا بأن رحمته سبقت غضبه وأن ما خلق الخلق إلا للرحمة والإحسان[1] .

فالمولى ﷻ رحمن الدنيا، رحمته تشمل المؤمن والعاصي والكافر يعطيهم مقومات حياتهم، ولا يؤاخذهم بذنوبهم في الدنيا .

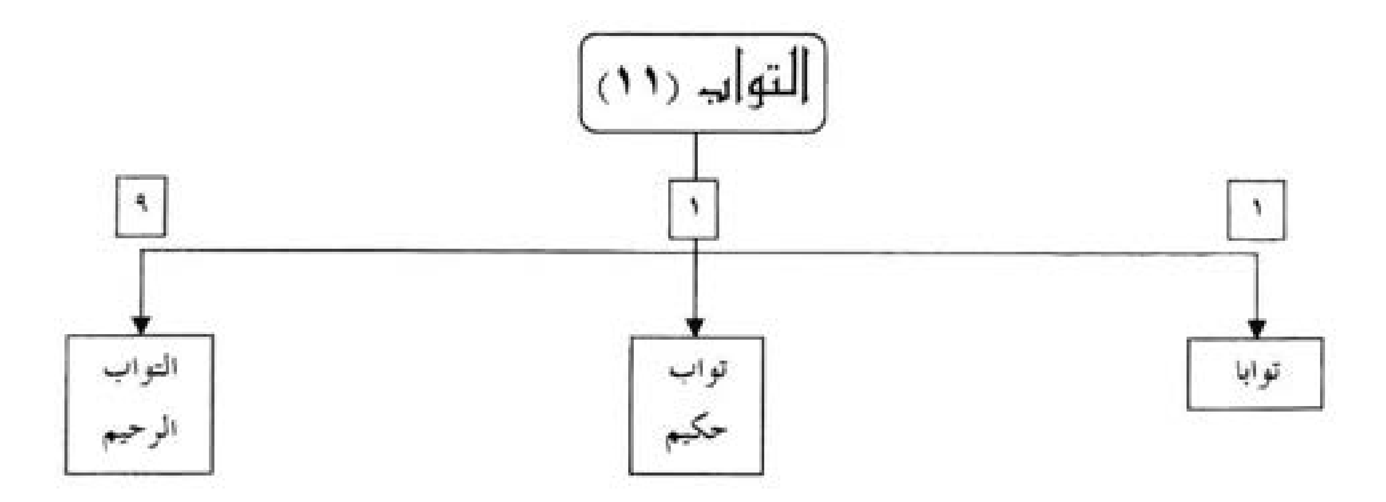
رحيم الدنيا والآخرة لكنها رحمه خاصة بالمؤمنين .

---

(١) راجع تفسير آية ١٦٣ من سورة البقرة في كل من جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٦٩/٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢/ ١٢٨، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٧٤، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٩٨.

(التواب) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة كلها في خواتم الآيات، ورد مفردًا مرة واحدة، وورد مقترنًا باسمه تعالى (الحكيم) مرة واحدة، وباسمه تعالى(الرحيم) تسع مرات منها أربع في سورة البقرة[1].



التوبـــة :

تمهيـــد: التوبة من أفضل مقامات السالكين ؛ لأنها أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقها العبد أبدًا ولا يزال فيها إلى الممات، فهي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية كحاجته إليها في البداية كذلك، وبها أمره المولى ﷻ، قال تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور:٣١].

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص١٥٧ .

أمر الله تعالى أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، وأتى بمادة (لعل) التي تفيد الترجي إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم مع رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح إلا التائبون.

ووردت التوبة في القرآن الكريم على وجهين:

الأول: تعلقها بالمولى ﷻ، وهذا مقيد بـ (على) وتأتي بمعنى التجاوز والعفو كقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٥٤].

﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]. ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة:١٥].

الثاني: تعلقها بالعبد وتكون بمعنى الرجوع والإنابة والندم، وهذا مقيد بـ(إلى) أو خال عن التقييد بـ (إلى) أو (على) كقوله تعالى:

﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأحقاف:١٥]، ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التحريم:٨].

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ البقرة:١٦٠]. ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ التوبة:٣].

فالتوبة من الله ﷻ عطف وتفضل والتوبة من العبد هي الرجوع إلى طاعة الله وطلب المغفرة والثواب واجتناب ما نهى عنه، واتباع ما أمر به المولى ﷻ[1]

التوبة لغة: التوبة (في اللغة)، والتوب: هو الرجوع عن الذنب، والاعتراف والندم والعزم على ألا يعاود الإنسان ما اقترفه من ذنب، وتاب الله على عبده، وفقه للتوبة وقبلها منه فالله تعالى تواب والعبد تائب[2].

اصطلاحًا: ويتضمن معنى الاسم الجليل في حق الله تعالى:

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي - بصيرة في التوبة ص٣٠٤ -٣٠٨ بتصرف.

(٢) راجع لسان العرب لابن منظور ١/ ٢٣٣ مختار الصحاح ص٣٣، المعجم الوجيز ص٧٩.

التواب من التوبة وهي تفيد معنى الرجوع، الرجوع مما يكره الله ظاهرًا وباطنا إلى ما يحبه ظاهرا وباطنا، تاب العبد أي رجع إلى طاعة ربه، أي رجوع عن العقاب إلى المغفرة، فالتواب : هو الذي يهب التوبة ويقبلها ممن وهبها له إذ الفضل منه وإليه لذا يقال : توبة الله على العبد خلقه التوبة له وقبوله لتوبته قال تعالى : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة:١١٨]. فعلم أنه إذا لم يتب الله على العبد لا يتوب فإذا ابتداء التوبة وأصلها من الله ﷻ، وعلى هذا تكون توبة الله على عبده قسمين :

الأول : يوقع في قلب عبده التوبة إليه فيقوم العبد بالتوبة وشروطها من الإقلاع، والندم والعزم على ألا يعاود الذنب، واستبدال العمل الصالح بالذنب .

الثاني : توبة الله على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنب بها فإن التوبة النصوح[(١)] تجب ما قبلها، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم:٨].

لذلك فالتواب : هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما ظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته حتى إذا رجعوا إلى طاعة ربهم رجع إليهم فضله تعالى بالقبول، وإن من كرم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يضيف التوبة على العبد إلى نفسه، فالعبد يذنب، وهو يتوب عليه، وهذا حقيقة الكرم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ

---

(١) النصوح: أصل مادة (ن ص ح) لخلاص الشيء من الغش والشوائب الغريبة والنصح في التوبة والعبادة والمشورة: تخليصها من كل غش ونقص وفساد وإيقاعها على أكمل الوجوه فيكون نصح التوبة / الصدق فيها، والإخلاص، مدارج السالكين ١/ ٣٣٦ بتلخيص.

ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٧-٢٨].

وصيغة المبالغة في الاسم (التواب) للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لتكريره في ذلك الشخص الواحد حتى يقضي عمره، أي كلما تكررت التوبة تكرر القبول، وذلك ليقابل الخطايا الكثيرة بالتوبة الواسعة، أو أنه تعالى بليغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه.

وسمي المولى ﷻ نفسه بالتواب لينزع من نفوس عبادة اليأس من رحمته متى تابوا إليه، وبدءوا السير مخلصين له الدين، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(١)

حظ العبد من اسمه تعالى التواب:

أكثر الناس لا يعرفون قدر (التوبة) ولا حقيقتها فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً، فإذا كان ملخص التوبة هو الرجوع مما يكرهه الله ظاهرًا أو باطنا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا ويدخل في مسماها الإسلام والإيمان والإحسان لذا يجب أن تكون غاية كل مؤمن وبوابه الأمر وخاتمته، فلم يجعل المولى ﷻ محبته للتوابين إلا لعظم مكانة التوبة، ولأنهم خواص الخلق لديه.

لذا يجب على العبد أن يندم على كل ما فرط فيه في حق الله وحق العباد، ويقبل على الله بالتوبة، بل يسارع بها، فالمولى ﷻ يحب التوابين لكنه تعالى لا يقبل التوبة ممن يؤخرها إلى آخر وقتها، قال تعالى: ﴿ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة حديث (٣١/ ٢٧٥٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٧٩.

ﱡﭐالسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌﱠ [النساء:١٨].

وإنما يقبل تعالى توبة من تتصل توبته بذلته وتقترن بمعصيته قال تعالى:

ﱡﭐإِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًاﱠ [النساء:١٧].

فيجب علي العبد الندم على ما كان ويترك الذنب الآن، وبالعزم على ألا عود إليه في مستأنف الزمان، ويرد مظالم العباد، بإرضاء الخصم بإيصال حقه إليه باليد والاعتذار منه باللسان، وأن يعفو عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه، ويقبل معاذير الناس، وأن يفعل ما أمره الله تعالى به ويتجنب ما نهاه عنه.

ولولا أن التوبة اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الله تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم ففي الحديث: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية[(١)] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش. ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتي أموت فوضع رأسه علي ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته، وعليها طعامه وشرابه. فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزوادته»[(٢)] [(٣)].

---

(١) أرض دوية مهلكة: هي البرية التي لا نبات بها- مهلكة: موضع الهلاك.

(٢) أخرجه مسلم في صحيح كتاب التوبة باب في الحث علي التوبة والفرح بها. صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٦٣ حديث (١/ ٢٦٧٥).

(٣) راجع القصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي، ص١٣٩ مع أسماء الله الحسنى للقشيري، ص ٣٥٦ مدارج السالكين ١/ ٣٣٣-٣٣٦ - بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ص ٣٠٤ وما بعدها. تفسير روح البيان للألوسي ١/ ١١٣.

ومن عظم رحمة الله بعباده أن جعل الملائكة يستغفرون للذين تابوا فقال ﷻ:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر:٧-٨].

اللهم أجعلنا من التوابين المتطهرين.

قال تعالى:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

في الآية السابقة أمر المولى ﷻ آدم عليه السلام بالهبوط من الجنة بسبب المعصية التي ارتكبها وهي الأكل من الشجرة، وكان قد نهى عن ذلك.

ثم أراد المولي ﷻ أن يتوب عليه فعلمه كلمات الاستغفار أستقبلها آدم بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها، وهي كما في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣][(١)].

﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾: والتعرض لعنوان الربوبية (من ربه) للتشريف؛ ولأن التوبة منه

---

(١) هذا على الرأي الراجح وإن كان هناك آراء أخرى للمفسرين فقد قالوا: الندم والاستغفار المعهود، وقيل (سبحانك اللهم لا إله إلا أنت وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) تفسير آية ٣٧ من سورة البقرة في الكشاف للزمخشري ١/ ١٢٨، جامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٢٤.

تعالى، فهو الذي وهبها آدم وقبلها منه، فالفضل منه وإليه، ثم علل ذلك بأنه هو وحده (التواب الرحيم) قوى التأكيد بتأكيد آخر هو لفظ (هو) ترغيبًا من الله تعالى للعبد في التوبة والرجوع إلى الطاعة، وإطماعه في عفوه تعالى وإحسانه لمن تاب إليه، ولبيان أن التوبة علي العبد إنما هي نعمة من الله لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه.

وأكتفي بذكر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ دون حواء؛ لأنها كانت تبعًا له في الحكم؛ ولذا طوي ذكر النساء في أكثر مواضع الكتاب والسنة...

مناسبة ختم الآية باسمه تعالى (التواب الرحيم).

ناسب ختم الآية باسمه تعالى التواب: لأنه تعالى هو الذي يخلق فرص التوبة للعبد، ومن لم يتب عليه فلن يتوب، فابتداء التوبة وقبولها من الله، وهي تعليل لما قبله أي تاب عليه ؛ لأنه هو التواب وتعقبه بالرحيم لأن (الرحيم) جارٍ مجرى العلة للتواب إذ قبوله التوبة عن عباده ضرب من الرحمة بهم، لأن الإثم المترتب كان من العدل أن يتحقق عقابه، لكن الرحمة سبقت العدل هنا بوعد من الله، فمن رحمته بآدم أنه آتاه كلمات الاستغفار، ومن الاستغفار تاب عليه لأنه رحيم.

قدم (التواب) على (الرحيم) لمناسبة (فتاب عليه).

وتأخير صفة الرحمة لأن التوبة من الرحمة، فجاءت مناسبة لموسيقى الآيات.

وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٣٧ من سورة البقرة في كل من: التفسير الكبير للفخر الرازي ٢/ ٢٠-٢٢، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ١٢٢-١٢٥، نظم الدرر للبقاعي ١/ ١٠٧- البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٢٧٠.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر المولى ﷻ بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها عليهم ومع ذلك اتخذوا العجل إلهًا، ثم عفا عنهم، بين في هذه الآية وقوع العفو المذكور لكنه تعالى أعرض عن خطابهم لما أصابوه من سوء أفعالهم، ووجه الخطاب من نبيهم موسي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وتبين هذه الآية توبة بني إسرائيل من عبادة العجل فلم تقبل التوبة إلا بأن قتل بعضهم بعضًا، وتدخل هذه الآية ضمن تعديد النعم على بني إسرائيل، وإن كان الأمر بالقتل لا يكون نعمة لكنه هنا من أعظم النعم؛ لأن به يتخلصون من عقاب الذنب العظيم، وذلك هو التوبة.

(يا قوم) هذا خطاب من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه يشعر بالتحنن عليهم وأنه منهم وهم منه ولذلك أضافهم إلي نفسه، فيكون ذلك سببًا لقبول ما يلقي إليهم، فبعد تقريعهم بأنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم العجل إلهًا، أمرهم بالتوبة إلى بارئهم الذي أوجدهم وهو المستحق للعبادة و (البارئ): هو الذي خلق الخلق بريئًا من التفاوت ومتميزًا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة، فكان فيه تنبيه على عظم جرمهم، وتقريع بما كان منهم من ترك عبادة العليم الحكيم إلى عبادة البقر التي هي مثل في البغاوة والبلادة[1].

(١) من أمثال العرب: «أبلد من ثور: الكشاف الزمخشري ١/ ١٤١.

حتي عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بقتل أنفسهم بأيديهم، أي أن الله ﷻ جعل توبتهم قتل أنفسهم، ويجوز أن يكون القتل تتمة لتوبتهم. فيكون المعني: فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمه لتوبتكم.

ولما كان ما أمرهم به أمرًا لا يكاد يسمح به، عظم الرغبة فيه بقوله: (ذلكم) الأمر العظيم وهو القتل (خير لكم) أصلح في الاختيار لما أنه طهره عن الشرك ووصله إلى الحياة الأبدية، ولأن التوبة والقتل خير من الإصرار على المعصية.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾: مع عظم جرمكم ولولا توبته عليكم ما تبتم ولم يجعل الضمير للقوم (فتاب عليهم) على أن ذلك نعمة أراد التذكير بها للمخاطبين لا لأسلافهم، ثم علل ذلك بقوله: (إنه هو التواب).

فهو الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم حتي ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط، وينعم عليهم وإن تعددت جرائمهم.

وتعقبه بـ (الرحيم): إذ أن توفيق عباده إلى التوبة وقبولها منهم ضرب من الرحمة بهم لأن من العدل أن يتحقق عقابه ويهلكهم ببعض ذنوبهم الكبرى ولاسيما الشرك به، لكن الرحمة سبقت العدل بوعد من الله تعالى .

اسم (الرحيم): في هذا السياق يشير إلي معني أن رحمته تعالى من السعة بحيث يعفو عن الذنب، وإن عظم، إذا تاب صاحبه، وأي ذنب أعظم من الشرك، وأي ظلم أكبر من هذا الذي وقع فيه بنو إسرائيل[1] .

---

(١) راجع تفسير آية ٥٤ من سورة البقرة في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ١٤٠، ١٤١- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ١٣٥ نظم الدرر للبقاعي ١/ ١٣٥- البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٢٧٠- تفسير روح البيان للألوسي ١/ ١١٣.

مناسبة الخاتمة للآية :

تعليل لما قبله تاب عليهم لأنه هو (التواب الرحيم) ورحمته سبب توبته عليهم.

قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٨].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية تكملة للدعاء الذي بدأه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ له ولابنه إسماعيل الذي أعانه في بناء الكعبة ولذريتهما ومنهم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكونوا مسلمين فالدين عند الله الإسلام.

ففي الآيات السابقة دعا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه أن يرزق المؤمنين من الثمرات، ولم ينس أن يدعوا ليرزقهم من الإيمان، وأن يريهم مناسكهم ويبين لهم متعبداتهم.

﴿ رَبَّنَا ﴾: تلطف واستعطاف بذكر هذا الاسم الدال على التربية والإصلاح بحال الداعي.

ربنا واجعلنا مسلمين مستسلمين لأمرك مخلصين لك خاضعين لطاعتك لا نشرك معك في الطاعة أحدًا سواك ولا في العبادة غيرك.

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ ﴾: وإنما خص الذرية بالدعاء، لأنهم أحق بالشفقة والحنو عليهم، ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع.

ولما كان المسلم مضطرًا إلي العلم قالا: (وأرنا مناسكنا)، النسك في الأصل غاية العبادة أي كل عبادة يتعبد بها إلى الله، والمراد هنا أعمال الحج وما يفعل في المواقف الطوف، والسعي، والوقوف بعرفة، والصلاة. أو هو الموضع الذي

يتقرب إلى الله فيه بما يرضيه من عمل صالح ويكون المعنى علمنا عبادتك كيف وأين نعبدك ؟

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾: هذا الدعاء استتابة لما فرط من التقصير ؛ فإن العبد وإن اجتهد في طاعة ربه فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه، على سبيل السهو والنسيان، أو علي سبيل ترك الأولي.

والتقصير في الصالحات يعد عند المقربين من الذنوب التي تهبط بالنفس وتبعدها عن الله تعالى، فهي إذا قصرت فيها تتوب، فقد يكون الدعاء منهما عليهما السلام لأجل ذلك.

وقد يكون لرفع الدرجات والترقي في المقامات، وقد يقصد بها التوبة علي العصاه من الذرية، وقد يكون إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أرادا أن يسنَّا للناس أن ذلك الموقف وتلك المواضع مكان التنصل من الذنوب وطلب التوبة. وقد يكونان أرادا كل ذلك. (والله أعلم).

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: (أنت) للفصل والتأكيد والابتداء، إنك أنت وحدك الكثير التوب على عبادك وإن كثر تحولهم عن سبيلك بتوفيقهم للتوبة إليك وقبول توبتهم برحمتك[1].

مناسبة الخاتمة للآية :

وناسب ختم الآية بهذين الاسمين: لأنهما دعا ربهما أن يتوب عليهما فناسب ذكر التوبة، فهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للإجابة. قيل إذا أراد العبد أن

---

(١) راجع تفسير آية ١٢٨ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣/ ٧٣ تفسير الكشاف للزمخشري ١/ ١٧٨- نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢١٢ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ١٩٩- محاسن التأويل للقاسمي ٣/ ٢٥٧.

يستجاب له فليدع الله ﷻ بما يناسبه من أسمائه فاختصاص المولى ﷻ بأنه تواب رحيم كان علمًا للدعاء بالتوبة وناسب تقديم ذكر (التواب) على (الرحيم) لمجاورة الدعاء الأخير ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ رد العجز علي الصدر وتأخير (الرحيم) لعمومها؛ لأن التوبة من الرحمة فجاءت مناسبة لموسيقى الآيات؛ لأن قبلها (إنك أنت السميع العليم)، وبعدها (إنك أنت العزيز الحكيم).

قال تعالى :

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

مناسبة الآية لما قبلها:

تضمنت الآية السابقة كتمان أهل الكتاب ما يعرفونه عن محمد ﷺ ورسالته وصحة الأوامر التي يبلغها في صدق، ومع هذا يكتمون ما بينه الله لهم في الكتاب فهم وأمثالهم- ممن يكتمون الحق الذي أنزله الله فيسكتون عنه وهم يعرفونه، ويكتمون الأقوال التي تقرره وهم على يقين منها- وكذلك كاتم العلم كل هؤلاء يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعين.

واستثنى الله تعالى في هذه الآية من هؤلاء ﴿ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ ﴿تَابُواْ﴾ عن الكفر إلى الإيمان، ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ ما أفسدوا في قلوبهم من مخالطة الكفر، أو ما أفسدوا من أحوالهم مع الله، أو أصلحوا قومهم بالإرشاد إلي الله بعد الضلال.

﴿وَبَيَّنُواْ﴾ الحق الذي كتموه، وصدق توبتهم ليمحوا سيئة الكفر عنهم ويقتدي به غيرهم من المفسدين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين فعلوا ما سبق وصفه- إشارة إلى من جمع هذه الأوصاف من التوبة

والإصلاح والتبيين- أجعلهم من أهل الإياب إلي طاعتي والإنابة إلى مرضاتي ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بتيسير أسباب التوبة لهم وأقبلها منهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

مناسبة الخاتمة للآية:

تعليل لقوله تعالى ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ محقق لمضمون ما قبله أي أتوب عليهم لأني أنا التواب الرحيم الذي يكثر توفيق المذنبين إلي التوبة ويبالغ في قبولها منهم والإنعام عليهم ؛ لأنه رحيم فينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط، وختم بهذين الاسمين ترغيباً في التوبة وإشعاراً بأن هذين الاسمين له تعالى، فمن رجع إليه عطف عليه ورحمه[1].

(١) راجع تفسير آية ١٦٠ من سورة البقرة في كل من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٠٠ محاسن التأويل للقاسمي ٣/ ٣٥٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ٢٥٩- إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢٢٤- البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٧٠- في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ١٥٠.

(الرءوف) جل جلاله

(الرءوف) جل جلاله اسم من أسمائه تعالى الحسني التي وردت في حديث الذي رواه الترمذي، واشتهر بين الناس .

وردت مادة (رأف) في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، ووردت (رأفة) في التنزيل مرتين:

الأولي: قوله تعالى :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢].

والرأفة هنا: رقة وضعف يمنعان من تطبيق الشرع.

الثانية: قوله تعالى :

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ [الحديد:٢٧].

والرأفة المقصودة التي وردت عن أتباع عيسي عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الرقة والخشية ورحمة بالخلق أن وفقهم للتراحم والتعاطف بينهم[(١)].

وورد اسمه تعالى (الرءوف) عشر مرات في خواتم الآيات ولم يأت فاصله، ورد في آيتين مضافًا إلي العباد نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٧].

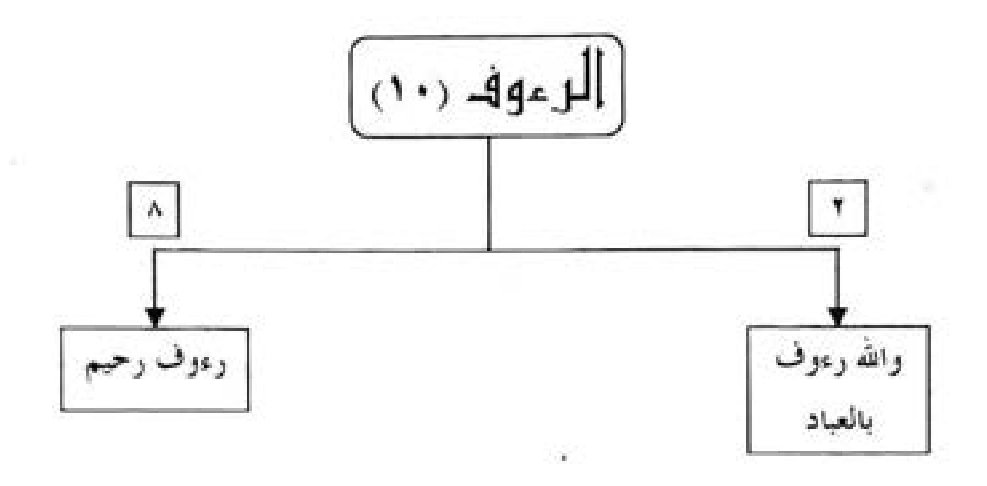
وورد في ثماني آيات مقترنًا باسمه تعالى: (الرحيم) ومتقدماً عليه وهذا يدل

---

(١) راجع إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٤/٤٣٨، راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٧٠.

علي عظم ورحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣].

ووردت منها آية تصف الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].



ولكي نعرف المعنى اللائق بهذا الاسم المقدس لابد أن نعرف معنى الرأفة في اللغة والإصطلاح والفرق بينهما وبين الرحمة حيث إن هذا الاسم اقترن باسمه تعالى: (الرحيم) في ثمانية مواضع من عشرة، وإذا جري ذكره على اللسان تبعه اسمه تعالى: (الرحيم) لقوه التشابة بينهما في المعنى والقصد والأثر.

المعنى اللغوي:

رأف به أي: رحمه أشد الرحمة، أشفق عليه من مكروه يحل به وعطف عليه فهو رائف.

الرأفة: الرحمة: وقيل أشد الرحمة.

استرأفه: استعطفه.

الرأفة: أرق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة، الرحمة: قد تقع في الكراهة لمصلحة.

ومن صفات الله ﷻ (الرءوف) وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم بألطافه[١].

المعنى الاصطلاحي:

حيث إن صفات المولى ﷻ مغايرة لصفات الخلق من جميع الوجوه التي تخضع للحس أو يتصورها العقل أو يتوهمها الخيال، لذا لابد من ذكر معنى الرأفة في حق المولى ﷻ، والرأفة في حق العباد، لأن الرأفة والرحمة والرضا والغضب وما إلى ذلك مما وصف الله ﷻ نفسه به في كتبه أو علي ألسنة رسله هو من صفات الأفعال، لا من صفات الافتعال، فأسماء الله تعالى تفهم باعتبار الغايات التي هي أفعال ولا تفهم من حقائقها اللغوية التي تفيد الافتعال، لذا قالوا عن الرأفة في حق العباد:

إشفاق وتوجع وميل وطبع وتعطف من أجل ضعف المرءوف به عن تحمل عبء ما عمله، مع حب وود في نفس الرائف له، فالرءوف من الناس غالبًا ما يراعي في تصرفاته تجاه الآخرين ما يرق لحاله وما يرضيه ولو كان ذلك علي حساب مصلحته، فالرأفة في الإنسان غالبًا ما تكون بعيدة عن العدل الذي أمر المولى ﷻ به ووضع حدوده وأبعاده الممكنة.

الرأفة في حق الله ﷻ:

(الرءوف) جل جلاله: هو الرفيق بعباده يدفع عنهم السوء.

فهو تعالى لم يحملهم من العبادات ما لا يطيقون فهو الرءوف الذي كلف الثري بما لم يكلف به المسكين، وأخذ المقيم بما لم يأخذ به المسافر، وخفف الفرائض في حال الضعف،

---

(١) راجع أساس البلاغة للزمخشري ص ١٤٩، لسان العرب ٩/ ١١٢، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ص ١٨٧، المعجم الوجيز ٢٤٩.

والحمد لله الذي يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.

ورأفة المولي ﷻ تعم المؤمن والكافر. قال تعالى :

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٤٦ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[النحل:٤٥: ٤٧].

وقال تعالى :

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحج:٦٥].

ومن شدة رأفة الله ﷻ بعباده أن علمهم دعاء يدعونه به، قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:١٠].

الفرق بين الرأفة والرحمة:

يرى الإمام الغزالي[١] أن الرأفة: شدة الرحمة. فهو بمعنى رحيم، مع المبالغة فيه[٢] وتبعه في ذلك بعض العلماء، ورأى البعض الآخر: أن الرحمة أبلغ وأعم من الرأفة. **وهذا الرأي هو الذي أرجحه[٣]، وذلك لما يلي :**

---

(١) هو حجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. ولد سنة ٤٥٠هـ- ١٠٥٨م وتوفي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م ببغداد انظر ترجمته في سيد أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٤٣.

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى أبي حامد الغزالي ص ١٤٠.

(٣) (الرؤف الرحيم) كقوله تعالي (التواب الرحيم) فتوبته تعالي علي عباده سببها رحمته تعالي كما ذكر سابقاً في مبحث التوبة كذلك رأفته ﷻ سببها رحمته لذا فالرحمة أعم وأبلغ من الرأفه.

١-الرحمة أبلغ من الرأفة ففي غالب الآيات التي ذكر فيها اسمه تعالى (الرءوف) اقترن باسمه تعالى (الرحيم) وجاء متقدمًا عليه، وهو دليل علي أن الرحمة أبلغ وأعم من الرأفة.

٢-**الرأفة**: هي رحمة خاصة بمن يستحقها من المرضى، والضعفاء، وغيرهم، وهي دفع مكروه وإزالة الضرر، فهي عبارة عن نوع من الرحمة خاص شامل لاستصلاح العباد، والرفق بهم في تربيتهم جملة وتفصيلاً، والنظر لهم بما هم عليه من الضعف والحاجة والمسكنة والفقر.

أما الرحمة:

فهي عبارة عن اسم جامع يدخل فيه ذلك المعني ويدخل فيه الأفضال والنعم فلم يقل عن نفسه ﷻ: إنه ذو رأفة ولكنه قال: (ذُو الرَّحْمَةِ).

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣].

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

قال تعالى: ﴿ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧].

و (الرحيم) جل جلاله ينظر إلى مصلحة من يرحمه بغض النظر عما يكون في ذلك من ضرر يلحق بالمرحوم[1]، فالرحمة والعدل لا ينفك أحدهما عن الآخر فلا عدل بلا رحمة، ولا رحمة بلا عدل، ويتضح ذلك من التشريع الإسلامي فهو مبني علي العدل المطلق، لكنه لا يخلو من الرحمة في أي حكم من أحكامه، مثال:

جاء في حد الزنا ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا

---

(١) هذا الضرر غالباً ما يكون من وجهة نظر البشر.

رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٢].

ومن التدبر الأمثل يفهم أن إقامة الحدود رحمة بالمحدود، وليتوب من ذنبه ولا يعود إليه، ورحمة بالمجتمع كله ؛ لأن العقوبة لا تنصب على الفاعل بقدر ما تنصب علي الجريمة نفسها من أجل القضاء عليها وتطهير المجتمع من رجسها، ويفهم أيضًا أن تعطيل الحدود بسبب الرأفة يتنافى مع الرحمة التي هي قرينة العدل من جميع الوجوه.

٣-الرءوف من الناس يتصرف بعواطفه وأحاسيسه الجياشة أكثر مما يتصرف بعقله، وقد يؤدي به هذا التصرف إلي الوقوع في الخطأ أحيانًا.

والرحيم من الناس: يتصرف بعقله أكثر مما يتصرف بهواه وعواطفه فيكون تصرفه أقرب إلي الرضا والقبول، وأبعد عن النقد والتجريح.

حظ العبد من أسمه تعالى (الرءوف):

قال ﷻ في وصف نبيه محمد ﷺ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

فهذا يعلمنا أدب الاقتداء بالنبي ﷺ الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وخلع عليه من صفاته العلا، فعلى المؤمن التخلق بصفات الرأفة والرحمة من: لين القول، وحسن المعاشرة، والرفق بالفقراء، وخفض الجناح للمساكين، والتواضع لخلق الله أجمعين، محققًا- ما استطاع- لرجاء الراجين.

كما أن على المؤمن أن يرأف بنفسه كما رأف الله بها، فلا يحملها فوق وسعها، ولا ما هو خارج عن مقتضى كرم طبعها، والرأفة بها أن يسلك بها أوضح

المسالك، ويقيها موارد المهالك، وكذلك بغيره فبهذا يكون ذا قلب رءوف.

ومن ذكر الله ﷻ باسمه الرءوف وكان علي علم بمعناه اللائق به ﷻ لم يقنط من رحمته أبدًا مهما عظم ذنبه، وكثرت خطاياه[1].

الآيات التي ختمت باسم الرءوف:

قوله تعالى:

١- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣].

٢- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٧].

قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣].

---

(١) راجع الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ١/ ١٧٣-١٧٥. شرح أسماء الله الحسنى للرازي الكتاب المسمي لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالي والصفات- ص ٣٢٧، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها لأبي بكر إسماعيل ٣٢٨-٣٣١، أسماء الله الحسنى محمد متولي الشعراوي ٦/ ٢١.

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين المولى ﷻ أن له تعالى المشرق والمغرب، فهذه الجهات بعد استوائها في كونها خلقًا لله وملكًا له خص بعضها بمزيد التشريف والتكريم بأن جعل منها قبلة فضلاً منه وإحساناً، فكذلك العباد كلهم مشتركون في العبودية، إلا أنه تعالى خص هذه الأمة بمزيد الفضل والعبادة، إحسانًا منه تعالى وفضلاً، فقد جعل لها مكانه عظيمة في هذه البشرية، ووظيفة ضخمة في هذه الأرض، عن أبي سعيد الخدري[1] قال: قال رسول الله ﷺ «يدعي نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما آتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدًا، فذلك قوله جل ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣]»[2].

أمة وسطًا: خيارًا أو عدولاً والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كالمركز ثم استعير للخصال المحمودة.

وفي الآية دلالة على أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم وأنها خيار، وذلك يقتضي تصديقها والحكم بصحة قولها، ويقتضي أيضًا نفي اجتماعها على الضلالة لأنه تعالى لما جعلهم شهداء على غيرهم فقد حكم لهم بالعدالة وقبول القول.

---

(١) صحابي جليل.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ١٣ باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ حديث ٤٤٨٧ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٢١.

وأخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً لأن المراد في الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفي الثاني اختصاص بكون الرسول شهيدًا عليهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾:

ثم جرد الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أي إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنه إلى الكعبة لنعلم حال من يتبعك أو يطيعك، ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب مرتدًا عن دينه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء رجل فقال: قد أنزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فتوجهوا إلي الكعبة»[1].

وهذا يدل علي كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لأوامر الله ﷻ رضي الله عنهم أجمعين.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ ....﴾ المراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء، أي لنجازي الطائع والعاصي وكثيرًا ما يقع التهديد في القرآن بالعلم.

﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: يعود على القبلة التي كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوجه إليها وهي بيت المقدس قبل التحويل. ومعنى كبيرة شاقة وصعبة، ووجه صعوبتها أن ذلك مخالف للعادة لأن من ألف شيئاً، ثم انتقل عنه، صعب عليه الانتقال، أو أن ذلك يحتاج إلي معرفة النسخ وجوازه ووقوعه ثم استثني الثابتين المهديين إلى الصراط المستقيم الثابتين على الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ١٤ باب ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ ... إلي قوله لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ٤٤٨٨ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٢٢.

واتباع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾: أي صلاتكم إلي بيت المقدس قبل ذلك، ما كان يضيع ثوابها عند الله بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم، ثم علل ذلك (أن الله) المحيط بجميع صفات الكمال (رءوف رحيم).

مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين:

للتحقيق، والتقرير، وتعليل الحكم فإن اتصافه ﷻ بهما يقضي لا محالة أنه لا يضيع أجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم، وبالغ في ذلك وأكد بأن، وباللام، إشارة إلى سعة رحمته وكثرة رأفته تعالى بعباده.

وتأخر الوصف بـ (الرحيم) لمناسبة المعني حيث إن الرحمة أعم وأشمل في إيصال النعم مطلقًا، ورحمته تعالى سبب رأفته بعباده، ودفع الضرر عنهم[1].

وتأخر الوصف بـ (الرحيم) فجاء فاصلة للآية لتعطي شحنة موسيقية عند الوقف عليها، فالعرب إذا أرادوا أن يترنموا يمدوا الصوت.

كما أن حرف الميم عند الوقف عليه يعطي صوتًا لذيذًا تطرب الأذن لسماعه لأنه حرف غنة، كذلك لمناسبة (رحيم) لما سبقها من خواتم الآيات.

قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧].

---

(١) راجع تفسير آية ١٤٣ من سورة البقرة في كل من: أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص ١/ ٨٦-٨٩، روح المعاني للألوسي ١/ ٤٠٣. ورشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢١٤، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٩-٢١.

مناسبة الآية لما قبلها:

بين المولى ﷻ تحزب الناس في شأن التقوى إلى حزبين وتعيين ما آل إليه كل منهما ففي الآيتين السابقتين بين تعالى نموذج المرائي الشرير الذلق اللسان الذي يجعل شخصه محور الحياة كلها والذي يعجبك مظهره ويسوؤك مخبره، وإذا دعي إلي الحق امتنع وأبي وأخذته الحمية والغضب بالإثم، وفي هذه الآية بين المولي ﷻ النموذج الثاني نموذج المؤمن الصادق الذي يبذل نفسه كلها لمرضاة الله ويتوجه بكليته إليه سبحانه، فالمثال الأول يهلك الناس لاستبقاء نفسه، ويبذل دينه لطلب دنياه، وهذا يهلك نفسه لاستصلاح الناس، ويبذل دنياه ونفسه لطلب دينه. واختلف في أسباب نزول هذه الآية والأكثرون أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

ويشري هنا معناها يبيع والمعنى ومن الناس من يبيع نفسه يبذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب، أو يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وإن ترتب عليه القتل طلبًا لرحمة الله ﷻ المحيط بصفات الكمال، وهذا كمال التقوى.

﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب، ورأفة الله تتضمن اللطف بهم والإحسان إليهم بجميع أنواع الإحسان فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء علي العمل القليل المنقطع، ومن رأفته جوز لهم كلمة الكفر إبقاء على النفس، ومن رأفته أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها فكلف الثري بما لم

يكلف به المسكين.

وأخذ المقيم بما لم يأخذ به المسافر، وخفف الفرائض في حال الضعف والحمد لله الذي يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه، ومن رأفته ورحمته أن النفس له والمال ثم أنه يشتري ملكه بملكه فضلاً منه ورحمة وإحساناً[(١)].

مناسبة الخاتمة للآية:

هذه الآية ذكر فيها المولى ﷻ اسم (رءوف) دون ذكر الحكم أو الجزاء فيها تنبيهاً لعباده :

١-أنهم إذا عرفوا الله بذلك الاسم العظيم عرفوا ما ينتظرهم من ثواب كبير ويكون ذلك أكثر دفعاً في طلب مرضاته ﷻ.

٢-كما جاء اسم (رءوف) مناسبًا كل المناسبة في ختم هذه الآية حتى يرفق العبد بنفسه فالرءوف هو الذي لم يحمل عباده ما لا يطيقون .

وناسب أن تكون الفاصلة (العباد) لمماثلة حرف الروي (د) حرف الروي في الآيتين السابقتين مما يعطي موسيقي ونغمًا عند التلاوة.

---

(١) راجع تفسير آية (٢٠٧) من سورة البقرة في كلّ من: جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ٢/ ٣٦٢، التفسير الكبير للفخر الرازي ٣/ ٥/ ١٧٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢٥٤، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٢٤٧ في ظلال القرآن سيد قطب ١/ ٢٠٧.

(الغفور) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى: ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس وورد في القرآن الكريم خمسًا وتسعين مرة، كما ورد اسمه تعالى (غافر) مرة واحدة مضافاً ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾[غافر:٣]. وورد اسمه تعالى (الغفار) في خمس آيات مفردًا في آيتين ومقترنًا باسمه تعالى (العزيز) ومتأخرًا عليه في ثلاث آيات ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴾[1].

أما اسمه تعالى (الغفور) فقد ورد مفردًا في آيتين (غفورًا) واقترن باسمه تعالى (رب) (رب غفور) في آية واحدة، (غفور ودود) في آية واحدة، (عزيز غفور) في آيتين، (غفور شكور) في ثلاث آيات، (عفو غفور) في أربع آيات، (غفور حليم) في ست آيات، واقترن باسمه تعالى (الرحيم) في ست وسبعين آية ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩].

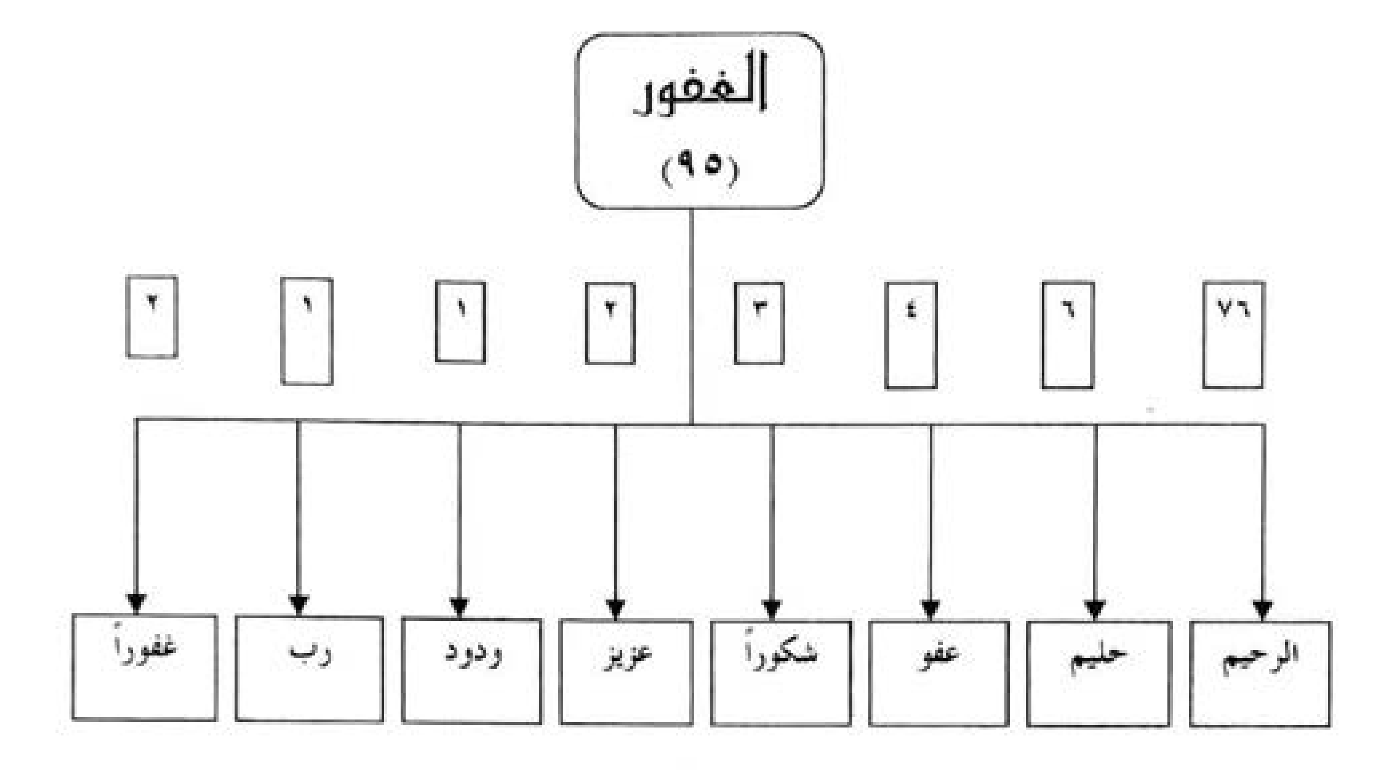
وذلك لأنهما اسمان عظيما الشأن جليلا القدر، ولأهميتهما أمر المولى ﷻ رسوله ﷺ أن يبلغ العباد بأنه له ﷻ وحده هذان الاسمان فقال تعالى:

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر:٤٩][2].

---

(١) سورة غافر: جزء من آية ٤٢، سورة ص: جزء من آية٦٦، سورة الزمر: جزء من آية٥.

(٢)الغافر والغفور والغفار بمعنى واحد في جنب الله تعالي بغض النظر عن الفروق اللغوية التي يراعيها علماء اللغة فإن هذه الأسماء لمسمى واحد هو الله الكامل في ذاته وصفاته. أسماء الله الحسنى محمد بكر إسماعيل، ص ١٤١.



الغفور: لغة:

أصل المغفرة: التغطية والستر، وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي تحت بيضة الحديد على الرأس مغفر، وتقول العرب: اغفر ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه أي أحمل له وأغطى له، ومنه غفر الله ذنوبه أي سترها، والغفر والمغفرة: التغطية علي الذنوب والعفو عنها، والغفور والغفار: جل ثناؤه، ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب، والاستغفار: طلب المغفرة بالمقال والفعال[1].

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٢٧٣-٣٢٧٤- المعجم الوجيز ٤٥٢ مختار الصحاح ١٩٩. معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٧٤، ٣٧٥.

اصطلاحًا:

المغفرة: هي ستر الذنب، ومحوه، والتجاوز عنه، والعفو عن صاحبه والغفور جل جلاله: معناه كثير الغفران والصفح كلما أذنب العبد واستغفر غفر له، فهو الذي يستر على المذنب ولا يؤاخذه فلا يشهر في الدنيا ولا الآخرة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه[1] عليه، فيقول عملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول نعم. فيقرره، ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم»[2].

فالغفور هو الستير لذنوب عباده والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته ومعنى الستير في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم[3].

من ذلك يتضح اتفاق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوى، ونستنتج أن الغفور هو الكثير المغفرة أو الواسع المغفرة، وأن المغفرة هي ستر الذنوب في الدنيا والتجاوز عنها، والعفو عن مقترفيها، وصونهم من أن يمسهم العذاب في الآخرة.

حظ العبد من اسمه تعالى الغفور:

أن المغفرة الواسعة صفة اتصف بها الغفور جل جلاله لكنه أودعها في قلوب من

---

(١) الكنف: الستر.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه (٦٠٧٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٥٠١.

(٣) راجع شأن الدعاء للخطابي ص ٥٢، الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي ١٥٢-١٦٤.

يشاء من عباده، بل أمرهم بالتأدب بها فقال مخاطبًا نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية:١٤].

لذلك يجب أن يتصف الإنسان بالمغفرة للآخرين، والصفح الجميل، والإعفاء وستر عيوبهم، كما يقتضي أن يتصف بالسماحة في التعامل.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «.... من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة»[1].

وإذا لزم الإنسان الاستغفار تغمده الله برحمته وغفر له ذنوبه وكان له وقاء من عذاب الله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

ومن أحب أن يكثر له في ماله، وولده، ويبارك له في رزقه فليستغفر الله، قال تعالى على لسان نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠: ١٢].

ومن أحب أن تزاد له في قوته ويصير تقيًا فليستغفر الله، قال تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ﴾ [هود:٥٢].

وقد ذكر المولى ﷻ الاستغفار أولاً قبل التوبة لأنه وسيلة إليها ومقدمة من مقدمتها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلي الذكر جزء من حديث (٣٨/ ٢٦٩٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٢٥.

ومهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب توبة نصوحة وبرهن على ذلك بالعمل الصالح ورجع إلى الله غفر له جرمه صغيره وكبيرة قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢].

فما علينا إلا أن نطلب منه تعالى المغفرة ونحن واثقون بأنه سيستجيب لنا لأنه قد وعدنا بذلك ووعده الحق، قال تعالى:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣].

وقال تعالى:

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

فقوله تعالى: ﴿يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾ إخبار عن الفعل وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ إخبار عن القول كأنه قال: الذين زلاتهم أفعال، وتوبتهم أقوال ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ﴾ طلبوا المغفرة فوجدوا الله، فالعجب كل العجب من عاصٍ طلب المغفرة فوجد الله تعالى يغفر له.

مما سبق يتبين أن المغفرة هي أكبر نعمة بعد الإيمان، وأن الغفور هو الذي لا يدع ذنبًا إلا غفره، ولا عيبًا إلا ستره، ولا كربًا إلا كشفه، ولا همًّا إلا فرجه لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى فعلى المسلم أن يتعرض لعفو الله ومغفرته ورحمته بالطاعة والانقياد والضراعة وكثرة الاستغفار، ويضرع بسيد الاستغفار في

الليل والنهار[1] ففي الحديث:

«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا إنت»[2].

«ومن أقوال الصالحين في الدعاء وطلب المغفرة ما يرويه الأصمعي[3] قال:

وقف أعرابي مقابل الروضة الشريفة فقال: اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك، وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي حزن حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك، وأنت أكرم من أن تحزن حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك، اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره.

قال الأصمعي: فقلت: يا أخا العرب غفر الله لك وأعتقك بحسن هذا السؤال»[4].

تمهيد مع بيان الفرق بين: التوبة والاستغفار:

قد يأتي الاستغفار مفردًا كقوله تعاليعلي لسان نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟

---

(١) راجع شرح أسماء الله الحسنى لأبي القاسم عبد الكريم النيسابوري القشيري ص ١٨٩-١٩٢، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها د. محمد بكر إسماعيل ص ١٣٨-١٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار جزء من حديث (٦٣٠٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١١/ ١٠٠.

(٣) الأصمعي: الحافظ حجة الأدب لسان العرب العلامة أبو سعيد عبد الملك بن غريب الباهلي البصري الأصمعي اللغوي الإخباري أكثر عن عمرو بن العلاء وكان الخلفية (هارون الرشيد) بمجالسه عاش ثماني وثمانين سنة وله عدة مصنفات تزيد علي الثلاثين راجع شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٣٧. سير أعلام النبلاء ١٧٧-١٨٨.

(٤) أسماء الله الحسنى د. حمزه النشرتي، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي، د. عبد الحميد مصطفى، ص ٢٧٩.

رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:١٠-١١].

ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

وقد يأتي مقرونًا بالتوبة، نحو قوله تعالى:

﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود:٩٠].

والفرق بين الاثنين أن الاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله، ومحو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].

فإن الله لا يعذب مستغفرًا، وأما من أصر علي الذنب وطلب من الله مغفرته فهذا ليس باستغفار مطلقًا، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

أما عند اقتران احدي اللفظتين بالأخرى:

فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى.

والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. فها هنا ذنبان: ذنب قد مضي، فالاستغفار منه طلب وقاية شره، وذنب يخاف وقوعه: فالتوبة: العزم علي ألا يفعله.

والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوعًا إليه يقيه شر ما مضي، ورجوعًا إليه

يقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

فها هنا أمران لابد منهما: مفارقة الشيء، والرجوع إلي غيره: فحقت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء- والله اعلم- الأمر بهما مرتبًا بقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ فإنه الرجوع إلى الطريق الحق بعد مفارقة طريق الباطل.

وأيضاً الاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب منفعة[١].

هذا والاستغفار لازم لكل إنسان لا لمن ارتكب ذنبًا أو ظلم نفسه فقط، لأنه ما من مخلوق قد عرف الله حق معرفته، وعبده حق عبادته، وعظمه حق عظمته، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧].

فذلك ذنب لا يخلو منه أحد، وكلما ترقى العبد في العبادة وجد أن ما كان فيه هو بمثابة الذنب «أي تقصير» لما أصبح عليه، كذلك لا قبل للإنسان بإحصاء نعم الله عليه، وبالتالي لن يوفيه حق حمده، وشكره، ومن رحمته تعالى بعباده أن جعل من أسمائه (الغفور).

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٣٣٣-٣٣٦ بتلخيص.

(الحليم) جل جلاله

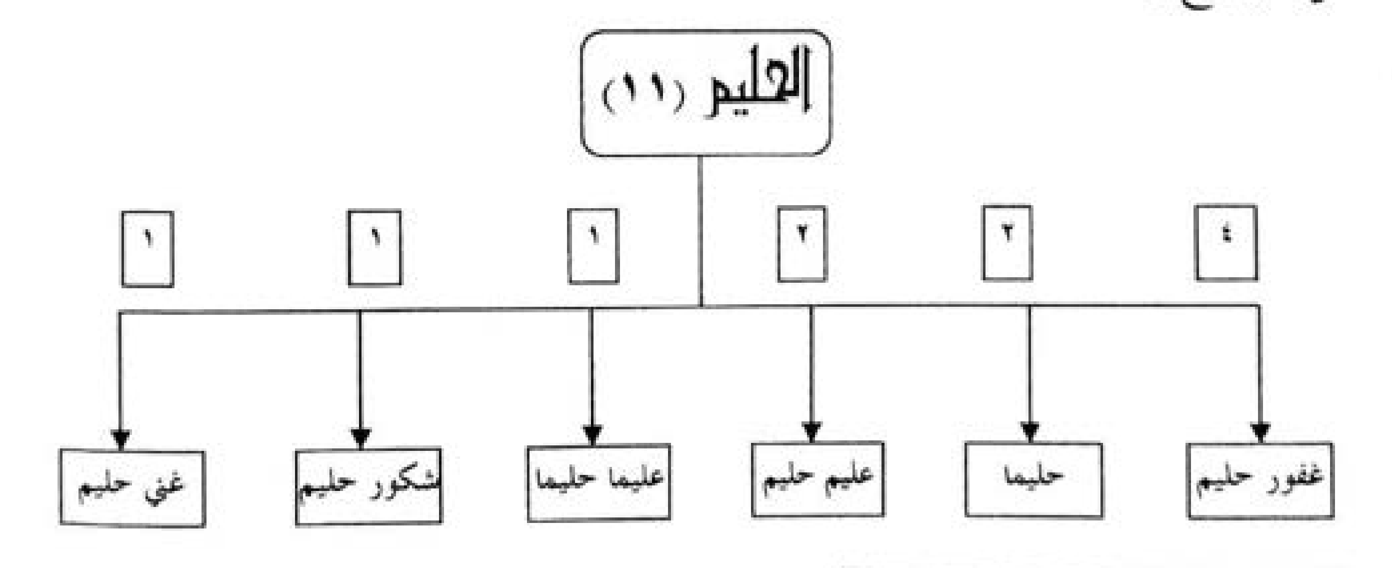
اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم وصفًا لبعض أنبياء الله ﷺ، قال تعالى في وصف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

كما جاء وصفًا لشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧].

ووصفًا لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات:١٠١].

وورد أسمًا من أسماء الله الحسنى في أحد عشر موضعًا، ولم يأت مفرداً، وإنما جاء مقترنًا باسم غيره، فقد جاء مقترنًا باسمه تعالى (الغفور) في ستة مواضع جاء في أربعة منها لاحقًا له مرفوعًا ومنصوبًا ومتقدماً عليه في موضعين، وورد مقترناً باسمه تعالى (العليم) في ثلاثة مواضع، و (الشكور) في موضع واحد، و (الغني) في موضع واحد[١].



(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٢١٦، ٢١٧.

الحليم لغة :

لأهل اللغة في تعريف (الحليم) أقوال، منها:

حلم: حلمًا: رأي في نومه رؤيا.

حلم: تأنَّي وسكن عند الغضب أو مكروه.

الحلم: الأناة وضبط النفس والتثبت في الأمور وذلك من شعار العقلاء.

(والحليم) في صفة الله تعالى معناه: الصبور أو الذي لا يستخفه عصيان العصاة، ولا يستفزه الغضب علي الطغاة[1].

اصطلاحًا:

عرف العلماء (الحليم) جل جلاله تعريفات متعددة، منها:

١) الحليم: «الذي لا يحبس أنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم» ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر التقي، وقد يقيه الآفات والبلايا، وهو غافل لا يذكره فضلاً عن أن يدعوه، كما يقيها الناسك الذي يسأله وربما شغلته العبادة عن المسألة.

٢) ذو الصفح والأناة «الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاصٍ، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة، المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة»[2].

٣) «الحلم: تأخير العقوبة عن المستحقين، والله تعالى يريد تأخير العقوبة عن

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور ٢/ ٩٨٠، معجم ألفاظ ق. ك للراغب الأصفهاني ص ١٢٩، مختار الصحاح ٦٤، المعجم الوجيز ١٦٩.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٦٨.

بعض المستحقين، ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم، وأنه تعالى يعجل العقوبة لبعضهم، والأمر فيه على ما سبق عليه الحكم وتعلقت به الإرادة والعلم، وأنه تعالى إذا أخر العقوبة عن المستحقين فبفضل منه سبحانه يخصهم به»[١].

٤) «هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجله وطيش كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل:٦١]»[٢].

٥) قال الفخر الرازي[٣] «حاصل كلامهم أن الحليم هو الذي لا يعجل بالانتقام، وأنا أقول: من لا يعجل الانتقام إن كان علي عزم أن ينتقم بعد ذلك فهذا يسمي حقودًا، وإن كان علي عزم أن لا ينتقم ألبتة فهذا هو العفو والغفران، فأين الحلم، وما معناه؟ ويمكن أن يقال إنما يكون حليمًا إذا كان على عزم أن لا ينتقم ألبتة، ولكن بشرط أن لا يظهر ذلك، فإن أظهره كان ذلك عفوًا، وبهذا الوجه ظهر الفرق بين العفو وبين الحليم»[٤].

ليس المقصود بالحليم هو الذي لا يعجل بالانتقام، ولا بالذي يعزم علي ألا ينتقم ألبتة سواء أظهر ذلك العزم أم أخفاه، إنما الحليم هو الذي يمهل عباده

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للقشيري ص ٢٤٤.

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص ١٠٣.

(٣) هو الإمام الكبير شيخ الإسلام العلامة الأصولي المتكلم المناظر المفسر، صاحب التصانيف المشهورة أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، التيمي، البكري، القرشي، الطبرستاني، الرازي المولد الملقب فخر الدين المعروف بابن الخطيب أو خطيب الري، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/ ٥٠٠) وفيات الأعيان لابن خلكان(٣/ ٣٨١).

(٤) شرح أسماء الله الحسنى للرازي (لوامع البينات) ص ٢٤٢.

ليستغفروا حتي يتوب عليهم ليتوبوا، فالمولي ﷻ يمهل عباده ويحلم عليهم وفي الوقت، نفسه يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ذلك بأنه تعالى هو الصفوح مع القدرة قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:٢٠]. فهذا عطاء الربوبيه لكل مخلوق أما عطاء الألوهية فهو لمن اتقي قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فسبحان الله الحليم الذي يمهل العاصي كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [النحل:٦١].

ولم يأخذه بذنبه ليتوب فإن تاب قبل توبته، وإن أصر أخَّر العقاب عنه لعلمه تعالى أنه لا يخرج عن ملكه، وليس المراد هو ترك العقاب بالكلية فهذا يتنافي مع العدل السماوي ومع سنة الله في كونه، فهو تعالى، يمهل ولا يهمل لأن العدل وضع الأمور في مواضعها فالحلم لمن يستحق، والانتقام لمن لم يجد فيه الحلم(١).

فالحليم إذن هو:

١) الذي يمهل العاصي حتى يتوب ولا يعاجله بالعقوبة والانتقام.

٢) الذي لا يحبس أنعامه عن عباده لأجل ذنوبهم بل يرزق العاصي كما يرزق المطيع.

٣) ذو الصفح مع القدرة على العقاب «لاستدراك العفو، ولظهور الفضل وإنهاء العذر أو لحكمة بالغة»(٢).

---

(١) الفكرة من أسماء الله الحسنى للشعراوي ٣/ ٩٩، ١٠٠.

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للإمام أبي عبد الله القرطبي ص ١/ ٩٢.

حظ العبد من اسمه تعالى (الحليم):

أولاً: الحليم على الإطلاق هو المولي ﷻ، ويجب على العبد أن يعلم ذلك كما يجب أن يعلم أن الحلم منحة إلهية يضعها الله في قلب من يشاء من عباده إلا أن الإنسان ممكن أن يحصل على تلك الصفة بالمجاهدة والدعاء، ويتحلي بصفة الحلم فيستعمل الحلم على الجهلاء، ويستعمل الصفح عن السفهاء، متمثلاً لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧].

هذا أمر من المولى ﷻ بالصبر، والصبر داخل تحت الحلم إذ كل حليم صابر وفي الحديث عن النبي: ﷺ «ليس أحد أصبر على أذي سمعه من الله تعالى إنهم ليدعون له ولدًا وإنه ليعافيهم»[1].

فوصف الله تعالى بالصبر إنما هو بمعنى الحلم[2] ولا شك أن أكبر إمام تخلق بالحلم وتحلي بهذا الخلق هو رسول الله ﷺ فإنه لا يغضب لنفسه أبدًا. عن عائشة زوج النبي ﷺ رضي الله عنها أنها قالت «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا. فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب الصبر في الأذى حديث ٦٠٩٩، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠/ ٥٢٧.

(٢) لم يرد في القرآن الكريم ولا السنة الصحيحة أن الصبور اسم من أسماء الله الحسنى وإنما فسر بمعني الحليم- لكن الاسم ورد في حديث الترمذي.

رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله ﷻ»[1] [2].

آيات سورة البقرة المتضمنة اسمه تعالى (الغفور) حسب ترتيبها :

قال تعالى :

١) ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣].

٢) ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٨٢].

٣) ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٢].

٤) ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

٥) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

٦) ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥].

٧) ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته. حديث (٢٣٢٧) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٥/ ٨٧.

(٢) راجع الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي ١/ ٩٧/ ٩٨، أسماء الله الحسنى للشيخ الشرباصي ١/ ١٨٣.

٨) ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر المولى ﷻ عباده المؤمنين في الآية السابقة بالأكل من طيبات ما رزقهم أي الحلال، فصل في هذه الآية أنواع الحرام.

فذكر تعالى أنه لم يحرم عليهم من ذلك إلا ﴿ ٱلْمَيْتَةَ ﴾: أي أكلها والانتفاع بها، وهي التي على غير ذكاه، و ﴿ وَٱلدَّمَ ﴾.

﴿ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾: إنما خص لحمه مع أن سائر أجزائه أيضًا في حكمه لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه بمنزلة التابع له[١].

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾: ما ذبح للصنم، والطواغيت[٢]، أو ما ذكر عليه اسم غير الله، والإهلال أصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت

---

(١) هذه مسألة فقهية فيها خلاف من أراد التوسع فليرجع لكتب الفقه أو تفسير القرطبي. الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٧.

(٢) الطاغوت: هو الشيطان أو الصنم.

بالتكبير عندهم سمي ذلك إهلالاً، ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: لما حرم الله تعالى تلك الأشياء استثنى منها حال الضرورة، والاحتياج إليها «والضرورة هي خوف الضرر بترك الأكل إما على نفسه أو علي عضو من أعضائه، ومتى أكل بمقدار ما يزول عنه الخوف من الضرر في الحال فقد زالت الضرورة، ولا اعتبار في ذلك بسد الجوعة، لأن الجوع في الابتداء لا يبيح أكل الميتة إذا لم يخف ضرر تركه»[1]. ومعنى الضرر هنا خوف الضرر على نفسه أو بعض أعضائه بترك الأكل، وقد انطوى تحت معنيين: أحدهما: أن يحصل في موضع لا يجد غير الميتة.

الثاني: أن يكون غيرها موجودًا، ولكن أكره على أكلها بوعيد يخاف منه تلف نفسه، أو تلف بعض أعضائه. وكلا المعنيين مراد الآية.

﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾: البغي والتعدي في الأكل بأن لا يتناول منها إلا بمقدار ما يمسك الرمق، ويزيل خوف التلف، ومن امتنع من المباح حتى مات كان قاتلاً لنفسه متلفاً لها عند جميع أهل العلم، ولا يختلف في ذلك حكم العاص والمطيع بل يكون امتناعه عن الأكل في ذلك زيادة على عصيانه، فوجب أن يكون حكمه وحكم المطيع سواء في استباحة الأكل عند الضرورة.

﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾: لا حرج عليه في تناوله بل ربما يأثم في حال الترك لأنه قد يقع في الهلاك.

---

(١) أحكام القرآن لحجة الإسلام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠هـ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٣٣٥هـ، ١/ ١٢٦.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: غفور: يغفر المعاصي فأولى ألا يؤاخذ بما رخص فيه، لذا أسقط الإثم عن المضطر وغفر له لاضطراره.

ومن رحمته أنه رخص[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

(الغفور) يقتضي ستر الإثم بل محوه، ومحو آثاره (لمن اضطر غير باغ ولا عاد) أي للمضطر الذي أكل قدر حاجته فقط ليحفظ نفسه، لذا قال تعالى (فلا إثم عليه) وعلل محو الإثم عنه بأنه تعالى غفور.

و(الرحيم) تعليل لكونه تعالى (غفورًا) أي لأجل رحمتي بكم رخصت للمضطر ما حرم عليه، ومحوت عنه أي إثم.

بل لأجل رحمتي بكم حرمت عليكم أكل الخبائث «فالميتة تأباها النفس السليمة وكذلك الدم فضلاً علي ما أثبته الطب من تجمع الميكروبات والمواد الضارة في الميتة وفي الدم... والخنزير بذاته منفر للطبع النظيف القويم فضلاً عما به هو الآخر من ميكروبات، وديدان ضارة... أما ما أهل به لغير الله فهو يحرم لا لعيب فيه، بل للتوجه به لغير الله، محرم لعلقه روحية تنافي صحة التصور، وسلامة القلب، وطهارة الروح، وخلوص الضمير، ووحدة المتجه... وهو ألصق بالعقيدة من سائر المحرمات قبله وقد حرص الإسلام أن يكون التوجه لله وحده بلا شريك»[2].

---

(١) راجع تفسير سورة البقرة آية ١٧٣ في كل من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٠٤-٢٠٦، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١١٩، روح المعاني للألوسي ١/ ٤٢٠.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ١٥٧ بتصرف.

قال تعالى:

﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٨٢].

مناسبة الآية لما قبلها:

في الآية السابقة بعدما ذكر المولى ﷻ أن الوصية للوالدين والأقربين، وتوعد من يبدل في الوصية بعد ما علمها، ذكر في هذه الآية أنه لا إثم على من أصلح بين الموصي إليهم إذا كان جنفًا أو إثمًا من الموصي.

والجنف: هو الميل في الأمور وأصله العدول عن الاستواء، ويقصد به هنا ميل عن الحق بالخطأ في الوصية، والفرق بين الجنف والإثم: الجنف هو الخطأ من حيث لا يعلم، والإثم هو الخطأ العمد ويكون المعني:

من خشي أن يميل الموصي عن الحق ويقطع ميراث طائفة ويتعمد فيؤدي إلى إيذائهم فوعظه في ذلك ورده فصلح ما بينه وبين ورثته فلا إثم عليه، لأن تبديله تبديل باطل إلى حق، أي لا يلحقه إثم المبدل المذكور قبل، وإن كان فعله تبديلاً إلا أن ذلك من التبديل الذي لا يترتب عليه الإثم لأنه رد الوصية إلى العدل والتبديل الذي فيه الإثم هو تبديل الهوى، والأمر موكول إلى مغفرة الله ورحمته، ومشدود إلي مراعاة الله في كل حال، فهي الضمان الأخير للعدل والإنصاف[(١)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: اختلفت أقوال المفسرين في ختم الآية باسمه تعالى

---

(١) راجع تفسير آية ١٨٢ من سورة البقرة في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٢٤، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٦٦- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ١٨١، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ١٦٧.

(الغفور) قال الفخر الرازي[١]: أما قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ففيه أيضا سؤالان وهو أن هذا الكلام إنما يليق بمن فعل فعلاً لا يجوز، أما هذا الإصلاح فهو من جملة الطاعات فكيف به هذا الكلام؟.

وجوابه من وجوه:

١) أن هذا الباب فيه تنبيه الأدنى على الأعلى كأنه قال: أنا الذي أغفر الذنوب ثم أرحم المذنب فبأن أوصل رحمتي وثوابي إليك مع أنك تحملت المحن الكثيرة في إصلاح هذا المهم كان أولي.

٢) يحتمل أن يكون المراد ذلك الموصي الذي أقدم علي الجنف والإثم حتى أصلحت وصيته فإن الله (غفور رحيم) يغفر له ويرحمه بفضله

٣) «إن المصلح ربما احتاج في إيتاء الإصلاح إلى أقوال وأفعال كان الأولى تركها فإذا علم تعالى منه أن غرضه ليس إلا الإصلاح فإنه لا يؤاخذه بها لأنه غفور رحيم»[٢].

(إن الله غفور رحيم) «وعد للمصلح، وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم، وكون الفعل من جنس ما يؤثم»[٣].

«غفور عن الوصي إذا عملت فيه الموعظة ورجع عما أراد من الأذية»[٤].

«والله غفور للموصي فيما حدث به نفسه من الجنف والإثم إذا ترك أن يأثم

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي المجلد الثالث ٥/ ٥٨، ٥٩.

(٣) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٣٣٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٨١، البحر المحيط، ابن حيان ٢/ ١٥٦.

ويجنف في وصيته فيتجاوز له عما كان حدث به نفسه من الجور رحيم بالمصلح بين الموصي وبين من أراد أن يجنف عليه لغيره أو يأثم فيه»[١].

(إن الله) «أي المختص بإحاطة العلم (غفور) لمن قصد خيرًا فأخطأ (رحيم) يفعل به من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم»[٢].

«يغفر جميع الزلات ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه ومن مغفرته لمن غض من نفسه وترك بعض حقه لأخيه لأن من سامح سامحه الله، وهو غفور لميتهم الجائر في وصيته إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضًا لأجل براءة ذمته، رحيم بعباده حيث شرع لهم أمرًا به يتراحمون ويتعاطفون»[٣].

ومن أقوال المفسرين يتضح أن اسمه تعالى (الغفور) يتعلق بالآتي:

١) الموصي: إذا جنف أو أثم في وصيته، أو حدث نفسه بذلك ثم رجع عنه.

٢) المصلح: لأنه تحمل المحن، أو إذا قصد خيرًا فأخطأ، أو جاء بأقوال وأفعال كان من الأولى تركها.

٣) الموصي لهم: لمن ترك منهم بعض حقه لأخيه.

ويمكن تلخيص ما سبق في:

أن هذه الآية والآية السابقة لها تبين حكمًا من أحكام الوصية (تشريع خاص بالأسرة): وهو إذا حضر أسباب الموت، وظهرت أماراته، أو دنا نفسه من الحضور أن ترك مالاً وفيرًا فيعطي كل ذي حق حقه، ومن رأى أن هناك إثماً قد يحدث فأصلحه فلا

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣/ ٤٠٨.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن السعدي ٧/ ٨٦.

إثم عليه، ومجيء اسمه تعالى (الغفور)، و(الرحيم) في ختام هذه الآية يراقب المولى ﷻ ما في قلوب العباد من حيث مواقفهم تجاه ما شرعه لهم رغبة في إصلاحهم، ورحمة بهم، ويستر أي ذنب بل يمحو آثاره لأنه تعالى (غفور رحيم)، ولارتباط هذه الآية بالآية السابقة فيكون المقصود بمحو الإثم عنه هو المصلح حيث إنه هو الذي بدل الوصية ولكن بدلها عن أمر الله وتبديل إلي حق وعدل ووعد من الله بمحو إثم التبديل عنه فالمولى ﷻ هو (الغفور) (الرحيم) بعباده ورحمته سبب مغفرته.

قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:١٩٢].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر المولى ﷻ المؤمنين فى الآيات السابقة بالقتال لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين، ونهاهم عن ابتداء القتال، أو قتال من نهوا عنه من النساء والصبيان ومن يجرى مجراهم، وأمرهم أن تكون همتهم منبعثة على قتالهم كما أن همتهم منبعثة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادكم التى أخرجوكم منها قصاصًا، ونهى عن قتالهم عند المسجد الحرام حتى يقع ذلك منهم فلهم حينئذ قتالهم وقتلهم لأن من كفر بالله تعالى جزاؤه القتل.

بين فى هذه الآية: أنهم إن تركوا القتال وأنابوا إلى الإسلام والتوبة فإن الله يغفر ذنوبهم فإنه تعالى لا يتعاظمه ذنب فهو تعالى يغفر لمن تاب منه إليه، لأنه هو الغفور الرحيم.

والانتهاء الذى يستأهل غفران الله ورحمته هو الانتهاء عن الكفر لا مجرد الانتهاء عن قتال المسلمين، أو فتنتهم عن الدين، لأن ذلك قصاراه أن يهادنهم المسلمون، ولكن لا يؤهلهم لمغفرة الله ورحمته، فالتلويح بالمغفرة والرحمة هنا يقصد به إطماع

الكفار فى الإيمان، لينالوا المغفرة والرحمة بعد الكفر والعدوان.

ويكون التقدير : فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم فإن الله قد غفر لهم، وعلل ذلك بأمر عام (فإن الله) المحيط بجميع صفات الكمال (غفور رحيم) له هاتان الصفتان أزلاً وأبدًا فكل من تاب فهذا شأنه معه.[1]

مناسبة الخاتمة للآية:

حيث إن هناك انتهاء عن الذنب ودخولاً فى الإيمان، فذلك يستدعي مغفرة عما سبق وسبب ذلك أن المولى ﷻ رحيم بعباده.

وفى هذه الآية ذكر المولى ﷻ الاسم فى آخرها دون ذكر الحكم والجزاء فيها، تنبهًا للعباد أنهم إذا عرفوا الله بذلك الاسم العظيم عرفوا ما يترتب عليه من أحكام، وأن ذلك الحكم من آثار هذا الاسم.

قال تعالى : ﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فلم يقل فاعفوا عنهم، أو اتركوهم، أو نحوهما، بل قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يعني إذا انتهوا عن قتالكم وتابوا إلى الله، وأنابوا، فإن الله يغفر لهم ويرحمهم فيرفع عنهم العقوبة، ويمدهم بالقوة على الطاعة.[2]

---

(١) راجع تفسير سورة البقرة آية ١٩٢ فى تفسير الطبرى جامع البيان فى تأويل آي القرآن ٢/ ٢١٣: البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٢٤١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٢٦ نظم الدرر ١/ ٣٦٤، فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ١٩٠.

(٢) الفكرة من كتاب القواعد الحسان للسعدى ص ٦٤.

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٩].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية ضمن مجموعة آيات بيَّن المولى ﷻ فيها للناس مناسك الحج، وفي الآية السابقة بين تعالى حكم مزاولة التجارة أو العمل بأجر بالنسبة للحجاج، وحكم الإفاضة ومكانها، وفى هذه الآية بين المولى ﷻ أن الإفاضة المأمور بها هى من عرفات، فقد كانت قريش فى الجاهلية تسمى نفسها (الحمس).[1] ويتخذون لأنفسهم امتيازات تفرقهم عن سائر العرب، افتخارًا أو تعاليًا عليهم، ومن هذه الامتيازات إنهم لا يقفون مع سائر الناس فى عرفات، فأمرهم المولى ﷻ أن يساووا الناس فى الفرض، وأن يقفوا مواقفهم، وأن يفيضوا من حيث أفاضوا.
عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : «الحمس هم الذين أنزل الله ﷻ فيهم ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ قالت : وكان الناس يفيضون من عرفات وكان الحمس يفيضون من المزدلفة يقولون لا نفيض إلا من الحرم فلما نزلت ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ رجعوا إلى عرفات[2] .

---

(١) الحماسة: هى الشدة فى الغضب والشدة فى القتال، والحماسة على الحقيقة: الشدة فى كل شيء، وسميت قريش حمساً نسبة إلى الكعبة لأنها حمساء حجرها أبيض يقرب إلى السواد وهم- قريش وكنانة وجديلة قيس- معانى القرآن، وإعرابه للزجاج ١/ ٢٩٣.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الحج باب فى الوقوف بعرفة قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾[البقرة:١٩٩]، حديث (١٢١٩/١٥١) (١٥٢،.....) صحيح مسلم بشرح النووى ٤/ ٨/ ١٩٣، وأخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الحج باب الوقوف بعرفة حديث (١٦٦٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٣/ ٦٠٢.

واختلف فى معنى (ثم) فى الآية وتعددت الآراء على النحو التالي:

الرأى الأول : (ثم) هنا لعطف خبر على خبر وترتيبه عليه كأنه تعالى أمر الواقف بعرفات أن يدفع إلى المزدلفة ليذكر الله عند المشعر الحرام، وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات، ويدخل الحمس ضمن الخطاب؛ فإنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات.

الرأي الثاني : أو قد تكون «ثم» على بابها لتفاوت ما بين الإفاضتين كما فى قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلا إلى كريم.

الرأى الثالث : وقيل إن الإفاضة من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفات إليها.

والصحيح فى تأويل هذه الآية القول الأول لما ورد من نصوص صحيحة فلا معول على غيره من الأقوال.[1]

ويكون المعني:

قفوا جميعًا فى عرفات وانصرفوا جميعًا منها فإن الإسلام لا يعرف طبقية، إن الناس كلهم أمة واحدة لا فضل لأحد إلا بالتقوى، ودعوا عنكم عصبية الجاهلية، واستغفروا الله، استغفروه من فعلكم الذى كان مخالفًا لسنة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من عدم وقوفكم بعرفة، واطلبوا من ذى الجلال والإكرام أن يغفر لكم ما كنتم تفعلونه أيام جاهليتكم، ومما يبقى فى الأنفس من آثار تلك العادات، ومن غير ذلك مما نهى عنه تعالى من الرفث، والفسوق والجدال.

وإن وجد من لم يذنب فالاستغفار يكون لأجل ما صدر منه من تقصير فى

---

(١) راجع تفسير الآية ١٩٩ من سورة البقرة فى كل من تفسير الكشاف للزمخشرى ١/ ٢٤٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢/ ٢٨٣، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٢٤٢، إرشاد العقل السليم لأبى السعود ١/ ٢٥٢.

أداء الواجبات، والاحتراز من المحظورات ذلك لأن طاعة المخلوق لا تليق بعظمة الخالق، فالرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد الناس طاعة وخشية من المولى ﷻ يقول: «إنه ليغان [١] على قلبي وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة». [٢]

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ﴾: ظاهر الأمر أنه ليس طلب غفران من ذنب خاص، بل طلب غفران الذنوب جميعا، وفى الأمر بالاستغفار، عقب الإفاضة أو معها دليل على أن ذلك الوقت، وذلك المكان المفاض منه والمفاض إليه من أزمان الإجابة، وأماكن الرحمة والمغفرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: إن الله ذا الكمال كثير المغفرة وستر الذنوب كثير الرحمة يدخل المستغفرين فى جملة المرحومين الذين لم يبد منهم ذنب، فهو يفعل بهم من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم ليكون التائب من الذنب كمن لا ذنب له. [٣] والله ﷻ يحب المستغفرين ولذلك أمر بالاستغفار، وفى الحديث قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم). [٤]

---

(١) ليغان: ما يغشى القلب، والمراد: الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه فإذا فتر أو غفل عنه أعد ذلك ذنبا. صحيح مسلم النووى ٩/ ٢٨٧.

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب التوبة حديث (٤١/ ٢٧١٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٢٧.

(٣) راجع تفسير اية ١٩٩ من سورة البقرة فى كل من التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٣/ ٦/ ١٥٦، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٣٧٨، فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٠٠.

(٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب التوبة باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة حديث(١١/ ٢٧٤٩) صحيح مسلم بشرح النووي ٩/ ١٧/ ٦٨.

مناسبة الخاتمة للآية:

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾: تعليل للأمر بالاستغفار والحث عليه، وهو يدل قطعًا على أن الله تعالى يغفر لذلك المستغفر، ويرحمه.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨].

مناسبة الآية لما قبلها:

سبب نزول الآية والآية السابقة أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث سرية فيها عبد الله ابن جحش فلقوا عمرو بن الحضرمي وهو مقبل من الطائف فى آخر ليلة من جمادى وأول ليلة من رجب، وإن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا يظنون أن تلك الليلة من جمادى، فقتله رجل منهم وأخذوا ما معه، وإن المشركين أرسلوا يعيروا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فأنزل الله الآية: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة:٢١٧].

فقال عبد الله بن جحش يا رسول الله هب أنه لا عقاب علينا فيما فعلناه فهل نطمع منه أجرًا وثوابًا فنزلت الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾[1].

والمناسبة واضحة بين هذه الآية والآية السابقة لها .. فبعد أن بيَّن المولى ﷻ أن ما ارتكبه المشركون من إخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والشرك وصد الناس عن الإسلام ابتداء وبقاء أفظع من

---

(١) أسباب النزول للنيسابورى ص ٤٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٥٣.

قتل الحضرمي، وأنهم لاستحكام عداوتهم وإصرارهم على الفتنة يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم، وبعد أن حذر المولى ﷻ من يرتد عن الإسلام وقد زاقه وعرفة تحت مطارق من الأذى والفتن مهما بلغت فهذا مصيرة الذى قرره الله له إحباط فى العمل فى الدنيا والآخرة، ثم ملازمة العذاب فى النار خلوداً.

وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان فليس لمسلم أن يرتد عن دينه مهما ذاق من عذاب. ثم بين تعالى في هذه الآية أن الإيمان والمهاجرة والمجاهدة والصبر والثبات حتى يأذن الله هي السبيل، فهذه الأعمال الثلاثة هى عنوان السعادة، فالإيمان هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وبين أهل الجنة وأهل النار، وهو الذى إن كان مع العبد قبلت أعمال الخير منه.

أما الهجرة : فهى مفارقة المحبوب المألوف لينال رضا الله تعالى فيترك وطنه، وأمواله، وأهله، وكل ما هو متعلّق به تقربًا إلى الله ونصرة دينه .

أما الجهاد : فهو بذل الجهد فى محاربة الأعداء والسعي التام فى نصرة دين الله، وهو ذروة الأعمال الصالحة وجزاؤه أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر لتوسيع دائرة الإسلام وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على مشاقها كان لغيرها أشد قيامًا، فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله ؛ لأنهم أتوا بالأسباب الموجبة للرحمة.

وفى هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسبابه من العمل، وأما الرجاء المقارن للكسل وعدم القيام بالأسباب فهو عجز وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه ونقصان عقله.

وأتى بلفظه (يرجون) لأنه ما دام المرء على قيد الحياة لا يمكن أن يقطع بأنه

صائر إلى الجنة، ولو أطاع أقصى الطاعة إذ لا يعلم بما يختم له، ولا يتكل على عمله، لأنه لا يعلم أقبل أم لا؟ ولأنه تعالى إذا أخذهم بما يعلم من ذنوبهم لعذبهم فلا ينبغي له أن يعتمد على عمله ويعول عليه بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله، ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه فالرجاء أبدًا معه خوف ولابد، كما أن الخوف مع رجاء، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠].

أي خائفة، ذكر البخاري في كتاب التفسير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله في قوله تعالى (قلوبهم وجله) أهو الرجل يزني ويسرق ومع ذلك يخاف الله ؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا، بل هو الرجل يصوم ويصلي وهو مع ذلك يخاف الله»[١].

وهذا قال تعالى: ﴿اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أي لما ذكر الله تعالى إنهم طامعون فى رحمة الله أخبر أنه متصف بالرحمة فإنه قال : عندما ظنوا وطمعوا فى ثوابه ورحمته فالرحمة محققة لأنها من صفاته تعالى، وزاده وصفًا آخر أنه (غفور) لما فرط منهم من الصغائر أو ما تابوا عنه من الكبائر، فهو تعالى غفور لما وقع منهم قبل الإيمان، ولما يتخلل فى حالة الإيمان من بعض المخالفة أو التقصير، وأنه رحيم بهم يحقق لهم ما طمعوا فيه من رحمته.

وفى الختم بالرحمة أبدًا فى خواتم الآي للإشعار بأن فضل الله فى الدنيا والآخرة ابتداء فضل، وليس فى الحقيقة جزاء عمل.[٢]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة المؤمنون ٨/ ٢٩٩ فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

(٢) راجع تفسير آية ٢١٨ من سورة البقرة فى كل من الكشاف للزمخشرى ١/ ٢٥٩ الجامع فى تأويل القرآن للقرطبى ٢/ ٣/ ٣٤، البحر المحيط لابن حيان ٢/ ٣٩٤ – ١٩٨ فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٢٨.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما بين المولى ﷻ حال المؤمنين، المهاجرين، المجاهدين فى سبيل الله الخائفين، الراجين لرحمته ﷻ أراد أن يبعث الطمأنينة فى قلوبهم بأنه تعالى سيغفر لهم سيئاتهم ويرحمهم فذكر من أسمائه تعالى الدالة على ذلك فقال: ﴿ٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

غفور لما صدر منهم من القتل فى الشهر الحرام وغيره رحيم بالمؤمنين.

قال تعالى:

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥].

مناسبة الآية لما قبلها:

«مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهر ؛ لأنه تعالى لما نهى عن جعل الله عرضة للأيمان كان ذلك حتمًا لترك الأيمان وهو يشق عليهم ذلك لأن العادة جرت لهم بالأيمان، فذكر أن ما كان منهم لغوًا فهو لا يؤخذ به لأنه مما لا يقصد به حقيقة اليمين». (١)

اللغو : الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره، ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية من أولاد الإبل لغو، واللغو هنا : اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الأيمان، وهو الذى لا عقد له ولا قصد أو ما ينبئ به، قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة:٨٩].

وهو المعني الوارد بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[البقرة:٢٢٥].

أى المؤاخذة لليمين التى للقلب فيها كسب: الأيمان : جمع يمين واليمين : الحلف

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٢/ ٤٣٣.

وأصله : أن العرب كانت إذا تحالفت أو تعاقدت أخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف والعهد نفسه يمينًا.

واختلف العلماء فى اليمين التى هى لغو إلى قولين:

الأول : أن يحلف على شيء يظنه على حلف عليه ثم يظهر خلافه فإنه لا قصد فيه إلى الكذب.

الثاني : أو هو قول العرب لا والله بلى والله، مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف، ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف فى المسجد لأنكر ذلك ولعله قال لا والله ألف مرة.

وفيه معنيان :

١- لا يعاقبكم الله بلغو اليمين الذى يحلفه أحدكم ظانًّا أنه صادق ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من إثم القصد إلى الكذب فى اليمين وهى اليمين الغموس، وهى ما قصد الرجل فيها الكذب، وسميت غموسًا لأنها تغمس صاحبها فى الإثم.

٢- لا يلزم الكفارة بما لا قصد معه إلى اليمين ولكن يلزمكموها بما عقدت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان وحده .

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ : اسمان لائقان بما ذكر من طرح المؤاخذة إذ هو باب رفق وسعة، (والله) أي ماله العظمة (غفور) حيث لم يؤاخذكم بالعفو مع كونه ناشئًا من عدم التثبت وقلة المبالاة فهو من قبيل التقصير فى الأدب مع الله تعالى ؛ لذا قال تعالى (حليم) حيث لم يعمل بالمؤاخذة فهو لا يستفزه التقصير فى جانبه ولا يغضب للغفلة ويقبل المعذرة.

والجملة : اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى : ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ...) وفيه إيذان

بأن المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا إيجاب الكفارة إذ هى التى يتعلق بها المغفرة والحلم.

وفى تعقب الآية بـ ﴿ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ إشعار بالغفران والحلم بمن عصاه حيث لم يعاجله بالعقوبة بل حلم عنه وستر وصفح مع قدرته عليه وكونه بين يديه. حلم يحميه من آثار فعله، ويمهله، ولا يؤاخذه لتوه.

وذلك يربط الأمر بالله، ويعلق القلوب بالاتجاه إليه فى كل ما تكسب وكل ما تقول[1].

قال تعالى:

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٢٦].

مناسبة الآية لما قبلها:

وبعد الانتهاء من القاعدة الكلية فى الحلف، يأخذ المولى ﷻ فى الحديث عن يمين الإيلاء وهذا يمين خاص بالزوجة فى أمر خاص.

كان الإيلاء فى الجاهلية طلاقًا، فكان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها، فكان يتركها بذلك لا أيمًا ولا ذات بعل، والغرض منه مضارة المرأة، ثم إن أهل الإسلام كانوا يفعلون ذلك أيضًا فأزال الله ذلك، وأمهل الزوج مدة حتى يتروى ويتمهَّل فإن رأى المصلحة فى ترك هذه المضارة فعلها، وإن رأى المصلحة فى مفارقة المرأة فارقها، فإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته مدة، فلا يخلو: إما أن تكون أقل من أربعة أشهر أو أكثر منها، فإن كانت أقل فله أن ينتظر المدة ثم يجامع

(١) راجع تفسير آية ٢٢٥ من سورة البقرة: الكشاف للزمخشرى ١/ ٢٦٨ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى٢-٣/ ٦٦ إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٢٧٠ البحر المحيط لأبى حيان ٢/ ٤٤٤ في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٤٠.

امرأته وعليها أن تصبر وليس لها مطالبته الفيئة [١] في هذه المدة .

وهذا كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آلي من نسائه وكانت انفكت رجله فأقام في مشربة له تسع وعشرين ثم نزل فقالوا يا رسول الله آليت شهرًا فقال : الشهر تسع وعشرون» [٢]

وأما إذا زادت المدة عن أربعة أشهر فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء أربعة أشهر أن يفيء أي يجامع؛ وإما أن يطلق فيجبره الحاكم على هذا، وهذا لئلا يضر بها، وإذا حلف الرجل أن لا يجامع زوجته أربعة أشهر فإن راجعها قبل أن تمضى المدة فهى امرأته وعليه يمين يكفرها لأنه حنث.

وعلى أية حال فإن الطباع تختلف في هذه الأمور، ولكن أربعة أشهر مدة كافية ليختبر الرجل نفسه ومشاعره، فإما أن يفيء ويعود إلى استئناف حياة زوجية صحيحة، ويرجع إلى زوجته وعشه وإما أن يظل في نفرته وعدم قابليته، وفى هذه الحالة ينبغي أن تفك هذه العقدة وأن ترد إلى الزوجة حريتها بالطلاق، فإما أن يطلق وإما طلقها عليه القاضي، وذلك ليحاول كل منهما حياة زوجية جديدة مع شخص جديد فذلك أكرم للزوجة، وأعف وأصون، وأروح للرجل كذلك وأجدى، وأقرب إلى العدل والجد فى هذه العلاقة التى أراد الله بها امتداد الحياة لا تجميد الحياة. [٣] فسبحانه من رب كريم غفور رحيم حقيق بألا يعبد غيره، وبعد

---

(١) المراجعة أو الجماع.

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الطلاق باب قول الله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾ إلى قوله ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ حديث ٥٢٨٩ فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٩/ ٣٣٥.

(٣) راجع تفسير آية ٢٢٦، من سورة البقرة فى كل من: التفسير الكبير للفخر الرازي ٣/ ٦/ ٦٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٢٦٨، فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٤٤، ٢٤٥.

هذا التشريع الرحيم ذكر تعالى أنه (غفور).

غفور للزوج إذا تاب من إضراره بامرأته فيغفر له ما اقترفه في ذلك من إثم، (رحيم) يرحمه بإنجاح مقاصده ويرحمهم بما يشرعه فإن شرعه تعالى عن رحمة.

قال تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين المولى ﷻ حكم المتوفى عنها زوجها وعدتها لمنعهن عن الرجال فى مدة محددة – بين أن التعريض بالخطبة ليس داخلاً فى هذا المنع.

ففى هذه الآية يوجه المولى ﷻ السياق إلى الرجال الراغبين فى المرأة فى فترة العدة توجيهًا قائمًا على أدب النفس وأدب الاجتماع ورعاية المشاعر والعواطف مع رعاية الحاجات والمصالح، فإن المرأة فى عدتها ما تزال معلقة بذكرى لم تمت، ومشاعر حية لأسرة الميت لابد من مراعاتها، وهي مرتبطة كذلك بما يكنّ فى رحمها من حمل لم يتبين أو حمل تبين والعدة معلقة بوضعه .. وكل هذه الاعتبارات تمنع الحديث عن حياة زوجية جديدة فهو حديث لم يحن موعده لأنه يجرح المشاعر ويخدش الذكريات.

ومع هذه الاعتبارات قد أبيح التعريض – لا التصريح- بخطبة النساء- والتعريض: هو إفهام المعنى بالشيء المحتمل له ولغيره، كأنه يحوم به على الشيء ولا يظهره كأن يقول: إنى أريد التزويج، إن النساء لمن حاجتى، ولوددت أن تيسر لى امرأة صالحة.

كذلك أبيحت الرغبة المكنونة التى لا يصرح بها تصريحًا ولا تلميحًا لأن الله يعلم أن هذه الرغبة لا سلطان لإرادة البشر عليها، والإسلام لا يحطم الميول الفطرية إنما يهذبها.

إنما المحظور هو المواعدة سرًا على الزواج، قبل انقضاء العدة، ففى هذا قلة استحياء من الله ﷻ الذى جعل العدة فاصلاً بين عهدين جديدين، وأباح الله تعالى القول الذى ليس فيه مخالفة لحد من حدوده التى بيَّنها.

﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾: **العزم** : مبالغة فى النهي عن عقدة النكاح حتى تنقضى العدة ؛ لأن العزم على الفعل يتقدمه، فإذا نهي عنه كان عن الفعل أنهى.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾: هذا نهاية التحذير فى الوقوع فيما نهي عنه، وهو تنبيه على أنه تعالى لما كان عالمًا بالسر والعلانية وجب الحذر فى كل ما يفعله الإنسان فى السر والعلانية، وهنا يربط المولى ﷻ بين التشريع وخشية الله المطلع على السرائر، فخشية الله والحذر مما يحيك فى صدرك أن يطلع الله عليه هى الضمانة الأخيرة مع التشريع لتنفيذ التشريع.

فإذا هز الضمير البشرى هزة الخوف والحذر والوعيد عاد فسكب فيه الطمأنينة والثقة بعفو الله وغفرانه وحلمه ووعده فقال :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: أردف ذلك بهذين الاسمين الجليلين ليزيل روح التهديد والوعيد والتحذير من عقابه ليعتدل قلب المؤمن فى الخوف والرجاء.

وأظهر الاسم الجليل (الله) فى موضع الإضمار للتفخيم والتعظيم وإدخال الروع بمن يسند إليه الحكم وختم باسمه تعالى (الغفور) ساتر الذنوب يغفر خطيئة القلب الشاعر بالله، الذى إذا صدرت منه الذنوب سارع بالعودة إلى مولاه.

(حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلعل عبده الخاطئ أن يتوب فلولا مغفرته وحلمه لعنتّم أشد العنت[١] فإنه سبحانه مطلع عليكم، يعلم ما فى قلوبكم، ويعلم ما تعلنون فإن وقعتم فى شيء مما نهاكم عنه فبادروا إليه بالتوبة والاستغفار فإنه هو الغفور الحليم[٢].

مناسبة الخاتمة للآية:

ترغيب بعد ترهيب كعادة القرآن دائمًا حتى يربط العبد دائمًا برجاء رحمة الله.

---

(١)العنت: أصله المشقة، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم منتقى، من تفسير الجلالين المكتبة القيمة ص ٥٩.

(٢)راجع تفسير آية ٢٣٥ من سورة البقرة فى كل من: التفسير الكبير للفخر الرازي ٣/ ٦/ ١١٥، البحر المحيط لأبى حيان ٢/ ٥٢٧، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٢٨٦، فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٢٥٥، ٢٥٦.

(الشاكر) جلَّ جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى :

لم يرد اسمه تعالى (الشاكر) فى الحديث الذى رواه الترمذى والذى اشتهر بين الناس، ولكن ورد فى القرآن الكريم والذى ورد فى الحديث اسمه تعالى (الشكور).

ولم يأت اسمه تعالى (الشاكر) أو (الشكور) مفردًا وإنما جاء مقترنًا باسم غيره، فقد ورد اسم (الشاكر) مرتين مقترنًا باسم (العليم)، مرةً فى سورة البقرة، وأخرى فى سورة النساء، ويلاحظ أن اسم (شاكر) اقترن باسم (العليم)، واقترن اسم (الشكور) باسم من أسماء الرحمة والمغفرة .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

وقال تعالى : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

وجاء اسمه تعالى (الشكور) أربع مرات مقترنا فى ثلاث آيات منها باسمه تعالى (الغفور)، وآية واحدة باسمه تعالى (الحليم)

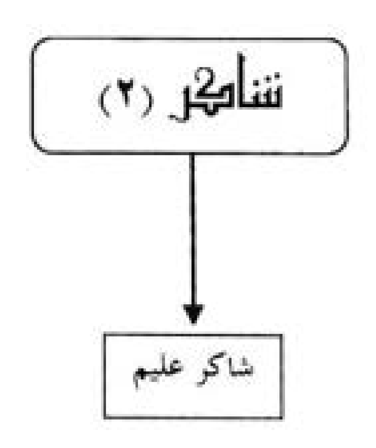
قال تعالى: ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٠].

قال تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا

لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٣-٣٤].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى:٢٣].

قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١٧][1].



الشكر في اللغة:

أصله من عين شكرى أي ممتلئة فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه.

وقيل ناقة شاكرة: ممتلئة الضرع من اللبن، شكرت الإبل إذا أصابت مرعى فسمنت عليه:

ورجل شكور: كثير الشكر أي يجتهد في شكر ربه بطاعته، وأداء ما واظب عليه من عبادته قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ ﴾ [سبأ:١٣].

فالشكر عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها على المحسن بها أولاه من المعروف،

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٨٦.

والشكر لا يكون إلا عن يد أي على المعروف والحمد يكون عن يد وغير يد أي على المعروف وغيره فهذا هو الفرق بينهما.

فانك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى معروفة، ولا تشكره الا على معروفة دون صفاته، والشكر كما يكون بالقول يكون بالفعل وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ [سبأ:١٣]. ويضاد الشكر : الكفر وهو نسيان النعمة وسترها .

والشكر ثلاثة أضرب : شكر القلب، وهو تصور النعمة، شكر اللسان : وهو الثناء على المنعم، وإذابة النفس فى طاعته، وشكر سائر الجوارح : وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها.

ولذا وصف الله تعالى بالشكر كما في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١٧].

فإنما يعني به إنعامه على عباده، وجزاؤه بما أقاموا من العبادة، فالشكور جل جلاله : هو المثيب المنعم بالجزاء، فهو تعالى يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء ويغفر لهم.(١)

من ذلك يتضح أن الشكر فيه معني الزيادة، ومهما اختلفت عبارات اللغويين عن الشكر فإنها تلتقي جميعًا عند معنى واحد يتألف من ثلاثة عناصر: اعتقادي- لفظي - عملي.

اعتقادي: هو اليقين بأن هذه النعمة جاءت على يد هذا المنعم، ومن طريقه ويترتب على ذلك خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته.

---

(١) راجع: أساس البلاغة للزمخشرى ص ٨٦، لسان العرب ٤/ ٢٣٠٥- ٢٣٠٨ مختار الصحاح ص ١٤٥، المعجم الوجيز ٣٤٨، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٧٢.

لفظى : وهو الثناء الجميل على النعم، أى إظهار النعمة باللسان ومقابلتها بالقول الكريم.

عملى : إظهار النعمة ونشرها بالعمل، واستعمالها فى طاعة المنعم.

وحقيقة الشكر فى العبودية : ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة»(١)

ويوجهنا المولى ﷻ إلى أهمية الشكر، فيقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

ولهذا قيل إن الشكر قرع باب الاستزادة.

ولعلم الشيطان- عليه اللعنة- بنعمة الشكر حرص على أن يصد الإنسان عنها، وقد أخبرنا ﷻ بذلك لنأخذ منه حذرنا فقال تعالى:

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

لكن الإنسان أبى بغفلته إلا أن ينقاد له ويتبع خطواته قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ:٢٠].

وربما يكون هذا الفريق هو القليل الذى ذكره رب العزة بقوله ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

ولصعوبة الارتقاء إلى ذروة الشكر لم يثن المولى ﷻ بالشكر إلا على اثنين من أولى العزم من الرسل وهما نوح وإبراهيم عليهما السلام.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٥٤.

قال تعالى :

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:٣].

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [النحل:١٢٠-١٢١].

وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو ربه أن يكون من الشاكرين وقال تعالى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل:١٩].

وكان خاتم النبيين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص على أن يبلغ حقيقة الشكر ويكون من الشاكرين، فكان يقوم الليل فى عبادة ربه حتى تورمت قدماه، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت « كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه – قالت عائشة : يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : يا عائشة أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1]

هذا هو شكر المخلوقين، وهو يكون فى مقابل نعمة نالت الشاكر، والمولى ﷻ هو مولى النعم كلها، وهو تعالى الكريم الوهاب الذى غمر خلقه بنعمته فما هي حقيقة الشكر المضاف إليه ﷻ:

(١) هذا الحديث متفق عليه اللفظ لمسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة (حديث)٨١/ ٢٨٢٠ صحيح مسلم لشرح النووي جـ ٩/ ١٧/ ١٥٨ أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير باب ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ... ﴾ حديث (٤٨٣٦-٤٨٣٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ٨/ ٤٤٨.

معنى اسمه تعالى (الشاكر)، (الشكور)، اصطلاحًا :

الشاكر : جل جلاله هو الذي يعلم أعمال عباده، ويثنى عليها بالصالح منها، ويثيبهم عليها.

١- **يعلم أعمال عبادة** : لذا اقترن باسمه تعالى (العليم)، ﴿ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٥٨].

٢- **يثني عليها** : كما قال تعالى فى حق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود:٧٥].

وقال تعالى: فى حق أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤].

وفى حق المؤمنين ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

٣- **ويثيبهم** : بمغفرة ذنوبهم وثوابهم الثواب الجزيل فى الدنيا والآخرة فالعبد اذا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وعمل صالحًا بادره ربه أولاً: بمحو خطاياه لأن الحسنات يذهبن السيئات.. ويبارك فى الحسنة القليلة وينميها لصاحبها، ويتقبلها منه قبولاً حسنًا فى الدنيا، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧][(١)].

وفى الآخرة يمن عليه بدخول الجنة برحمته لا بعمله.

---

(١) راجع أسماء الله الحسنى للقرطبى ١/ ٣٢٥، أسماء الله الحسنى أبو الوفاء ص ١٨٥-١٨٩.

الشكور : فى اللغة أبلغ من الشاكر[(١)] فهو على صيغة المبالغة التى تدل على زيادة المعني، لذا فهو فى معني الشاكر ويزيد عليه، قال العلماء فى تعريف الشكور:

«هو الذى يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فهو سبحانه مختص بالفضل الذى لا ينبغي لغيره، فهو تعالى يقبل اليسير الذى لا ينفعه من الطاعة، ويبذل الكثير الذى ينتفع به كل من سواه فيضاعف الجزاء، ويجعل الحسنه بعشر أمثالها ثم يضاعف لمن يشاء، فهو سبحانه المنفرد بشكر الشاكرين، وثواب المطيعين، والله تعالى سمي نفسه شكورًا على معني أنه يجازي العبد على الشكر فسمي جزاء الشكر شكرًا كما سمي جزاء السيئة سيئة فى قوله تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠].

فالشكور هو الذي يدوم شكره، ويعم كل مطيع وكل صغير من الطاعة أو كبير[(٢)].

حظ العبد من اسم (الشاكر)

من علم أنه تعالى هو الذى يعطي ويزيد فى العطاء ويمنح النعمة على شكر العطاء مزيدًا من العطاء، وجب عليه أن يجتهد ويجد فى شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر، ويبذل منتهى وسعه فى صالح العمل، وفى بذل العفو، واستعمال نعمة فى النفع وإيصال الخير للناس.

وان يتعلم الأدب مع المولى ﷻ والاستحياء منه إذ يشكر لعباده أعمالهم

---

(١) هذا من ناحية اللغة وصيغ المبالغة، ولكن كما ذكرنا من قبل فإن أسماء الله الحسنى على مستوى واحد من الكمال والجمال والجلال.

(٢) راجع: الأسماء والصفات للبيهقى ص ٨٧- أسماء الله الحسنى للقشيري ص ٢٥١ المقصد الأسنى للغزالى ص ١٠٥، أسماء الله الحسنى للقرطبى ١/ ٣٢٥.

الصالحة وهو مستغنٍ عنهم وعنها لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية.

وحتى يستطيع العبد أن يشكر المولى ﷻ فلابد أن يعرف كل صفات الكمال، وبما أن صفات الكمال فى الله لا تتناهى ولا يمكن أن تحصي فهذا أول عجز، أما العجز الثاني فهو من عرف بعض الصفات فهل يستطيع أن يشكر على قدرها ؟ لابد من الاعتراف بالتقصير فى الشكر للمنعم، وهذا هو حقيقة الشكر، لكن من رحمة المولى ﷻ علينا أن علمنا صيغة الثناء عليه ؛ لأنه مهما حاول الإنسان فلن يستطيع أن يحمده بالحمد المناسب له تعالى ولهذا كان دعاء الرسول ﷺ : «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]

وقد علمنا المولى ﷻ كيف نحمده قال تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر:٣٤].

قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٥٨].

مناسبة الآية لما قبلها:

«إن الله تعالى لما أثنى على الصابرين وكان الحج من الأعمال الشاقة المفنية للمال

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الصلاة باب ما يقال فى الركوع والسجود (٢٢٢/٤٨٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤/ ٢٠٤.

والبدن، وكان أحد أركان الإسلام، ناسب ذكره بعد ذلك»[1]

﴿ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾: المقصود بهما فى هذا الموضع الجبلان المسميان بهذين الاسمين الذان فى الحرم المكي دون سائر الصفا والمروة، ولذلك ادخل فيهما الألف واللام.

﴿شَعَآئِرِ﴾: جمع شعيرة، وهى المتعبدات التى جعلها الله أعلامًا للناس فى الموقف والسعي والنحر، يعبدونه عندها إما بالدعاء وإما بالذكر.

﴿فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ﴾:

الحج : القصد، **والعمرة** : الزيارة

فغلبا على قصد البيت وزيارته، وإنما قيل للحاج حاج لأنه لا يأتي البيت إلا قبل التعريف (يوم عرفة)، ثم يعود إليه لظروف يوم النحر بعد التعريف، ثم ينصرف منه إلى منى، ثم يعود إليه لطواف، فلتكراره العود إليه مرة بعد أخرى قيل له حاج .

وأما المعتمر فإنما قيل له معتمر : لأنه إذا طاف به انصرف عنه بعد زيارته إياه.

ويكون قوله (أو اعتمر) أو اعتمر البيت، ويعني بالاعتمار الزيارة فكل قاصد لشيء فهو له معتمر.

الجناح: المؤاخذة، والإثم، والتضييق، أخذ من: جنح إذا مال وتحول عن القصد وأصل ذلك من جناح الطائر.

يطوف: يدور بهمة ونشاط بادئًا بما بدأ به الله (الصفا).

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان: ٢/ ٦٥.

الآية : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ : اعلم المولى ﷻ عباده المؤمنين أن السعي فيهما من مشاعر الحج التي سنها لهم وأمر بها خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ سأله أن يريه مناسك الحج وذلك وإن كان مخرجه مخرج الخبر فإنه مراد به الأمر، لأنه ﷻ أمر نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣].

وجعل الله تعالى إبراهيم إمامًا لمن جاء بعده.

- وأصل الطواف مأخوذ من طواف هاجر وترددها بين الصفا والمروة فى طلب الماء لولدها لما نفذ ماؤها وزادها حين تركها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هناك، وليس عندهما أحد من الناس، فلما خافت على ولدها الضيعة هناك، ونفدَ ما عندها قامت تطلب الغوث من الله ﷻ، فلم تزل تتردد فى هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة، خائفة، وجلة مضطربة فقيرة إلى الله ﷻ حتى كشف الله كربتها وآنس عزلتها، وفرج شدتها، وأنبع لها زمزم، فالساعى بينهما ينبغي أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية حاله وصلاح قلبه، وغفرانه ذنبه.

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾

فمن أتاه عائدا إليه بعد بدء، ومن قصده للزيارة أي معتمرًا فلا حرج عليه ولا إثم فى طوافه بهما.

فان قال قائل كيف يكون آمرًا بالطواف، ثم يقال : لا جناح على من حج البيت أو اعتمر فى الطواف بهما ؟ وإنما يوضع الجناح عمن أتى ما عليه، فالأمر بالطواف بهما والترخيص فى الطواف بهما غير جائزٌ لاجتماعهما فى حالة واحدة ؟

قيل: إن معنى ذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما اعتمر عمرة القضية تخوف

أقوام كانوا يطوفون بهما فى الجاهلية قبل الإسلام لصنمين كانا عليهما تعظيماً منهم لهما، فقالوا: « وكيف نطوف بهما وقد علمنا أن تعظيم الأصنام وجميع ما كان من ذلك يعبد من دون الله شرك بالله ؟

فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ يعني أن الطواف بهما من شعائر الله وترك الطواف بهما اكتفاء بذكرهما، فمن حج البيت أو اعتمر فلا يتخوف الطواف بهما من أجل ما كان عليه بعض أهل الجاهلية، فقد كانوا يطوفون بهما من أجل الأصنام التي كانت عليهما .

ومما روى عن سبب نزول هذه الآية عن عروة[1] قال : «سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقلت لها أرأيت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٥٨].

فوالله ما على احد من جناح أن لا يطوف به الصفا والمروة ...

قالت : بئس ما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت كما أولتها عليه لكانت- لا جناح عليه أن لا يطوف بهما- ولكنها أنزلت فى الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون[2] لمناة[3] الطاغية التى كانوا يعبدونها عند المشلل[4] فكان من أهل يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك

---

(١) هو عروة بن الزبير ابن السيدة أسماء بنت أبى بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) يهلون: يحجون.

(٣) مناة: صنم كان فى الجاهلية.

(٤) المشلل: هى الثنية المشرفة على قديد، وقديد قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه.

قالوا: يا رسول الله كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، وقد سن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.[1]

هذا هو الإسلام جاء انسلاخاً كاملا عن كل ما فى الجاهلية من مرذولات، فإذا أتى المسلم بالطواف، لا يأتيه لأنه كان يفعله فى الجاهلية، وإنما لأنه شعيرة من شعائر الإسلام تستمد أصلها من الإسلام فإذا طوف بالصفا والمروة فإنما يؤدى شعيرة من شعائر الله ويقصد المرء بالطواف بينهما الله؛ فقد انقطع ما بين هذا الطواف وطواف الجاهلية الموروث وتعلق الأمر بالله سبحانه، ومن ثم فلا حرج، ولا تأثم، فالأمر غير الأمر والاتجاه غير الاتجاه.

﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: فمن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه أو زاد على سائر العبادات أو أتى بشيء من النوافل ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ فهو تعالى مجازى عليها بالثواب والثناء الجميل - ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يأتي العبد ترغيبًا فى أداء ما يجب على شروطه وتحذيرًا من خلاف ذلك، وفيه تلميح إلى أن هذا الطواف من الخير ؛ وبذلك يتقى من النفوس كل حرج، ويطيِّب القلوب بهذه الشعائر ويطمئنها على أن الله يعدها خيرًا ويجازي عليها بالخير، وهو يعلم ما تنطوى عليه القلوب من نية وشعور.

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب الحج باب وجوب الصفا والمروة وجعله من شعائر الله فتح البارى ٣/ ٥٨٣ حديث (١٦٤٣- ١٧٩٠)، ومسلم فى صحيحه كتاب الحج باب السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به حديث (٥٩-١٢٧٧) شرح النووي ٥/ ٩/ ٢٥.

مناسبة الخاتمة للآية:

سر ختم الآية بهذين الاسمين (شاكر). (عليم)

لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل والقصد أي النية

فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل، وذكر العلم باعتبار القصد أى النية[1]

وحسن أن يختم باسم (شاكر) أولاً للمسارعة بمجازاة العباد ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ يجازى العبد بالثواب والثناء، فلا يبخس أحدًا أجر عمله بل يضاعف الثواب ويثيب على القليل بالكثير.

(عليم) لتحذيرهم حتى تكون النية دائمًا متجهة إلى المولى ﷻ، فهو تعالى لا يقبل من العمل إلا أخلصه وأصوبه.

نظرة عامة على الآيات

أولا:

١- الآيات التي ختمت باسم (التواب) (الرحيم) كانت خاتمتها كالآتي :

﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٥٤].

﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨].

﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٠].

نلاحظ أن هذه الجمل ذكر فيها المولى ﷻ ضمير الغائب (هو)، والمخاطب

---

(١) راجع تفسير آية ١٥٨ من سورة البقرة فى كل من: جامع البيان فى تأويل آى القرآن للطبرى ٢/ ٤٨-٥٨، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٢١٦، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ١٩٩ - إرشاد العقل السليم لأبى السعود ١/ ٢٣٣ فى ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ١٤٩.

(أنت)، والمتكلم (أنا)، وأكد فيها بأربع تأكيدات : إن وتكرير الضمير، وضمير الفصل، والتعريف بـ(أل)، وجاء أسلوب التخصيص والقصر لتخصيص الصفة لله تعالى وقصرها عليه، ترغيبًا للعباد في التوبة، وإشعارًا بأن هذين الاسمين هما له تعالى، فمن رجع إليه عطف عليه ورحمه .

٢- اقترن اسم (التواب) باسم (الرحيم) ليحصل من اقترانهما قدر زائد على مفرديهما، أي يجتمع كمال على كمال، وقد تزاوج الاسمان بلا حرف عطف بينهما وهو أكثر ما جاءت عليه أسماء الله الحسنى في خواتم الآيات لتناسب معاني الاسمين الجليلين، وقرب بعضهما من بعض وشعور الذهن بالثاني منهما شعوره بالأول .

٣- جملة الخاتمة جملة اسمية وهي تأخذ سمة الاستقلالية، بمعنى أنها تأتي بعد تمام المعنى الرئيس في الآية فتكون بمثابة التعليل والتوكيد في نفس الوقت، كذلك الحكم المذكور(تاب عليهم) له تعلق بالاسم لأنه (هو التواب الرحيم) فجاءت جملة الخاتمة تعليلاً للآية ولتؤكد مضمون الكلام و ترتبط به ارتباط السبب بالمسبب والدعوى بدليلها .

ومن ذلك نلاحظ الارتباط الوثيق بين معنى الآية وختامها، فالمعنى ظاهر سهل الإدراك : فهو تعالى تاب عليهم لأنه ﷻ التواب الذي ييسر أسباب التوبة لعباده ويقبلها منهم لأنه رحيم بعباده .

فجملة الخاتمة تعليل لسبب التوبة

وهذا ما يسميه البلاغيون بالتصدير، أو رد العجز على الصدر[1] .

---

(١) وهو أن توافق (الفاصلة) ختم الآية آخر كلمة في الصدر أو أول كلمة أو إحدى كلمات الوسط، انظر الفاصلة من ناحية المعنى ص٦٥ من هذا البحث.

٤- تجد أن جانب المعنى والجانب الموسيقي يلتقيان، فكما روعي جانب المعنى في اختيار الاسمين لختام الآية فقدم اسم (التواب) لمناسبة (فتاب عليهم)، وآخر صفة الرحمة لعمومها ؛ لأن من الرحمة التوبة، أي أن توبته عليهم سبب رحمته فقدم السبب على المسبب، فنجد كذلك أن الختم باسم (الرحيم) من ناحية اللفظ هو الأنسب لأسباب :

أ- إلحاق النون أو الميم بعد حروف المد يؤدي إلى التمكن من التطريب .

ب- إذا نظرنا إلى حروف روي الآيات السابقة والتالية لهذه الآيات نجدها على حرف الميم وهما متماثلان مما يعطي موسيقى للوقف، وخاصة أن حرف الميم حرف غنه يعطي صوتًا جميلاً خاصة عند الوقف عليه .

مناسبة الاسمين الجليلين لموضوع السورة :

تعرضت سورة البقرة للحديث عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبني إسرائيل، وإبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والمؤمنين وكانت عليهم مدار السورة حيث إنها نزلت لهم ولبناء حياة دستورية جديدة لهم .

وحيث أن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، لذا نجد كل من تحدثت عنهم سورة البقرة تضمنت توبة لهم، فالآية الأولى خاصة بتوبة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ والآية الثانية خاصة بتوبة بني إسرائيل من عبادة العجل، والآية الثالثة خاصة بطلب التوبة من إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لأسباب قد ذكرت عند شرح الآية . والآية الرابعة خاصة بتوبة الذين تابوا وأنابوا إلى الله من المؤمنين جميعا .

ومن عظم رحمة الله بعباده جعل الملائكة يستغفرون للذين تابوا، فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر:٧-٨].

اللهم اجعلنا من التوابين المتطهرين .

ثانيًا:

١- الآيات التي انتهت باسمه تعالى الغفور الرحيم، الغفور الحليم انتهت بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وآية واحدة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

فجاءت الخاتمة مؤكدة لسعة رحمة الله وحلمه تعالى على عباده، فجاءت جملة اسمية مؤكدة فى ذاتها بإن وبإظهار الاسمين ولفظ الجلالة، وكان مقتضى هذا الظاهر الاستغناء عنه بالضمير العائد على المذكور مباشرة، وذلك للفتنا إلى عظمته سبحانه وأنه يغفر لمن يشاء، ومجيء جملة الخاتمة مؤكدة على هذه التوكيدات يشعرنا بأن هذا الأسلوب يخاطب نوعًا معينًا من الناس هم الذين يخافون مخالفة أوامر المولى ﷻ، ويريدون أن تكون أعمالهم على أتم وجه، وكذلك الذين عادوا على أنفسهم باللوم واستشعروا الندم، واعتراهم الخوف فكان كل هؤلاء بحاجة إلى أسلوب على نحو معين من التأكيد بحيث يكون قويًا في انتزاع الخوف من نفوسهم وفي بث الطمأنينة فى قلوبهم، على أنهم بالرغم من كل ذلك ربما تساءلوا عن سر هذا التسامح والعفو الكبير فجاء الجواب (إن الله غفور رحيم) بما يشير إلي أنه لا ينبغي أن نقيس العفو بمقاييس البشر المحدودة فعفو البشر تنعدم قيمته ووزنه بجانب رحمة الله ومغفرته.

٢- كذلك الفاصلة انتهت بحرف المد والميم الذى يمكن من التطريب، وحرف الميم الذي يعطي جمالاً لاشتماله على صوت الغنة .

٣ - نلاحظ أن الآيات التي جاءت خاتمتها (الغفور الرحيم) ست وسبعون آية منه آية واحدة تقدم فيها اسم (الرحيم) على (الغفور)، فجاءت (الرحيم الغفور) هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ:٢]. «لا نجد المغفرة هي المطلوب الأول فيها إذ ليس هناك حال تستدعيها استدعاء مباشرًا حيث لا عصاة، ولا مذنبين تهتف بهم مغفرة الله وتدعوهم إلى راحتها، وإنما الذي هنا هو الخلق العظيم الذي أوجده الله سبحانه وملك أمره».

وهو رحمة من رحمة الله لهذا فهي شملت الوجود كله فناسب ذلك أن يجيء ذكر (الرحيم) أولاً لأن الرحمة هي صاحبة الموقف هنا، وهي التى منها وبها كان هذا الوجود الذي تعرض الآية صورًا منه.

كذلك ناسب أن تجيء المغفرة بعد الرحمة ؛ لأن الإنسان وهو مخلوق لله يعلم المولى ﷻ أنه سيفسد هذه الفطرة السليمة التى أودعها فيه، ومع هذا فإن مغفرة الله لا تتخلى عن هذا الإنسان فى أي حال من أحواله، إنها رحمة واسعة لا حدود لها ..[1]

من دلالات اسمه تعالى الغفور

(الغفور) اسم له دلالات[2] لا تقتصر على المعني الظاهر المتبادر إلى الذهن وهو :

---

(١) إعجاز القرآن فى دراسة كاشفة لخصائصه البلاغية العربية ومعاييرها عبدالكريم الخطيب مكتبة دار الفكر العربي الطبعة الأولي ١٩٦٤م ص٢٦٦ - الكتاب الثاني بتلخيص.

(٢) الفكرة من كتاب السماء الحسنى فى القرآن العظيم قراءة جديدة د. حسن أحمد على، النهار للطبع والنشر والتوزيع الطبعة الأولي ١٤٢٣/ ٢٠٠٣، ص ١١٤ ، ١١٥.

مغفرة الذنوب جميعاً، والتي منها عدم المؤاخذة على اللغو تخفيفا منه ورحمة قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٥]. ولكن له دلالات أوسع بكثير، نستشفها في كل مما يأتي:

١) بعض التشريعات المتعلقة بشئون الأسرة والتحليل والتحرير والعقوبات، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣].

٢) مراقبة الالتزام بشعار العبادات:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

٣) يتولى أمر المؤمنين والمهاجرين والمجاهدين في سبيل الله ويحميهم من التأثر بذنوبهم ويرفع درجاتهم. قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

٤) يتولى أمر متبعي الرسول والمتمسكين بسنته:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

٥) ربط مطلق التصرف والمشيئة باسمه تعالى الغفور:

قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢٩].

هذه المشيئة هي مقتضى أسمائه وصفاته العليا، فهو يشاء ما يليق بكماله المطلق، وختم المولى ﷻ تلك الآيات بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ليعلم الناس أن صفة المغفرة المقترنة بصفة الرحمة هي التي لها الأسبقية والسيادة على الأسماء الأخرى.

٦) الترغيب والترهيب كما في قوله تعالى:

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨].

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف:١٦٧].

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠].

نتيجة:

كل آيات التحريم التى ذكرت فى القرآن الكريم وختمت باسم من الأسماء الحسني كان هذان الأسمان هما (الغفور الرحيم) إلا آية واحدة نزلت في بني إسرائيل ووردت بسورة الأنعام، وذلك لأن التحريم جاء نتيجة بغيهم قال تعالى:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام:١٤٦].

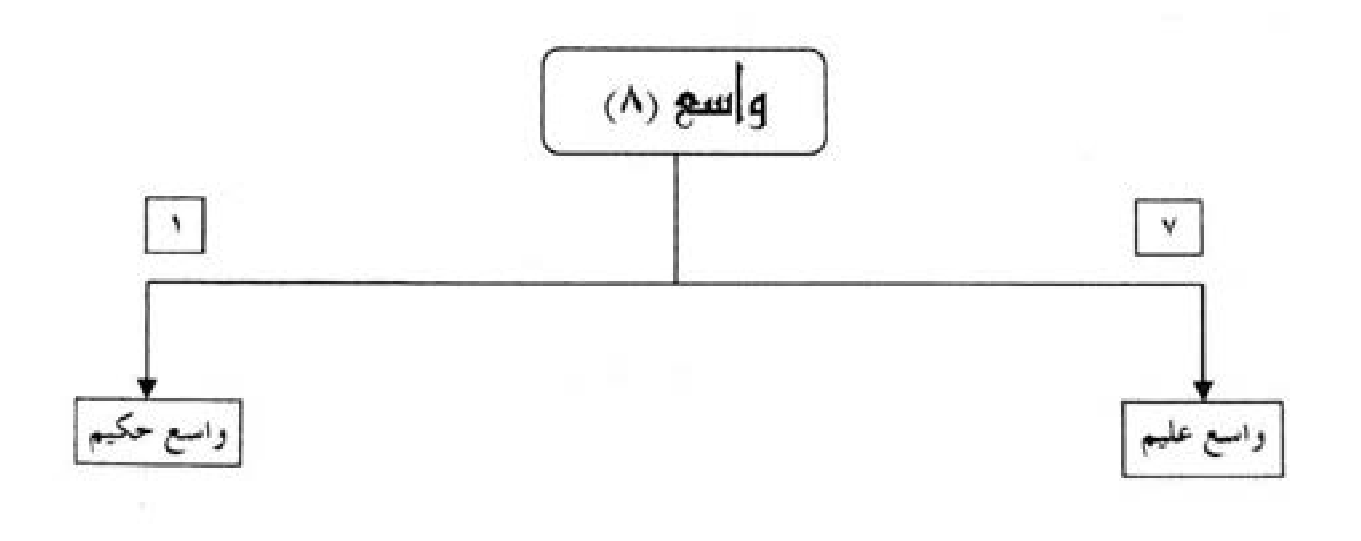
ثالثاً: آيات التي ختمت باسم (الرءوف) تبين معنى الرأفة وهي: رحمة خاصة بمن يستحقها من المؤمنين.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة)

(الواسع) جل جلاله

أسم من أسماء الله الحسنى ورد فى الحديث الذى رواه الترمذى واشتهر بين الناس، وورد فى القرآن الكريم ثماني مرات مقترنًا باسم غيره ولم يرد مفردًا، ولم يرد فاصلة وجاء وسط الآية مرة واحدة ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢]. ورد مقترنًا باسمه تعالى (العليم) سبع مرات، منها أربع مرات في أربع آيات من سورة البقرة، ومقترنا باسمه تعالى (الحكيم) مرة واحدة فى سورة النساء.[(١)]



(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٧٥١.

المعنى اللغوي:

وسع الشيء: يسعه سعة لم يضق عنه

أوسع الله عليه رزقه: بسطه وكثره وأغناه

السعة: الغني والرفاهية، يقال: هو فى سعه من العيش، أوسع الرجل: صار ذا سعة وغنًى، أي كثر ماله.

والوسع من القدرة نحو قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق:٧]. اى على قدر غناه وسعته، والواسع من أسماء الله الحسنى، وهو الذى وسع رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقر، الكثير العطاء الذى يسع لما يسأل»[1]

الواسع اصطلاحا: معني الاسم فى حق الله تعالى:

الواسع هو الله سبحانه وتعالى الذى لا حدود لمدلول أسمائه وصفاته فهى أمر فوق إدراك العقول، وهو سبحانه الواسع المطلق؛ لأنه إذا نظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته، بل تنفذ البحار ولو كانت مداداً لكلماته، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ

---

(١) راجع: لسان العرب ٨/ ٣٩٢- ٣٩٣، بصائر ذوى التمييز للفيروز أبادى، ٥/ ٢١٢ مختار الصحاح: ٣٠٠، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ٥٦٠.

بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٢٧].

فلو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا، وجعل البحر مدادًا لها وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على علمه، وعظمته لانمحت الأقلام ولنفد كل هذا المداد ولم تنفد كلمات ربي.

وإذا نظر إلى غناه فلا حدود له، وسع رزقه الخلق أجمعين، يقول تعالى فى الحديث القدسي: «يا عبادى لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم، وجنكم، قاموا فى صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»[1].

وإذا نظر إلى إحسانه ونعمه وفضله فلا نهاية لذلك، قال تعالى:

﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨]. وقال تعالى:

﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [آل عمران:٧٣].

وإذا نظر إلى رحمته تعالى ومغفرته فهي وسعت كل شيء قال تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾ [غافر:٧]. وقال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [النجم:٣٢].

وإذا نظر إلى ملكه فلا نهاية لسلطانه. وكل سعة وإن عظمت تنتهي إلى طرف والذى لا ينتهي إلى طرف هو أحق باسم (الواسع) سبحانه وتعالى فهذا الواسع المطلق الذى لا نهاية لسلطانه، ولا حد لإحسانه فلا يمحي غناه، ولا تنفد

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم جزء من حديث (٥٥/ ٢٥٧٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٨/ ١٦/ ١٣٦..

عطاياه، سبحانه واسع العلم والسلطان والغنى والقدرة والإحسان.[1]

وجاء اقتران هذين الاسمين ﴿وَٰسِعٌ﴾، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فى القرآن الكريم فى سبع آيات من كتاب الله ﷻ.

كذلك ذكر ﴿وَسِعَ﴾ فى القرآن الكريم فى سبع آيات أيضًا فى قوله تعالى:

﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧]. ﴿وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام:٨٠].

﴿رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩]. ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨].

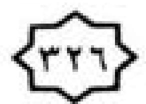
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم:٣٢].

من ذلك يكون المقصود بمعني ﴿وَٰسِعٌ﴾ فى حقه ﷻ هو ذو مغفرة واسعة، وسع كل شيء رحمه وعلما، وهذا هو الثناء الذى قدمته الملائكة بين يدى الله ﷻ قبل أن تستغفر للذين آمنوا قال تعالى على لسان الملائكة:... ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

وإذا اقترن باسمه تعالى (العليم) يكون الجامع بينهما- وسع كل شيء علمًا، فلا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه.

---

(١) راجع المقصد الأسنى فى شرح معانى أسماء الله الحسنى لأبى حامد الغزالى ص ٢١٩، شرح أسماء الله الحسنى للرازى المعروف بلوامع البينات، ص ٢٦٩.



حظ العبد من هذا الاسم:

«هذا الاسم هو الفرج والإفراج، له ظلال على كل الحياة، لأن رحمته وسعت كل شيء، وما دامت الرحمة وسعت كل شيء فلا نجد مظلومًا ولا محرومًا، وإنما نجد أملاً وباباً مفتوحًا وتفريجًا وانشراحًا للصدر، واستقرارًا للفؤاد وسكينة للنفس.

فالمذنب يجد عنده المغفرة، والكافر يجد عنده الرزق، والمؤمن يرى من العطاءات والإشراقات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والمريض يجد من رحمته الشفاء، والفقير يجد من كرمه الأرزاق والكل على الباب والباب، مفتوح لا يغلق لأنه القائل:

﴿أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]. [١]

وحتى يكون للعبد نصيب من هذا الاسم عليه أن يسعى فى تنمية علمه، وتوسيع مداركه، وزيادة معلوماته فإن كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه، وقد طلب المولى ﷻ من نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعوه بذلك فقال:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وأن يسعى إلى سعة أخلاقه فلا يضيقها خوف الفقر، وغيظ الحسد، وغلبة الحرص، وكذا سائر الصفات الذميمة بل عليه أن يتخلى عنها، ويتحلى بالأخلاق والصفات الحميدة فيحسن معاملة الناس ويعاملهم بالجد والكرم فيقضى مصالحهم، ويوسع عليهم إذا وسع الله عليه[٢].

---

(١) أسماء الله الحسنى محمد متولى الشعراوي ٤/ ٥٥.

(٢) راجع أسماء الله الحسنى للقشيري ص٢٨١، شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص١١٩.

آيات اسمه تعالى (واسع عليم)

١- ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٥].

٢- ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٤٧].

٣- ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦١].

٤- ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٥].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية موصولة بما قبلها، ومعنى ذلك:

أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو بيت المقدس، أو أي مسجد فبلاد الشرق والغرب والأرض كلها ملك لله تعالى فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وولوا وجوهكم شطر القبلة - بدليل قوله تعالى: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

ﭐﻟۡﻤَﺴۡﺠِﺪِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة:١٥٠]. فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يخص إمكانها في مسجد دون مسجد، ولا في مكان دون مكان، وحيثما كنتم فأنتم متوجهون إلى الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾: يوسع على عباده في دينهم ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم، وييسر عليهم، ولا ينقصهم ثوابهم، ولا يكلفهم ما ليس في وسعهم، ومصداق ذلك في كتاب الله قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

﴿عَلِيمٞ﴾ بمصالح العباد وأعمالهم ما يغيب عنه منها شيء، ولا يغرب عن علمه بل هو بجميعها عليم.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر المولى ﷻ أن له ملك المشرق والمغرب، أي أن ملكه يسع كل شيء جاء بالصفة الدالة علي ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ فلا يقع شيء إلا في ملكه أي واسع الملك.

ولما كانت التولية المقصود بها الصلاة جاء بصفة ﴿عَلِيمٞ﴾ أي لا يخفي عليه فعل فاعل أينما كان وكيفما كان، فهو يعطي المتوجه إليه علي قدر نيته فجاءت جملة الخاتمة مؤكدة لمعنى الآية[1] ويكون معنى ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ وسع كل شيء علمًا فلا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه..

---

(١) راجع تفسير سورة البقرة آية ١١٥ في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١/ ٥٨٥-٥٩١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢/ ٥٥، البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٥٧٨.

قال تعالى:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

في الآية السابقة كان مطلب بني إسرائيل أن يكون لهم ملك يقاتلون تحت لوائه وقالوا إنهم يريدون أن يقاتلوا ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وفي هذه الآية يجادلون في اختيار الله لهم كما أخبرهم نبيهم، ويستنكرون أن يكون طالوت- الذي بعثه الله إليهم- ملكًا عليهم، فقد جروا على سنتهم من تعنتهم، وحيدهم عن أمر الله تعالى- وهذه سمات بني إسرائيل المعروفة التي وردت الإشارة إليها كثيرًا في هذه السورة- فقالوا:

﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾. قالوا: كيف ومن أين؟ إنكارًا لتملكه عليهم، واستبعادًا له، أي كيف يكون ملك علينا، والحال أنه لا يستحق الملك لأنهم - في زعمهم - أحق بالملك منه بالوراثة فلم يكن من نسل الملوك فيهم، ثم هو مع هذا فقير لا مال له يبرر التغاضي عن أحقية الوراثة.

وتركوا السبب الأقوى، وهو قدرة المولى ﷻ وقضاؤه السابق، حتى أطلعهم عليه نبيهم بأن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه تعالى بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧]: فكشف لهم عن أحقيته الذاتية، وعن حكمة الله في اختياره فذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال، وهما العلم المبسوط والجسامة، وذلك أن الملك لابد أن يكون ذا علم وقوة شديدة في بدنه ونفسه، فالعلم هو ملاك الإنسان، والجسم هو معين في الحرب وعدته عند اللقاء لا ما ذكرتم، وقد خصه تعالى بحظ وافر منهما.

ثم أتم كلامه بالحجة القاطعة التي لا اعتراض عليها ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ فالملك لله، وبيده دون غيره، يؤتي ذلك من يشاء فيضعه عنده ويخصه به، وهو الحاكم الذي يفعل ما يشاء قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

ثم جاء ختام الآية فيه تشديد وتقوية لمن يؤتيه الله الملك.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَٰسِعٌ﴾ بفضله ينعم به علي من يحب ويريد به من يشاء.

﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل لملكه الذي يؤتيه، وفضله الذي يعطيه، فهو يعلم الخير، ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها.

مناسبة الخاتمة للآية:

ختم بهذين الاسمين إذ تقدم دعواهم أنهم أهل الملك، وأنهم أغنياء، وأن طالوت ليس من بيت الملك وأنه فقير، فبين لهم المولي ﷻ أنه واسع الفضل يوسع على الفقير، ويزيد من يشاء ما شاء.

والاصطفاء من سعة الفضل، كذلك زيادته لعلمه وجسمه من سعة الفضل

كذلك ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أحق بالملك فيضعه فيه، ويختاره له[1]. ويكون اسمه تعالى ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ بمعنى وسع كل شيء رحمة وعلماً فبرحمته بهم وعلمه بحالهم اختار من هو أصلح لهم وزاده من فضله.

قال تعالى:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

مناسبة الآية لما قبلها:

«لما ذكر المولى ﷻ قصة المار على قرية، وقصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان من أدل دليل على البعث، ذكر ما ينتفع به يوم البعث، وما يجد جدواه هناك وهو الإنفاق في سبيل الله، كما أعقب قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥]. وكما أعقب قتل داوود جالوت، وقوله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ﴾ [البقرة:٢٥٣]. بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٤].

فكذلك أعقب هنا ذكر الإحياء والإماتة بذكر النفقة في سبيل الله لأن ثمرة النفقة في سبيل الله إنما تظهر حقيقة يوم البعث ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠]. «واستدعاء النفقة في سبيل الله مذكر بالبعث، وحاض

---

(١) راجع تفسير آية ٢٤٧ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٢/ ٦٨٠، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٣/ ١٦١، البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٥٧٦، روح المعاني للألوسي ١/ ٧٧١.

علي اعتقاده، لأنه لو لم يعتقد وجوده لما كان ينفق في سبيل الله، وفي تمثيل النفقة بالحبة المذكورة إشارة أيضًا إلي البعث، وعظيم القدرة، إذ حبة واحدة يخرج الله منها سبعمائة حبه، فمن كان قادراً علي مثل هذا الأمر العجاب، فهو قادر علي إحياء الموات»[1].

الآيــة:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هذا مثل ضربه الله تعالى للتحريض علي الإنفاق في سبيل الله؛ فلا شك أن جميع ما هو طاعة وعائد نفعه علي المسلمين أعظمه وأفضله الجهاد لإعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاة الله.

وشبه الإنفاق بالزرع لأن الزرع لا ينقطع، وهذا مثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله ﷻ لأصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، فهو مثل يستجيش المشاعر والانفعالات الحية في الكيان الإنساني كله، فهو يعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة، صورة الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه ويهب غلاته مضاعفة بالقياس إلى بذوره.

يعرض هذه الصورة الموحية مثلاً للذين ينفقون أموالهم في سبيل الله. فالمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببًا أسند إليها الإنبات كما يسند إلي الأرض والماء، ومعني إنباتها سبع سنابل: أن تخرج ساقًا يتشعب منها سبع سنابل، كل سنبلة تحوي مائة حبة.

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٢٦٠، ٢٦١. بتصرف

وهذا التمثيل تصوير للمضاعفة كأنها ماثلة بين عيني الناظر.

وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ والله يضاعف علي السبعمائة إلى ما يشاء من المضاعفة لمن يشاء من المنفقين في سبيله، يضاعف بلا حساب ولا عدد، يضاعف من رزقه الذي لا يعلم أحد حدوده، ومن رحمته التي لا يعرف أحد مداها.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: والله بما له من الكمال في كل صفة ﴿وَٰسِعٌ﴾ أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التي وعدوا بها، فهو تعالى واسع الفضل.

﴿عَلِيمٌ﴾: بمن يستحق منهم الزيادة، فهو عليم بالنوايا ويثيب عليها ولا تخفي عليه خافية.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر المولى ﷻ أنه ﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ ذكر ما يناسب ذلك بهذين الاسمين إشارة إلى أن سعة عطائه قد أحاطت بجميع الكائنات فلا يضيق عطاؤه، ولا يكف، ولا ينضب.

وإشارة إلى أن علمه قد شمل كل معلوم فهو يضاعف لأهل النفقة وهو عليم بنياتهم وسائر أحوالهم[1].

ويكون هنا اسمه ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ بمعنى وسع كل شيء رحمة وعلمًا.

---

(١) راجع تفسير آية ٢٦١ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ٦٤، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٥١٦، في ظلال القرآن لسيد سابق ١/ ٣٠٦.

قال تعالى:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما رغب المولى ﷻ في إنفاق أجود ما يملكه الإنسان، ولما بين أن الكف عن الإنفاق أو التقدم بالرديء الخبيث إنما ينشأ عن دوافع السوء وعن الخوف من الإملاق الذي لا يساور نفسًا تتصل بالله وتعتمد عليه وتدرك أن مرد ما عندها إليه، كشف لهم في هذه الآية عن هذه الدوافع لتبدو لهم عارية، وليعرفوا ما الذي يثيرها في القلوب، فقال ﷻ:

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ يعدكم: الوعد يستعمل في الشر استعماله في الخير، كما في قوله تعالى:

﴿ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الحج:٧٢].

ويمكن أن يكون محمولاً علي التهكم كما في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:٣].

ومعني الآية:

الشيطان يخوفكم الفقر لتمسكوا بأيديكم عن الإنفاق في مرضاة الله، فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب، ومع نهيه عن الإنفاق يأمركم بالمعاصي والمآثم ومخالفة الخالق.

والفحشاء وإن كانت قد غلبت علي نوع معين من المعاصي - وهو الزنا - إلا أنها شاملة كل ما اجتمعت عليه استقباحات الشرك من البخل وترك الصدقة أو

المعاصي مطلقًا، فخوف الفقر كان يدعو بعض القوم في جاهليتهم إلى وأد أولادهم وهو فاحشة، والحرص علي جمع الثروة كان يؤدي ببعضهم إلى أكل الربا وهو فاحشة... على أن خوف الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله في ذاته فاحشة.

وتقدم وعد الشيطان على أمره؛ لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه، فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر سلط عليه بالأمر، إذ الأمر الاستعلاء على المأمور. وحين يعدكم الشيطان الفقر ويأمركم بالفحشاء، يعدكم الله ﷻ المغفرة والعطاء فيعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم ذنوبكم فى الدنيا والآخرة لما اقترفتموه من الذنوب، وما وقع منكم من تقصير.

كما يعدكم الفضل وهو زيادة الرزق والتوسعة فى الدنيا والآخرة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

إنه يخلف عليكم أفضل ما أنفقتم ويثيبكم عليه ثوابًا عظيمًا فى الآخرة، ثم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: الله المحيط بكل كمال واسع المغفرة، وواسع الفضل الذى يعدكم ان يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه.

﴿عَلِيمٌ﴾ : بنياتكم، وصدقاتكم التى تتصدقون بها فلا يخفى عليه ما تنفقون، أو ويحصيها عليكم حتى يجازيكم بها فلا يكاد يضيع أجوركم.[1]

---

(١) راجع تفسير آية ٢٦٨، من سورة البقرة فى كل من جامع البيان فى تأويل القرآن للطبرى ٣/ ٩٢ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٣٢٠، البحر المحيط لأبى حيان ٢/ ٦٨٣، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٥٢٢.

مناسبة الخاتمة للآية:

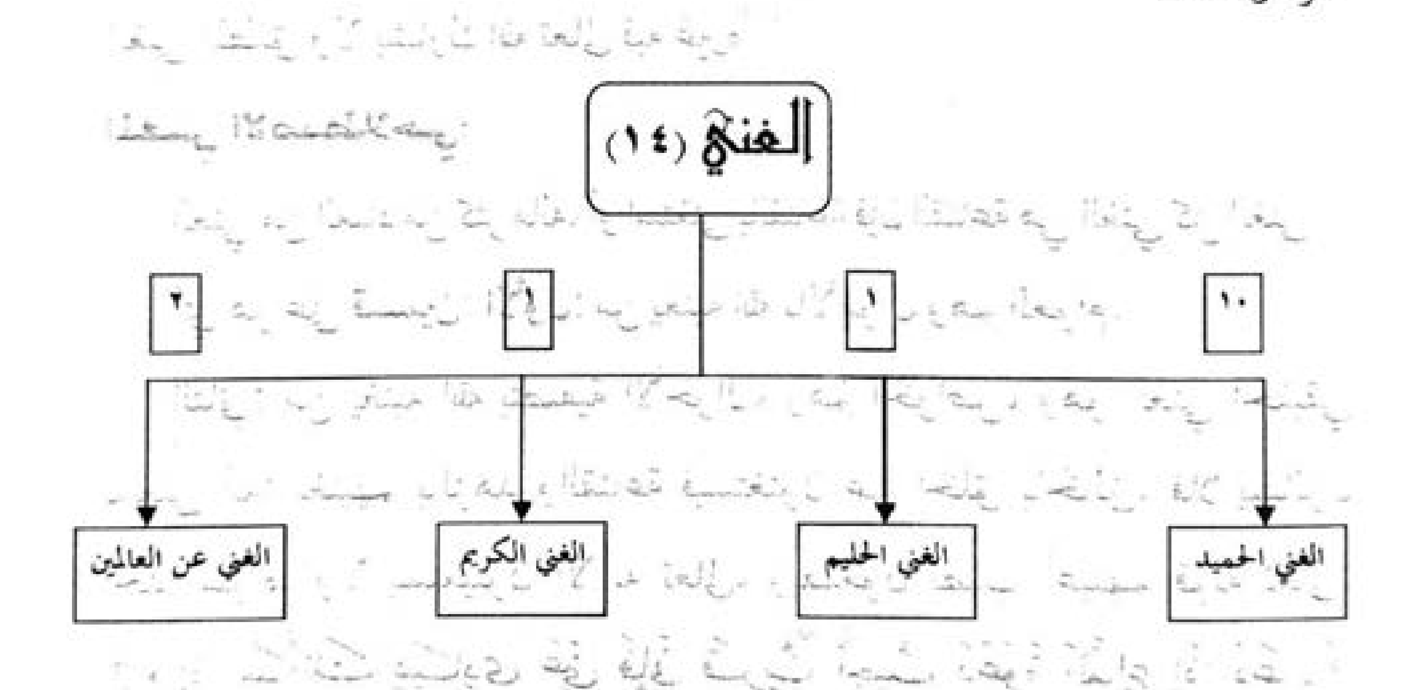
لما خص المولى ﷻ المغفرة والفضل منه تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ﴾ علم أن المقصود تعظيم حال هذه المغفرة والفضل، لأن عظم المعطي يدل على عظم العطية؛ لذلك أكد سبحانه هذا المعنى بقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فناسب ذكر هذين ليكون المعنى واسع المغفرة وواسع الفضل والعطاء عليمًا، يعلم أين يضع فضله وعليمًا بنياتكم فلا تخفى عليه خافية.

ويكون معنى اسمه تعالى ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أنه ذو مغفرة واسعة ووسع كل شيء رحمة وعلمًا.

(الغني) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث، الذي رواه الترمذي، واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة وجاء في ختام الآيات في أربع عشرة آية، لم يأت فيها فاصلة ولا مفردًا، وإنما ورد مقارناً لاسم غيره، فقد اقترن باسمه تعالى (الحميد) عشر مرات، (الحليم) مرة واحدة، (الكريم) مرة واحدة، وجاء مضافاً مرتين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٧][(١)].

وورد في وسط الآية مفردًا (الغني) ثلاث مرات، ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [الأنعام:١٣٣]. مرة واحدة.



المعني اللغوي:

الغنى ضد الفقر، غني فلان كثر ماله فهو غني عن الشيء لم يحتج إليه، أو بالمكان الذي أقام فيه.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٥٠٦.

ما يغنى عنك هذا: أي ما يجزئ عنك هذا وما ينفعك.

والغني يقال على وجوه:

١) **قلة الحاجات**: وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٨].

٢) **الكثرة**: لقوله تعالى ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء:٦]. والغانية المستغنية بحسنها عن التزين.

٣) **عدم الحاجات**: وليس ذلك إلا لله ﷻ، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الحج:٦٤].

فالغني هو الذي لا يحتاج إلى أحد في شيء وكل أحد محتاج إليه، وهذا هو الغني المطلق ولا يشارك الله تعالى فيه غيره[١].

المعنى الاصطلاحي:

الغني من العباد من كثر ماله، أو استغنى بالقناعة فإن القناعة هي الغني كل الغنى.

أي هو على قسمين: **الأول**: من يغنيه الله بالأموال وهم العوام.

الثاني: من يغنيه الله بتصفية الأحوال، وهم الخواص، وهو الغني الحقيقي بمعني أنه: يغنيهم بالزهد والقناعة فيستغنون عن الخلق بالخالق، فلا يسألون أحدًا سواه، ولا يستعينون إلا به تعالى، ويضعون نصب أعينهم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

---

(١) راجع: لسان العرب ٥/ ٣٣٠٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص٣٧٨-٣٧٩، المعجم الوجيز ص ٤٥٦.

أما المولى ﷻ فهو الكامل بما له وعنده فلا يحتاج إلي شيء، وهو المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه تعالى غنيًا حميدًا أمر ذاتي له، فغناه وحمده أمر ثابت له لذاته لا أمر أوجبه، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه. واقترن اسمه تعالى (الغني) بأسمائه (الحليم)، و(الحميد) يعني أنه مستغنٍ عن خلقه؛ فهو يحلم ويغفر ويصفح عنهم وهو ﴿غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]. يعطي بلا سؤال ويستحق الشكر والثناء، ولا يخيب من قصده، ولا يرد من يسأله، دائم الإحسان، واسع الكرم.

وهو ﴿ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام:١٣٣]: الغني بنفسه عمن سواه لا ينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته، ولا ذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته.

فالغني على الحقيقة لا يكون إلا بالله سبحانه الذي لا يحتاج إلى شيء في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله ويحتاج إليه كل شيء، سبحانه لا صاحبة له ولا ولد، ولا معين له ولا سند، ولا شريك له في ملكه ولا نصير له في تنفيذ مشيئته، عز من قائل ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء:١١١].

فهو تعالى لا يحتاج إلى أحد، المتعالى فوق عباده يرزقهم بالغنى وهو الغني عن عبادتهم وطاعتهم، المتفضل عليهم بإحسانه، فلا يزيد في ملكه العابدون، ولا ينقص من ملكه الكافرون، وفي الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ:

قال الله ﷻ: «أنفق أنفق عليك وقال: يد الله ملأ لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار. وقال أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع»[(١)].

وعن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي: كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد مازاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم، وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[(٢)].

فالمولى ﷻ هو الغني بذاته عن العالمين، المتعال على جميع الخلائق في كل زمن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (وكان عرشه على الماء) (٤٦٨٤)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٢٠٢. لا تغيضها: لا تنقصها. سحاء: أي دائمة. الميزان: كناية عن العدل.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (٥٥/ ٥٧٧)، صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ١٦/ ١٣٦.

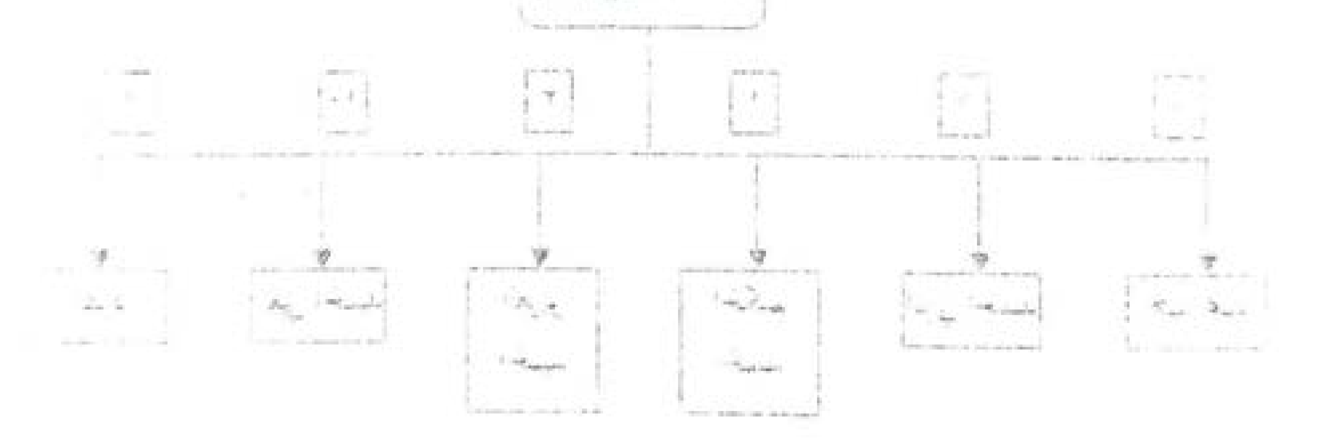
وحين، وهو الغني عن العباد، والمتفضل عليهم بمحض الوداد، والكل إليه فقراء من ملوك وعظماء.

حظ العبد من اسمه تعالى (الغني):

ورد اسمه تعالى (الغني) مقترنًا باسم آخر هو (الحليم)، (الحميد)، (الكريم)، ومقترنًا بـ (ذو الرحمة) ليدل علي أن المولي ﷻ في غناه ليس متجبرًا على عباده، أو بخيلاً عليهم، أو ظالمًا لهم، وتنبيهاً للعبد الذي أغناه الله من فضله أن يتخلق بهذه الصفات فلا يتعالى على الناس، ولا يستذلهم بأمواله، بل يجود بما عنده، ويواسي الفقير والمسكين، وليتذكر أن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء والمال مال الله، قال تعالى:

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣].

وأن يستغني بالله عن كل الآحاد، فإن سأل لا يسأل سواه، وأن يرجع إليه وحده في كل أمر، ولا يبسط كف الضراعة إلا له ﷻ وعلي المؤمن أن يحذر فتنة الدنيا فإن للمال سحرًا في القلوب وغشاء على العيون[1].

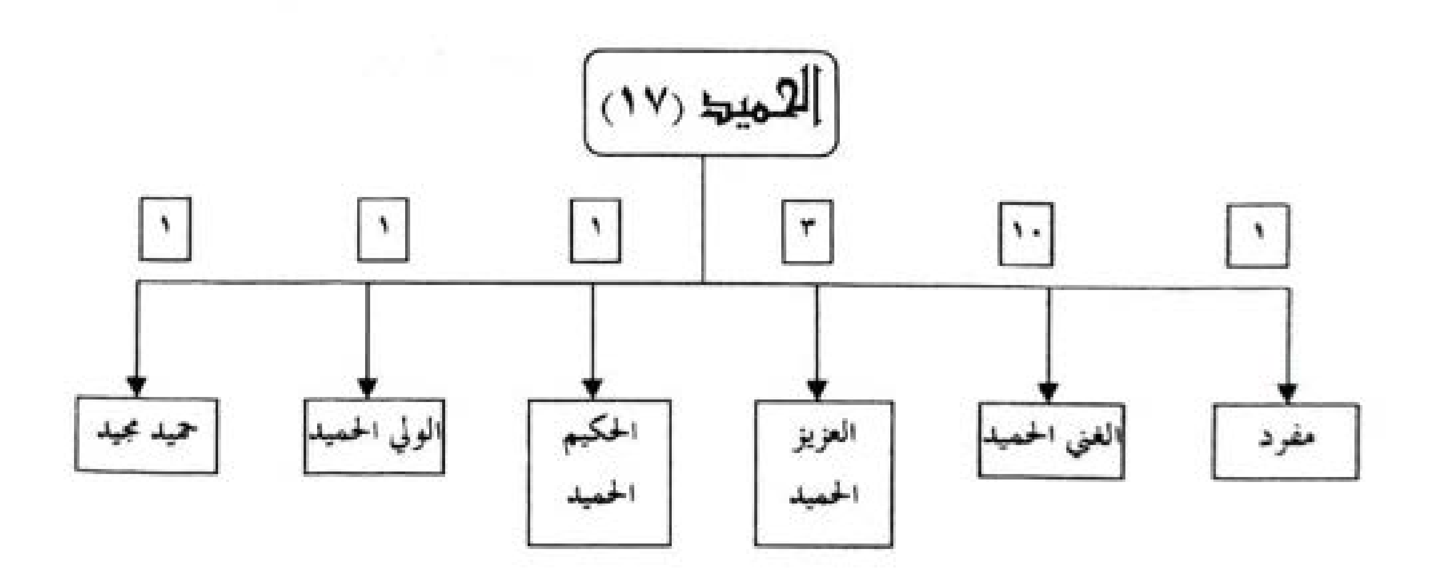


(١) راجع: المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للغزالي ص ١٤٤، الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٩، ٥٠، الفوائد لابن القيم ٣٨، الأسماء الحسنى محمد بكر إسماعيل ص ٣٥٣-٣٥٥.

(الحميد) جل جلاله

اسم من أسمائه تعالى الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم في خواتم الآيات سبع عشرة مرة، وورد مفرداً مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

وورد مقترناً باسم غيره فقد ورد مقترناً باسمه تعالى (الغني) عشر مرات، وباسمه تعالى (العزيز) ثلاث مرات وباسمه تعالى (الحكيم) مرة، وباسمه تعالى (الولي) مرة، وباسمه تعالى (المجيد) مرة، جاء في كلها فاصلة عدا آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣][1].



---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٢١٨.

الحميد لغة:

الحميد مشتق من: الحمد، والحمد نقيض الذم، ويقال: حمدته على فعله، حمده حمدًا: أثني عليه، والشيء رضى عنه، وارتاح إليه. أحمد الرجل: صار محموداً، وفعل ما يحمد عليه.

الحمد: الثناء الجميل، حمد الله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهذا أخص من المدح وأعم من الشكر، فقد يمدح الإنسان بطول قامته، وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله، وشجاعته، وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابل نعمة، فكل شكر حمد، وليس كل حمد شكرًا، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمدًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣]. يصح أن يكون في معنى المحمود وأن يكون في معنى الحامد، والحميد هو المحمود علي كل حال.

وحمد الله: الثناء عليه وشكره النعمة التي شملت الكل[1].

معني (الحميد) اصطلاحًا:

«الحميد: فعيل: بمعنى مفعول هو محمود بحمده لنفسه وحمد خلقه له، أو فعيل بمعنى: فاعل فهو حامد لنفسه حامد للمؤمنين من عباده»[2].

الحميد- جل جلاله- هو المستحق لأن يحمد لأنه جل ثناؤه بدا فأوجد ثم

---

(١) راجع: لسان العرب ٣/ ١٥٥ - ١٥٨، مختار الصحاح ٦٤، المعجم الوجيز ١٧٠، معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٣٠، بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ص ٤٤٩.

(٢) التحبير في التذكير شرح أسماء الله الحسنى للقشيري، ص ٥٨.

جمع لعبده النعمتين الجليلتين: الحياة والعقل، ووالى بعد منحه وتابع آلاءه ومننه حتى فاقت العد، وإن استفرغ فيها الجهد، قال تعالى:

﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم:٣٤].

ولا يستحق أن يحمد سواه، بل له الحمد كله لا لغيره كما أن المن منه لا من غيره، وهو ﷻ الحميد بحمده لنفسه أزلاً وبحمد الخلق له أبداً، ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبًا إلى ذكر الذاكرين له، فالحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال، والحميد المطلق هو الله ﷻ لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصيها سواه.

والحميد: هو الذي استحق الحمد بفعاله، وهو الذي يحمد في السراء، والضراء وفي الشدة، وفي الرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعتريه الخطأ فهو محمود علي كل حال، وهو المستحق لكل أنواع الحمد وهو أهل الثناء الذي أثنى على نفسه، الذي حمد نفسه قبل أن يحمده خلقه فقال تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحج:٦٤].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠]. وأخبر تعالى أنه محمود في كل مكان وزمان فقال:

﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم:١٨].

وقد استفتح الله سبحانه خمس سور من كتابه الكريم بالحمد هي فاتحة الكتاب

والأنعام والكهف، وسبأ، وفاطر وذلك تنبيهاً لعباده على عظم آلائه ومننه المتوالية عليهم ولذا استحق ﷻ الحمد والثناء، فسبحت الملائكة بحمده وسبح الرعد بحمده، وإن من شيء إلا يسبح بحمده، فقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد:١٣].

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤].

وقد أمر المولى ﷻ نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحمد فقال تعالى:

﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨].

كما أمر محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسبح بحمد ربه قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٨-٩٩].

كذلك اتصل حمد المؤمنين له تعالى في كل صلاة ففي بدايتها يقرأ بفاتحة الكتاب ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وفي الحديث:

«لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب»[1].

وإذا رفع المصلي ظهره من الركوع حمده تعالى، فقال كما في الحديث: «سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد. ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة – ١١ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ٣٤/ ٣٩٤ صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤/ ١٠٤.

شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1].

ويختتم الصلاة بحمده تعالى فيقول في نهاية التشهد: «إنك حميد مجيد».

وكما اتصل حمد المؤمنين له تعالى في الدنيا اتصل في الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠][2] وأن أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها.

كذلك «الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدًا له، وكذا من أثنيت عليه لغرض ما ولم تحبه لم تكن حامدًا له حتى تكون مثنيًا عليه محبًا له، وهذا الثناء والحب يقتضي ما هو عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال، والإحسان إلى الخلق، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل كان الحمد والحب أتم وأعظم والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل لأن يحب ويحمد لذاته، ولصفاته، ولأفعاله، ولأسمائه، ولإحسانه ولكل ما صدر منه سبحانه»[3] فلله الحمد نور السماوات

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة - ٤٠ باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ٢٠٥/٤٧٦ صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٤/ ١٩٦.

(٢) راجع الأسماء والصفات للبيهقي ص ٧٥، المقصد الأسنى لشرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي ص ١٣٠، مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣٣، أسماء الله الحسنى للشعراوي ٤/ ١٣٣، لله الأسماء الحسنى ص ١٥٥ أحمد عبد الجواد.

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم ٢٤٣ بتصرف.

والأرض ومن فيهن ولله الحمد قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ونستخلص من معني اسمه الحميد أنه تعالى شريف القدر عالي المنزلة واسع العطاء هو الذي يستحق كل الثناء والمحبة.

حظ العبد من اسمه تعالى (الحميد):

اقترن اسمه تعالى (الحميد) بأسماء غيره وهي (الغني)، و(الولي)، و(العزيز)، و(المجيد)، و(الحكيم). تنبيهاً لعباده بأنه تعالى المنعم المتفضل عليهم بوافر النعم، وأنه تعالى وليهم ومدبر أمرهم، وهو العزيز الذي يعز بكتابه ونبيه من أراد العزة وهو الحميد الذي يحمده عباده على تحقيق المعجزات وإجابة الدعوات، وإسداء الهبات لمن شاء من عباده، وهو الحكيم الحميد الذي يقضي بحكمه في كل شيء فيحمده من عرف عظمة القرآن وتدبر معانيه وفهم مقاصده ومراميه، وإذا أيقن المؤمن أن ربه عظيم المد، وافر النعم، واسع الفضل والكرم رأى أن كل ما يأتيه من لدنه جميل، وأن ما يعين من صنوفهم تزكية له، وتطهير، فلا يسعه إلا أن يشكره في الضراء كما يشكره في السراء، فما من محنة إلا وهي في باطنها منحة عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها، وإذا قوي إيمان العبد واكتملت شعبه لم ير فيما ينزله الله به محنة علي الإطلاق ثقة بأن الخير منه وإليه، وأن الشر ليس إليه فاستوى في أفعاله الإعطاء والمنع، فما منع عبده شيئًا إلا ليعطيه ما هو أفضل في الدنيا أو عوض عنه في الآخرة أضعافاً مضاعفة.

فهو المعطي دائمًا، فكيف لا يحمده من عرف ذلك وأيقنه.

ويجب على كل مكلف أن يعلم أن الحمد علي الإطلاق إنما هو لله ﷻ فهو

المستحق لجميع المحامد بأسرها فيحمده علي كل نعمه وعلى كل حال بمحامده كلها ما علم منها وما لم يعلم، فلله الحمد يا ربنا علي ما أنعمت به علينا وأوليت، ولك الثناء الحسن الجميل فجد علينا بالعفو والعافية أو كما قال خير خلق الله نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض وملء ما شئت بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(١).

كما يجب علي العبد أن يسعي في خصال الحمد وهي التخلق بالأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة ولا يتم ذلك إلا إذا حسنت عقيدته و أخلاقه، وأعماله، وأقواله، ورضي بقضاء الله وقدره، وعرف حق المنعم من قبل النعمة، وحفظ النعمة عن استعمالها فيما لا يليق بها(٢).

الآيـــات:

قال تعالى:

١- ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣].

٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة: ٤ باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ٢٠٦/٤٧٦، صحيح مسلم بشرح النووي. ٣/ ٤/ ١٩٦.

(٢) راجع ولله الأسماء الحسنى: أحمد عبد الجواد ص ١٥٥، أسماء الله الحسنى آثارها وأسرارها د. محمد بكر إسماعيل ص ٢٣٧، الأسنى لشرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ١/ ١٨٩-١٠٢.

مِنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة:٢٦٧].

قال تعالى:

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

هذه الآية ضمن مجموعة آيات يتحدث فيها المولى ﷻ عن الزكاة المفروضة والصدقات المتروكة للتطوع، فهي تتعرض لإقامة قواعد النظام الاقتصادي الاجتماعي الذي يريد الإسلام أن يقوم عليه المجتمع المسلم، وأن تنتظم به حياة الجماعة المسلمة إنه نظام التكافل والتعاون.

ففي هذه الآية يبين المولى ﷻ الآداب التي تحول الصدقة عملاً تهذيبياً لنفس معطيها، وعملاً نافعًا مرتجًى لآخذيها ليكون المجتمع أسرة واحدة يسودها التعاون، والتكامل، والتواد، والتراحم، وترفع البشرية إلى مستوى كريم لكل من المعطي والآخذ، فيقرر المولى ﷻ في هذه الآية أن الكلمة الطيبة في رد السائل، والستر عليه لما علم من قلته وسوء حالته تغسل أحقاد النفوس وتحل محلها الإخاء والصداقة، وذلك أفضل من إعطائه وإيذائه، فالصدقة التي يتبعها أذى لا ضرورة لها؛ لأنها في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء لأنها لا أجر لها، ولأن الصدقة ليست تفضلاً من المانح علي الآخذ إنما هي فرض لله. وفي الآية تنويه أن الله مستغنٍ عن الخلق، فلا ينال من صدقاتهم شيئًا ولا يعجل بالعقوبة لمن خالف.

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾: **فيها معنيان، أحدهما**: وعد للفقراء وتعليق قلوبهم بالله الغني القادر على أن يغنيهم من فضله.

الثاني: وعيد الأغنياء، فالله ﷻ غني عنهم لن ينال شيئاً من صدقاتهم وإنما الحظ الأوفر في الصدقة لهم، ونفعها عائد إليهم لا إليه سبحانه وتعالى، فكيف يمن بصدقته ويؤذي مع غنى الله التام عنها وعن كل ما سواها، ومع هذا فهو حليم إذ لم يعاجل بالعقوبة، وفيه تهديد ألا يغتروا بحلمه، وإمهاله إياهم.

والحكمة أيضاً من ختم الآية باسمه تعالى (الغني) و (الحليم):

أنه مهما كانت نفسية المسئول من السائل، أو مهما كانت نفسية المسئول عند سؤاله فلا ينبغي أن تنعكس على السائل لتوحي بالغضب، أو إشاحة الوجه أو نهره أو إعطائه وإتباع ذلك بإيذائه أو تعييره بذلك السؤال بل يجب أن ترتسم في نفس المسئول صورة الغني عن كل ذلك، وبأنه تعالى كفاه ذل السؤال ووقوفه مكانه، لكنه ﷻ قادر على أن يغنيه من فضله ويوقف به مكانه ويسلبه جاهه وماله إلا أنه سبحانه وتعالى له حكمة في ذلك فيمهل بعقوبته تحقيقًا لحكمه، وليفسح المجال، لمراجعة النفس والوقوف علي حقيقة (الغني) ﷻ، و(الحليم) ﷻ الذي يعطي لعباده الرزق فلا يشكرون، فلا يعاجلهم بالعقاب، ولا يبادرهم بالإيذاء بل يمهلهم، مع أنه تعالى معطيهم كل شيء، ومعطيهم وجودهم قبل أي شيء، فليتعلم عباده من حلمه سبحانه فلا يعجلوا بالأذى أو الغضب على من يسألونهم جزءًا مما أعطاه الله لهم حين لا يروقهم منهم أمر أو لا ينالهم منهم شكر[1].

---

(١) راجع: تفسير آية ٢٦٣ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٥/ ٥٢١

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن بين المولى ﷻ فضل النفقة في سبيل الله، وحث عليها، وبين آداب الصدقة، وقبح المنة ونهى عنها، بين في هذه الآية نوع الصدقة وطريقتها.

الآيـــة:

التيمم: القصد.

الخبيث: الرديء، وهو ضد الطيب.

الإغماض: **التساهل**: يقال أغمض في حقه تساهل فيه، ورضي به.

في الآية: يأمر المولي ﷻ عباده المؤمنين الذين صدقوا بالله ورسوله وآي كتابه - في كل وقت وجيل- أن يذكروا ويتصدقوا من أطيب أموالهم وأنفسها مما كسبت أيديهم، وما أخرجه الله لهم من الأرض من زروع وغير زروع مما يخرج من الأرض. ويشمل المعادن والبترول. أي جميع أنواع المال مما يوجب النص فيه الزكاة، ونهاهم عن أن يقصدوا إلى ما لا خير فيه من الرديء - غير الجيد - من أموالهم في صدقاتهم فيتصدقوا منه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

تفسير ابن عطية ٢/ ٢٣٣، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٣٠٨، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣٠٤-٣٠٨، أسماء الله الحسنى لعبد العظيم فرج ص ١٧٣.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ مؤكد للأمر في قوله تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾: أي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتساهلوا في ذلك. أي لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه، فلا تفعلوا مع الله ما لا ترضونه لأنفسكم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: غني عن صدقاتكم وإنفاقكم، وعن عطاء الناس إطلاقاً فإذا بذلوه، فإنما يبذلونه لأنفسهم فليبذلوه طيباً، وليبذلوه طيبة به نفوسهم كذلك.

وفي الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به، توبيخ لهم على ما يصنعون من إعطاء الخبيث، وإيذان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى، فهو تعالى غني عن ذلك وإنما أمركم بها وفرضها في أموالكم رحمة منه لكم ليغني بها عائلكم، ويقوي بها ضعيفكم، ويجزل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم.

فهو تعالى غني عن جميع خلقه، وجميع خلقه فقراء إليه، وهو واسع العطاء كريم جواد، وسيجزي بالصدقة ويضاعف عليها أضعافاً كثيرة، ويعطيكم نعماً يستحق بها حمدكم، فهو تعالى محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه ويواليهم من أفضاله، أي محمود في جميع أفعاله، وأقواله، وشرعه، وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٦٧ من سورة البقرة في كل من: تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن ٣/ ٨٠-٩٠، البحر المحيط لابن حيان ٢/ ٦٧٥-٦٨١، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١/ ٣١١، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٣١٠.

مناسبة الخاتمة للآية:

١) «في الآية أمر بإنفاق الطيب، ونهي عن إنفاق الخبيث، ومقتضي ذلك أنه تعالى ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ «فغناه وحمده يأبيان قبول الرديء الخبيث، فإن من يقبله إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن يقبله لأن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها. أما الغني الشريف القدر الكامل الأوصاف فإنه لا يقبله. فهو الغني عن أن توجهوا إليه عطاياكم من الخبيث، وهو تعالى الحميد الذي لا يتقبل إلا ما كان كسبًا طيبًا»[١].

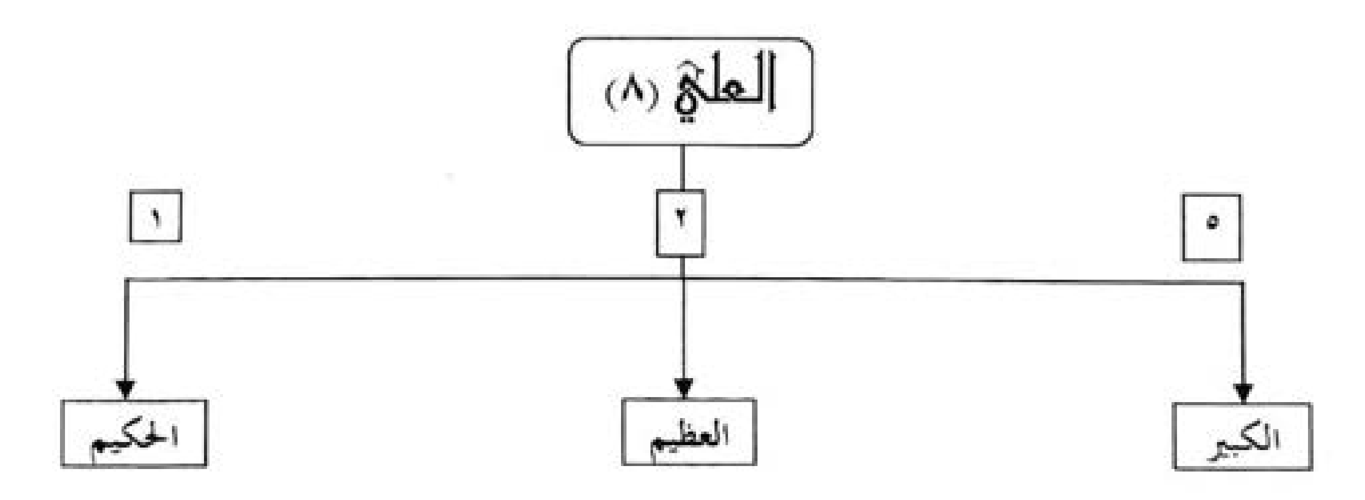
٢) كذلك فإن اقتران هذين الاسمين توكيد لمضمون الآية وبيان مجمل ما وعد الله المنفقين من طيبات ما كسبوا، ووعيد لمن أنفق الخبيث منه.

---

(١) طريق الهجرتين: لابن القيم، ص ٤٨٧ بتصرف.

(العلي) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم ثماني مرات، ولم يرد مفردًا، بل ورد مقترنًا باسم غيره فقد ورد مقترنًا باسمه تعالى (الكبير) خمس مرات، وباسمه تعالى (العظيم) مرتين، وباسمه تعالى (الحكيم) مرة واحدة ولم يأت فاصلة، وورد مرة واحدة وصفًا للقرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1].



التعريف اللغوي:

العلو ضد السفل، والعلو الارتفاع، وعلو كل شيء أرفعه على الشيء فهو علي من باب سما، العلاء والعلا: الرفعة والشرف، العلاوة من كل شيء ما زاد عليه، تعالى: ترفع.

العلي: الرفيع القدر، علا النهار: ارتفع، العلي: أعلى مكان وأعلي درجة،

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٨٢.

العلي: الشريف وهو بمعني العالي الذي ليس فوقه شيء، علاه: غلبه، **استعلي علي الناس**: غلبهم وقهرهم.

علا فلان في الأرض: تكبر وتجبر، ومنه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

و(العلي) من أسمائه تعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

فمعناه يعلو أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العالمين وعلي ذلك يقال ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]. أي أعلى أن يقاس به أو يعتبر بغيره[١].

من ذلك نجد أن العلو يأتي بمعنى: الرفعة والشرف والتكبر والغلبة والقهر وعلو المكان.

العلي: اصطلاحًا:

هو العلى الأعلى فوق خلقه، ولا يعلو إلى مقامه الرفيع أحد، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء. قال ﷻ:

﴿كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١].

وقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ

---

(١) راجع: لسان العرب ١٥/ ٨٣-٩٥، المعجم الوجيز ٤٣٢- مختار الصحاح ١٩٠- معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٥٨.

﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

وكل معاني العلو ثابتة لله ﷻ من كل وجه فله سبحانه علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات والفوقية على المخلوقات.

فالعلو ومباينه الخلق يعلم بالعقل الموافق للسمع والآيات في ذلك كثيرة قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨].

وقال عن ملائكته:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠].

وقال تعالى:

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]. والعروج هو: الصعود والارتفاع.

وقال تعالى:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ [فاطر:١٠].

وقال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

وقال - تعالى - عن الكتاب:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١].

وروى البخاري عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها كانت تفخر علي أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول: زوجكن أهلوكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، حديث ٧٤٢٠ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٣/ ٤١٥.

ويتضح من هذه الآيات، وغيرها كثير أن المولى ﷻ هو العلي الأعلى وأنه فوق كل شيء لذا فإنه يفهم من قوله تعالى:

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦].

أنه في العلو وأنه فوق كل شيء وقد جاء نحو ذلك في القرآن كما في قوله تعالى حكاية عن فرعون للسحرة عندما آمنوا:

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١]. أي على جذوع النخل.

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:٤٢].

أي على الأرض، كذلك إقرار النبي ﷺ عندما سأل الجارية أين الله فقالت: في السماء[١].

فقولها «في السماء» إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها.

وإذا قيل العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها، وما فوقها هو في السماء[٢]، ولا يقتضي هذا أن يكون ثمة ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله، وإذا قدر أن السماء المراد بها الأفلاك كان المراد أنه

---

(١) عن معاوية بن الحكم السلمي قال كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكن صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال «إئتني بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «اعتقها فإنها مؤمنة». صحيح مسلم بشرح النووي كتاب المساجد ومواضع الصلاة- باب تحريم الكلام في الصلاة حديث ٥٣٧، ١/ ٣٨١.

(٢) في مختار الصحاح ص ١٣٣، السماء: هي كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء.

عليها، والتصريح أنه تعالى في السماء - وهذا عند المفسرين من أهل السنة - على وجهين: إما أن يكون (في) بمعنى (على)، وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

وله تعالى فوقية القدر، وهو علو صفاته وعظمتها فلا يماثله صفة مخلوقة بل لا يقدر الخلائق كلهم علي أن يحيطوا ببعض معاني صفة واحدة من صفاته قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

أي لا يحيطون به علمًا، ولا رؤية، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة بل هو سبحانه محيط بكل شيء لا يحيط به شيء.

وله سبحانه فوقية القهر فإنه الواحد القهار الذي قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم فنواصيهم بيده وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، ومالم يشأ لم يكن، فلو اجتمع الخلق على إيجاد مالم يشأه الله لم يقدروا، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه، وذلك لكمال اقتداره ونفوذ مشيئته. فلله تعالى فوقية الذات، وفوقية القدر، وفوقية القهر، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص، وعلوه تعالى مطلق من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وتبارك الله في ملكه، وتعالى على عرشه خضعت الجن والإنس لجبروته وسبح كل شيء بحمده[١].

---

(١) راجع التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ص ٨٠-٩٨ لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ)، شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاه محمد بن أبي العز الحنفي، ص ٢٢٠-٢٣٠.

حظ العبد من اسمه تعالى (العلي):

من حق من عرف عظمته أن يذل لخالقه ويتواضع بين خلقه، فيعلو الإنسان ما يعلو، ويعظم الإنسان ما يعظم فلا يجاوز مقام العبودية لله العلي العظيم، وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان فإنها تثوب به إلى مقام العبودية وتحد من طغيانه وكبريائه وترده إلي مخافة الله ومهابته وإلي الشعور بجلاله وعظمته، وإلي الأدب في حقه، والتحرج من الاستكبار على عباده، فهي اعتقاد وتصور وهي كذلك عمل وسلوك، لذلك فمن سفه النفس والإلحاد في أسماء الله أن نطلب الحاجات من غيره تعالى أو نفزع في الملمات لسواه، لأن من لوازم علوه تعالى أنه ينفرد - سبحانه - بتدبير الأمر فلا يملك غيره من الأمر شيئًا، ولا يقدر سواه على نفع أو ضر.

قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨].

والعلي من الخلق هو من علا قدره على أقرانه، وارتفعت همته في طلب المعاني، وحاز كل رتبة عليه وذلك يكون بالعلم والقدرة والإخلاص في العمل وكل من كان أزيد من غيره في ذلك كان أعلى منه، ويجب على العبد ألا يتصور أنه علي مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود من هو فوقها، وقد بين ﷺ سبيل السعادة الباقية، فقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣][1].

---

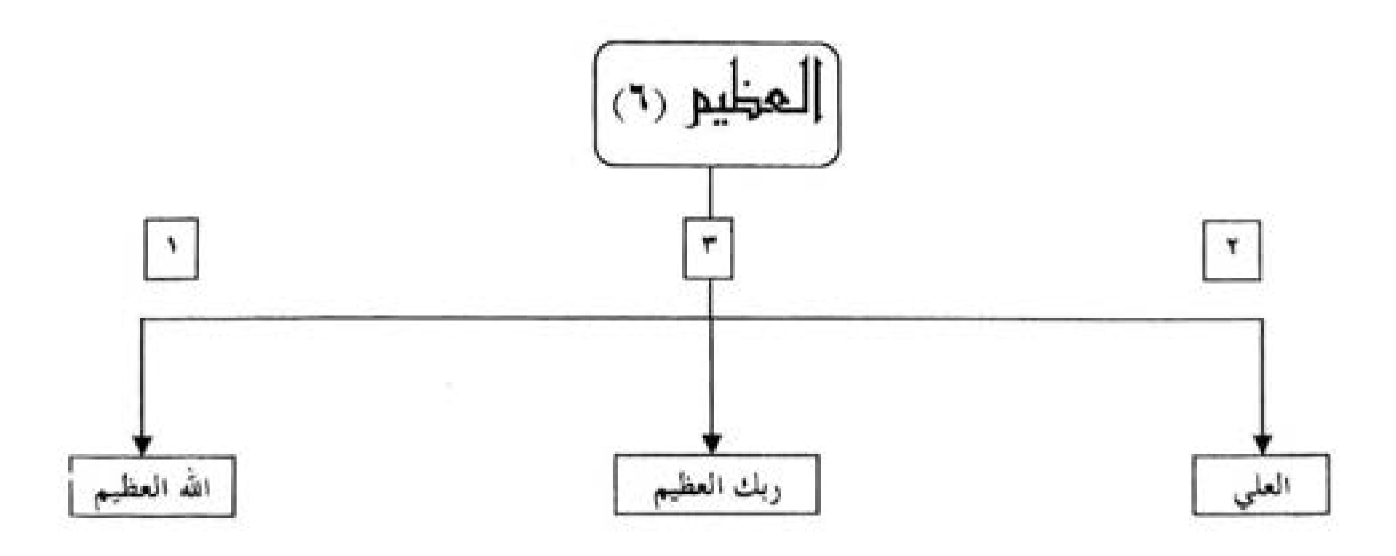
(١) راجع: أسماء الله الحسنى للقشيري ص ٢٥٤ لوامع البينات للرازي ص ٢٥٣، في ظلال القرآن

(العظيم) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد به نص القرآن الكريم في ختام الآيات ست عشرة مرة كلها فاصلة، ورد فيها سبع آيات في وصف فضل المولى ﷻ ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

وورد ثلاث مرات في وصف عرش رب العالمين ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٦].

وورد في ست آيات أسماً للمولي ﷻ، ورد مرتين مقرنًا باسمه تعالى العلي ﴿ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وثلاث مرات ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤-٩٦]. ومرة واحدة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٣]. ولم يأت مفردًا [(١)].



لسيد قطب ص ٢٩٠، أسماء الله الحسني لأبي الوفاء ص ٣٣.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦٦.

عظيم: لغة:

عظم الشيء: أصله كبر عظمه ثم استعير لكل كبير فأجري مجراه محسوساً كان أو معقولاً.

قال تعالى: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس:١٥].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ [ص:٦٧].

ويقال جيش عظيم ومال عظيم وذلك في معنى كثير.

وعظم الأمر عظمه تعظيماً: أي فخمه وكبره والتعظيم: التبجيل، استعظمه: عده عظيمًا، العظمة: الكبرياء.

و(العظيم) من صفات الله ﷻ، ويسبح العبد ربه فيقول: سبحان ربي العظيم، والعظيم، الذي جاوز قدره وجل عن حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه[1] وحقيقته[2].

وفي القرآن الكريم جاءت كلمة (عظيم) وصفًا لأشياء معنوية وأخرى حسية وأخرى عينًا ومعنى.

١) في الوصف المعنوي:

جاءت وصفًا ليوم القيامة في قوله تعالى:

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين:٤-٥].

وعظم ذلك اليوم تتمثل في شدة ما يقع فيه من الأهوال والعظائم.

---

(١) كنه الشيء: نهايته، مختار الصحاح ٢٤٢.

(٢) راجع: لسان العرب ٤/ ٣٠٠٤ - مختار الصحاح ١٨٥ - المعجم الوجيز ٤٢٤، معجم مفردات ألفاظ القرآن ٣٥١.

وصفاً للنبأ:

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ:١-٢].

وعظم النبأ في روعته وغرابته لمن لم يكن يتوقعه.

وصفًا للفوز:

في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

وعظم الفوز في كثرة ما يلقي المؤمنون من ألوان النعيم وقرة العين ما لا تتصوره عقولهم ولا يخطر علي قلوبهم.

ووصف به الظلم:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وعظمة الظلم في قبحه، وشره، وإسراف مقترفه في إهدار حرمة الحق وكرامة العدل.

ووصف به البهتان:

في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٥٦].

وعظم البهتان في شناعة ما طعنوا به العذراء الطاهرة.

ووصف به العذاب:

في قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:٧].

وعظمة العذاب في فرط إيلامه وشدة إهانة الكافرين، وإمعانه في إلحاق الخزي البالغ بهم.

٢) وجاءت كلمة عظيم وصفًا حسيًا منه:

وصف الجبل في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣].

وعظم الطود في شموخه ورسوخه وضخامته وكبر حجمه.

ووصف به عرش ملكة سبأ:

في قوله تعالى على لسان الهدهد: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣].

وعظم هذا العرش تتمثل في نفاسته، وضخامته، وإتقان صنعه، وبديع نقشه.

ووصف به الذبح:

في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧].

٣) وجاء عينا ومعني:

فوصف به الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:٣١].

وعظمة الإنسان في غناه وعلمه وجاهه ونفوذه وقوته وخضوع العامة له وإئمارهم بأمره ونزولهم على حكمه.

ووصف به القرآن الكريم:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧].

وعظمة القرآن في إعجازه وسمو عباراته وروعة أسلوبه وإخباره بالغيوب الماضية والمستقبلية وما فيه من تشريع حكيم ودين قويم.. وغيره.

ووصف المولي ﷻ به نفسه:

فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٣].

فما معني عظيم في حق المولي ﷻ؟

العظيم: في حق المولى ﷻ:

هو الذي جاوز قدره كل قدر فلا شيء أعظم منه سبحانه، جل وعلا سبحانه

عن حدود العقول فقصرت عن إدراك كنهه، وعجزت عن الإحاطة بحقائق صفاته، ولا تقف على أسرار أفعاله، سبحانه ليس كمثله شيء.

والمولى ﷻ عظيم في ذاته، عظيم في صفاته، عظيم في أفعاله.

عظيم في ذاته:

لتنزهه عن مشابهة المخلوقات وعجز العقول عن الإحاطة بحقيقة ذاته وقصرت الأفهام عن الدنو من قدسيته، قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

عظيم في صفاته:

موصوف بكل صفة كمال فله تعالى العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء والعظمة؛ فهو تعالى واهب الصفات لكل موصوف، ولا يعلم أمر حقيقة صفاته.

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧].

عظيم في أفعاله:

خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، وخلق الإنسان وخلق الموت والحياة، ولا يدري أغزر الناس علمًا بالجسم البشري وتشريحه وتكوين وظائفه وأعضائه كيف تدب الحياة في الأجسام فتمنحها القوى والمشاعر وكيف تفارقها فتعود جمادًا وأمواتًا لا أثر فيها لحس ولا حركة ولا شعور. قال تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

وقال ﷻ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[لقمان:١١].

وللرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمات من جوامع الكلم وبوالغ الحكم تقرب إلى الأذهان بعض نواحي العظمة الإلهية قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فيما روى عن الله تعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي: كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي: كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني...»[١].

إن عظمة المولى ﷻ أمر لا يمكن للعقول أن تتصوره فضلاً عن أن تبلغ كنهه، فهي أمر يضيق نطاق التعبير عن بيانه، ويكل اللسان عن وصفه، ويعجز العقل عن التفكير فيه، فإله تفرد بالملك والملكوت، والحياة التي لا بداية لها ولا نهاية، والقيام بالذات والغنى عن كل كائن في الوجود، لا صاحبة له ولا ولد ولا شريك في الملك، ولا ولي من الذل، لا يكون إلا ما أراد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، مشيئته نافذة في الوجود كله، له الخلق والأمر أحاط بكل شيء علماً ووسع كل شيء رحمة[٢].

حظ العبد من اسمه تعالى (العظيم)

ومن حق من عرف أن ربه ﷻ (عظيم) أن يبذل الجهد في معرفته، ومحبته،

---

(١) سبق تخريجه في شرح اسمه تعالى (الغني).

(٢) راجع: المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي ص ١٠٤، الأسماء الحسنى للشيخ أبي الوفاء ص ٣٢٦-٣٣٦.

والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، وتعظيمه، ومن مظاهر ذلك:

أن يتقيه حق تقاته فيطاع ولا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان، وأعمال السير على نهجه وهديه، **قال تعالى:**

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢].

وقال تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج:٣٠].

ومن تعظيمه تعالى أيضًا ألا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه.

ولو قدر الناس عظمة خالقهم ما صرفوا وجوههم إلى غيره، ولم يلتمسوا شيئًا من أحد سواه، ولم يطلبوا العون من الضعفاء العاجزين، ولا الرزق من الفقراء المعوزين، ولا الشفاء من الموتى المقبورين، فسبحانه وتعالى جل شأنه[1].

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

تسمى هذه الآية آية الكرسي لذكره فيها، وهي أعظم آيات القرآن وكثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته، صباحًا

---

(١) راجع الأسماء الحسنى لأبي الوفاء درويش ص ٣٣٦، الأسماء الحسنى للقحطاني ص ٧٥.

ومساءا، وعند نومه، وأدبار الصلوات المكتوبات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فآتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقص الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لم يزل معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»[(١)]. والأحاديث في ذلك كثيرة[(٢)].

وفضلت هذا التفضيل لما اشتملت عليه من توحيد الله، وتعظيمه، وذكر صفاته العلا، ولا مذكور أعظم من الله ﷻ فذكره تعالى أفضل من كل ذكر، كما كررت فيها الأسماء الشريفة ظاهرة ومضمرة ثماني عشرة مرة، ولم يتضمن هذا المجموع آية غيرها في كتاب الله ﷻ.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر أنه فضل بعض الرسل على بعض وذكر بعض أمارات التفضيل ومظاهره، ثم أشار إلى اختلاف الذين جاءوا من بعدهم من الأجيال المتعاقبة، وإلى اقتتالهم بسبب هذا الاختلاف، وأن بعضهم آمن وبعضهم كفر، وأن الله قدر أن يقع بينهم القتال لدفع الكفر بالإيمان. وبعد ذلك يعقب المولى ﷻ على ذكر الاختلاف و الاقتتال بنداء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ودعوتهم إلى الإنفاق للجهاد لدفع الكفر ودفع الظلم المتمثل في هذا الكفر، فالإنفاق عصب الجهاد.

ثم تجيء هذه الآية العظيمة تتضمن قواعد التصور الإيماني، وتذكر من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، حديث ٥٠١٠٨، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٦٧٢.

(٢) انظر تفسير ابن كثير – تفسير آية ٢٥٥ من سورة البقرة ١/ ٣٠٨.

صفات الله سبحانه ما يقرر معنى الوحدانية في أدق مجالاته وأوضح سماته، وكل صفة من هذه الصفات التي تضمنتها هذه الآية تمثل قاعدة يقوم عليها التصور الإسلامي الناصع كما يقوم عليها المنهج الإسلامي الواضح، وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة:

١- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هذه الوحدانية الحاسمة الناصعة هي القاعدة التي يقوم عليها التصور الإسلامي، وهي إخبار بأنه تعالى المنفرد بالألوهية لجميع الخلائق فلا معبود بحق سواه، ويكون هو وحده المشرع للعباد، ويجيء تشريع البشر مستمدًّا من شريعة الله.

٢- ﴿ٱلْحَيُّ﴾: الحي في نفسه الذي لا سبيل عليه للموت والفناء، فهي حياة أزلية أبدية لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية، ومتجردة عن معنى الزمان المصاحب لحياة الخلائق المكتسبة المحددة البدء والنهاية.

٣- ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾: تعني قيامه سبحانه على كل موجود بالرزق والحفظ والتدبير والتصريف من حال إلى حال، كما تعني قيام كل موجود به فلا قيام لشيء إلا مرتكنًا إلى وجوده وتدبيره، فكل شيء في الوجود قائم على إرادة الله وتدبيره، مفتقرة إليه، وهو تعالى غني عنها، ومن تمام حياته وقيوميته أنه تعالى:

٤- ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: فلا تغلبه سنة وهي الوسن والنعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ لأنه أقوى من السنة فلا يعتريه نقص، ولا غفلة، ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية، وهذا توكيد لقيامه سبحانه على كل شيء، وقيام كل شيء به في صورة تعبيرية تقرب للإدراك البشري صورة القيام الدائم؛ فالنوم شاغل المدبر

عن التدبير، والنعاس مانع المقدر عن التقدير في الوقت الذي تعبر فيه هذه الصورة عن الحقيقة الواقعة من مخالفته سبحانه كل شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

٥- ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الملكية الشاملة المطلقة التي لا يرد عليها قيد ولا شرط، فالجميع عبيده وفي ملكه، وتحت قهره وسلطانه.

وهي كقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣: ٩٥].

وهي توضح أنه لم يكن للناس ملكية ابتداء لشيء، إنما كان لهم استخلاف من المالك الواحد الأصلي الذي يملك كل شيء، ومن ثم يجب أن يخضعوا في خلافتهم لشروط المالك المستخلف في هذه الملكية، وقد بينها سبحانه في شريعته فليس لهم أن يخرجوا عنها.

٦- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد، وهو إيحاء بالجلال والرهبة في ظل الألوهية الجليلة العلية، يزيد هذا الإيحاء عمقًا صيغة الاستفهام الاستنكارية التي توحي بأن هذا أمر لا يكون، فالعبيد جميعًا يقفون في مقام العبد الخاشع الخاضع الذي لا يقوم بين يدي ربه ولا يجرؤ على الشفاعة عنده إلا بعد أن يأذن له فيخضع للإذن ويشفع في حدوده، ويقف عند الحد الذي لا يتجاوزه عبد، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه منهم أن يشفع فيه.

٧- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا

شَآءَ﴾:

دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها، وإنه لا يطلع أحد على شيء من علم الله إلا بما أعلمه الله ﷻ وأطلعه عليه، وهذه حقيقة بطرفيها تساهم في تعريف المسلم بإلهه، وفي تحديد مقامه هو من إلهه.

شطر الحقيقة الأولى: علم الله الشامل مما مضى ومما هو آت، ومما لا يعلمه أحد، وشعور النفس بهذا خليق بأن يسكب في القلب الاستسلام لمن يعرف كل شيء ولا تخفى عليه خافية.

وشطر الحقيقة الثاني: الناس لا يعلمون إلا ما شاء الله لهم أن يعلموا فالمولى ﷻ وهب الإنسان المعرفة منذ أراد إسناد الخلافة في الأرض إليه، ووعده بأن يريه آياته في الآفاق وفي الأنفس، قال تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣].

لكنهم ينسون هذه الحقيقة ويفرحون بما أذن الله لهم فيه من علمه.

٨- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: اختلف في تأويل الكرسي بين علمه، وموضع القدمين، والعرش إلى آراء أحدهما: «علمه و ذلك لدلالة قوله تعالى» ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ فأخبر أنه لا يؤوده حفظ ما علم وأحاط به مما في السماوات والأرض، وكما أخبر عنه ملائكته أنهم قالوا في دعائهم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

فأخبر الله تعالى أن علمه وسع كل شيء كذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وأصل الكرسي: العلم، ومنه قيل للصحيفة التي يكون فيها

علم مكتوب كراسة، ومنه قيل للعلماء الكراسي لأنهم المعتمد عليهم، كما يقال أوتاد الأرض، والعرب تسمى أصل كل شيء الكرسي[1].

والثاني (موضع القدمين) ودلل على ذلك بكمال عظمته، وسعة سلطانه، فإذا كانت هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة ما فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى بل العرش أعظم منه، وهناك أيضًا ما لا يعلم عظمته إلا المولى ﷻ، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها.

وأرجح الرأي الأول وهو أن الكرسي بمعنى العلم لدلالة كلمة (وسع) على ذلك حيث إنها جاءت في القرآن الكريم لتدل على سعة المغفرة وسعة الرحمة وسعة العلم فتكون هنا بمعنى سعة العلم[2].

٩- ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾: لا يثقله ولا يشق عليه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه.

١٠- ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾: الأعلى فوق خلقه، لا يعلو لمكانه الرفيع أحد، وكل معاني العلو ثابتة له تعالى من كل وجه فله تعالى علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات والفوقية على المخلوقات.

العظيم: الذي جاوز قدره كل قدر فلا شيء أعظم منه سبحانه جل وعلا، عظيم في ذاته لتنزهه عن مشابهة المخلوقات، وعجز العقول عن الإحاطة بحقيقة صفاته، ولا تقف على أسرار أفعاله.

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ١٣ وهو رأي ابن جرير الطبري.

(٢) انظر مبحث اسمه تعالى (واسع).

عظيم في صفاته: فله تعالى العلم المحيط والقدرة النافذة والغنى التام....
عظيم في أفعاله: خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فيهما.....

مناسبة الخاتمة للآية:

هذه الآية ناطقة بأنه تعالى موجود منفرد بالوحدانية والحياة التي لا أول لها ولا نهاية، والقدرة التي لا تلحقها أي شائبة من شوائب العجز، واستحالة كونه محلاً للحوادث، وتشير إلى الملك الواسع الشامل لما في السماوات والأرض، وامتناع الشفاعة عنده إلا بإذنه، والعلم المحيط به شيء في الماضي والحاضر والمستقبل، وعجز الخلق من الإحاطة بشيء من علمه إلا بإرادته وكامل قدرته فهو تعالى كل شيء في قبضته، متعاليا عن كل عجز، تام العلم والكبرياء.

وهذه هي صفات العلو والعظمة لذا جاءت الخاتمة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ لتكون اختصارًا جليلا لجميع معانيها التي هي تعداد لمظاهر علوه وعظمته ﷻ، أو تكون الآية هي شرحًا لمعنى اسمه تعالى (العلي، والعظيم) حتى إذا تدبرنا هذه الآية حق تدبرها لا يسعنا إلا أن نهتف من أعماق قلوبنا سبحان الله العلي العظيم.

كذلك جاء الضمير والتعريف بـ(الـ) في اسمه تعالى (العلي) و(العظيم) ليقصر العلو والعظمة عليه سبحانه وتعالى؛ فهو المتفرد بالعلو والمتفرد بالعظمة.

وختمت الآية بما بدأت به غير أن بدأها بالعظمة كان باسم الله[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٥٥ من سورة البقرة في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٣/ ٦-١٥، البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٦٠٦، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٩٦، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٨٢.

نظرة عامة على الآيات :

١- بملاحظة الآيات التي ذكر فيها اسم (الواسع) في القرآن الكريم نجد أنه لم يأت مفردًا، وجاء مقترنًا باسم العليم سبع مرات، والحكيم مرة واحدة، وجاءت الصفة مع المغفرة، والرحمة، والعلم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الرعد:٦]. يغفر لمن يشاء

وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه:٩٨]. فلا يقع شيء في ملكه إلا بعلمه.

وقال تعالى: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]. واسع الرحمة والعطاء والفضل والعلم أو واسع الرحمة والعطاء والفضل بعلمه الذي وسع كل شيء.

٢- جاء اسم (الغني) مقترنًا مع اسم (الحميد) في خواتم عشر آيات، وهي أكثر مرات ورود هذا الاسم؛ فهو تعالى الغني شريف القدر عالي المنزلة يستحق كل الثناء والمحبة، وجاء هذان الاسمان بمعنى الوعد والوعيد.

٣- لم يأت اسم (العلي) مفردًا، كذلك اسم (العظيم)، واقترنا معا في آيتين: آية في ختم آية الكرسي في سورة البقرة، والأخرى في سورة الشورى، فهو تعالى العلي الأعلى الذي لا يعلو لمكانه الرفيع أحد، الذي جاوز قدره كل قدر، فلا شيء أعظم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الفصل الثاني

أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة النساء

تمهيد

«سورة النساء سورة مدنية، وهي أطول سورة مدنية بعد سورة البقرة، وسميت بسورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهن بدرجة لم توجد في غيرها من السور، ولذا أطلق عليها سورة النساء الكبرى تمييزًا لها عن سورة النساء الصغرى، وهي سورة الطلاق[1]».

«عدد آياتها مائة وخمس وسبعون في عد الكوفي، وست في عد البصري، وسبع في عد الشامي[2]».

وكلماتها (٣٧٤٥) ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون.

وحروفها (١٦٠٣٠) ستة عشر ألفًا وثلاثون حرفا.

مجموع فواصلها الآيات: (م ل ا ن) يجمعها قولنا مُلنا)، فعلى اللام آية واحدة

---

(١) إعجاز البيان في سور القرآن محمد علي الصابوني – دار الفتح الإسلامي بالإسكندرية – الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص١٦.

(٢) وذكر السيوطي في كتابه الإتقان سبب اختلاف السلف في عد الآي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقف على رءوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة ١/ ١٨٩.

﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ [النساء:٤٤]. وعلى النون آية واحدة ﴿مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤] وخمس آيات منها على الميم المضمومة وسائر الآيات على الألف[١]».

وسورة النساء تستغرق اثني عشر ربعًا، أي جزءًا ونصف الجزء.

فضل سورة النساء:

عن أبي موسى الاشعري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة[٢]، طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها حلو، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثل الحنظة طعمها مر، ولا ريح لها»[٣].

هذا في فضل قراءة القرآن، وسورة النساء من القرآن، أما الأحاديث التي رويت في فضل سورة النساء خاصة فلم يثبت صحتها.

هدف السورة:

سورة النساء سورة مدنية عظيمة الشأن تتضمن كل الموضوعات التي جاء بها القرآن المدني، بالإضافة إلى هدف تطلعت إليه السورة من أولها إلى آخرها هذا الهدف هو: استقرار الأمن للدولة مع وضع الأسس الثابتة، والدعائم الصحيحة له ومحو ملامح المجتمع الجاهلي.

---

(١) الفيروز أبادي بصيرة في يا أيها الناس (سورة النساء) ١/ ١٦٩.

(٢) الأترجة: فاكهة تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة بالإضافة إلى مزايا أخرى لكبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها –فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٦٨٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب فضل القرآن على سائر الكلام – حديث (٥٠٢٠) فتح الباري – بشرح صحيح البخاري ٨/ ٦٨٣-٦٨٤.

وهذا الاستقرار لا بد له من محورين يحققانه:

أولهما: الاستقرار الداخلي للأسرة والمجتمع.

والثاني: الاستقرار الخارجي للأمة كلها.

منهج السورة:

وفي سبيل تحقيق هدف السورة كان لها في ذلك منهج ينقسم أيضًا إلى قسمين: قسم خاص بالاستقرار الداخلي وهو الأسرة، وقسم خاص بالاستقرار الخارجي وهو علاقة الأمة المسلمة بغيرها داخليًا وخارجيًا.

أولاً: في سبيل الاستقرار الداخلي:

اهتمت السورة بجانب التشريع، وكما هو الحال في السور المدنية، تحدثت السورة في أمور تشريعية هامة تتعلق بالمرأة، والبيت، والأسرة، والمجتمع فتحدثت عن: خلق آدم وحواء، الأمر بصلة الرحم، الوصية بالنساء واليتامى، والنهي عن أكل مال اليتيم، وتحدثت عن المال والميراث، وتعدد الزوجات، والتضامن الاجتماعي، والمحرمات من النساء والحكمة في هذا التحريم، مصادر التشريع الإسلامي، وقوامة الرجل على المرأة، وتنظيم الحياة الزوجية، وكيفية علاج الخلافات بها - وأداء الأمانات إلى أهلها - والحكم بما أنزل الله وطاعة الله والرسول وأولي الأمر.

ثانيًا: القسم الخاص بالاستقرار الخارجي:

كان منهج السورة في ذلك أن تحدثت في القتال وأسباب النصر، وتقوية الروح المعنوية للأمة، وإعداد القوة المادية وتنظيمها، والشر على النعم، والصبر على البأساء ثقة والتزاما مع اليوم غدًا، وبأن الأيام دول، الشجاعة لا تنقص

العمر والجبن لا يزيده، التحذير من أهل النفاق و أخذ الحيطة والحذر والابتعاد عن اتخاذ بطانة من المنافقين، وموقف اليهود من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن القرآن الكريم، ومن كتبهم، وادعاءاتهم الباطلة بالنسبة لأنفسهم وللكافرين، وتذكر فضل الجهاد في سبيل الله وثواب البذل، وتوبيخ القاعدين عن الجهاد في سبيل الله، وبيان الصلاة في الحرب وفي السفر، ووحدة الرسالات السماوية وضرورة إرسال الرسل - وشهادة الله سبحانه وتعالى والملائكة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبشرية عيسى، ثم دعوة أهل الكتاب إلى الرجوع إلى العقيدة السمحة الصافية[1].

والسورة انتهت خاتمة الآيات فيها بثلاثة وعشرين اسمًا جاءت كلها مناسبة تمامًا لموضوع السورة، وأول آية فيه ختمت باسمه تعالى (الرقيب) وآخر آية ختمت باسمه تعالى (العليم)، فالسورة كلها تقع في إطار رقابته وإحاطته ﷻ وعلمه الشامل بما ينفع المسلمين من أهداف بتحقيقها يصلون إلى ما يرجون من حياة مستقرة هادئة آمنة.

---

(١) راجع: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن د. عبدالله شحاتة ص٧٣، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم د. محمد محمود حجازي - دار الكتب الحديثة بعابدين - مطبعة المدني ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م. الطبعة الأولى ص٤٢،٤٣.

المبحث الأول

أسماء تدل على تدبيره تعالى لشئون خلقه

الآيات التي بها اسم:

(الرقيب - الحسيب - الوكيل - المقيت)

١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

٢- ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

٣- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١].

٤- ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً

يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥].

٥- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

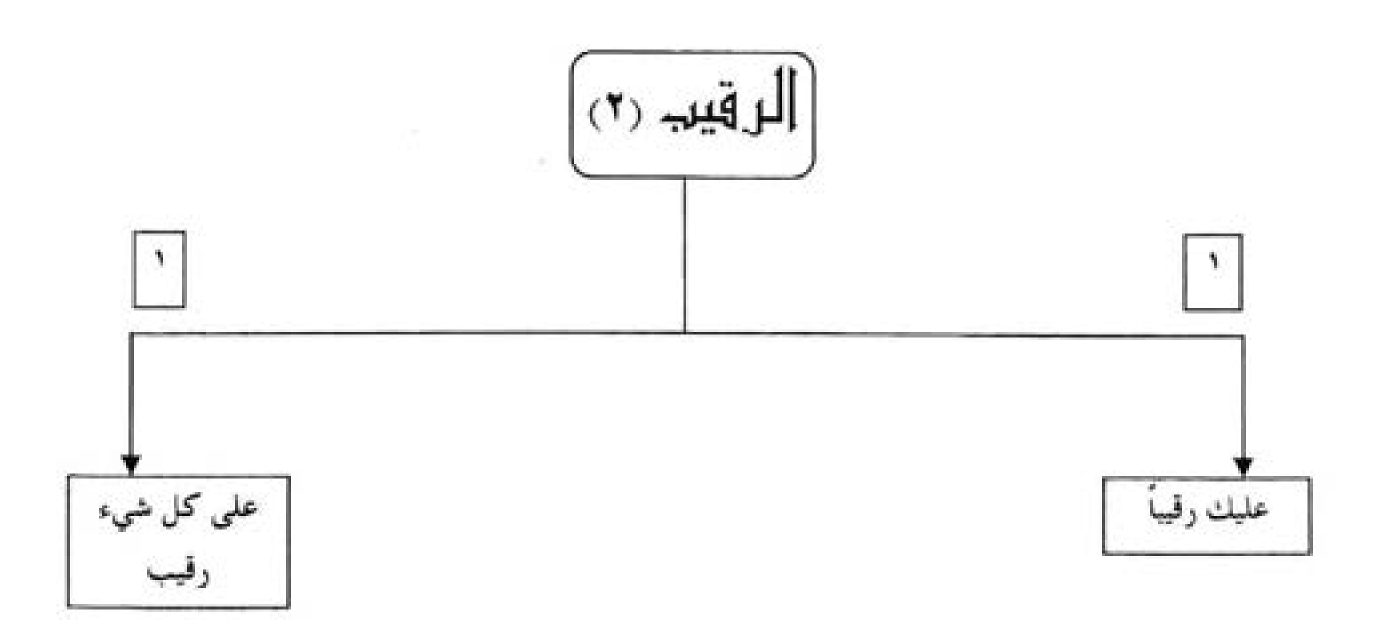
٦- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٣٢].

٧- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٧١].

(القريب) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى، ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس، وورد في القرآن الكريم في ثلاث آيات، منها مرتان في خاتمة الآيات وجاء مفردًا ومقيدًا، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١]،وقال تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب:٥٢][١].



والرقيب ممكن أن يطلق على غير المولى ﷻ قال تعالى عن الملائكة إن الإنسان ﴿لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق:١٨]. أي حفيظ يشهد ويكتب أعماله وأقواله، والرقيب من البشر: هو الحارس الحافظ الموكل بأمر الجماعة الضابط لحركاتهم، الراصد لأفعالهم.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٣٢.

الرقيب لغة:

الحافظ والمنتصر، والرقيب: الانتظار، وراقبه أي حرسه ولحظه، والرقيب: الحارس والحافظ من يراجع الكتب والصحف قبل نشرها ليحذف منها ما يخالف الآداب والسياسة العامة للدولة، ورقيب الجيش طليعتهم، **ورقيب الرجل**: خلفه من ولده أو عشيرته.

والرقيب من أسمائه تعالى، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء [(١)].

الرقيب: اصطلاحًا:

الرقيب بمعنى الحافظ من صفات ذاته الراجعة إلى العلم، والسمع، والبصر فإن الله رقيب على الأشياء بعلمه المقدس عن مباشرة النسيان، ورقيب للمبصرات ببصره الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ورقيب بسمعه المدرك لكل حركة وكلام، يرى أحوال عباده، ويسمع أقوالهم، ويحصي أعمالهم، لا يخفى عليه السر والنجوى، ولا يغفل عن شيء في ملكه، ولا يغيب شيء عن علمه وسمعه وبصره سبحانه، المراعي لأحوال العباد، الحافظ لهم جملة وتفصيلاً، المحيط بمكنونات سرائرهم، ولا يغيب عنه شيء من أمرهم صغر أو كبر، ولا يغفل عن خلقه طرفة عين.

حظ العبد من اسمه تعالى (الرقيب):

إذا تيقن العبد أن الله مراقب لأفعاله، مطلع على ضمائره، مبصر لأحواله، سامع لأقواله، انتهى عن كل عمل سيء وتأدب بكل عمل حسن، واستحضر في قلبه الخشية منه تعالى واستحيا مما هو عليه من فتور الهمة، وتقصير في الواجب، وركون إلى الدنيا وميل إلى الشهوات الفانية، واستشعر الخوف منه جل جلاله

---

(١) راجع لسان العرب ٣/ ١٦٩٩، معجم مفردات ألفاظ القرآن ٢٠٦، مختار الصحاح ١٠٦ - المعجم الوجيز ٢٧٣.

وراقبه في جميع أحواله وأفعاله الظاهرة، والباطنة، وشغل نفسه بإصلاحها وتقويمها وتزيينها والترقي بها حتى يصل إلى أعلى مراتب الإيمان وهي الإحسان أن نعبد الله كأننا نراه، ففي الحديث عندما سئل رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال عن الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[(١)(٢)].

الآيات التي ختمت باسمه تعالى (الرقيب):

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

مناسبة السورة لما قبلها:

«أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولى الألباب، ونبه تعالى بقول: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران:١٩٥]. على المجازاة، وأخبر أن بعضهم من بعض في أصل التوالد، نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل، وتفرع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف

---

(١) هذا الجزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان والإسلام والإحسان حديث ٣٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ١٤٠.

(٢) راجع الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للإمام أبي عبدالله القرطبي ضبطه محمد حسن جبل وخرج أحاديثه طارق أحمد محمود وأشرف علي مجدي فتحي السيد – دار الصحابة للتراث بطنطا – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ١/ ٤٠١-٤٠٧، مدارج السالكين لشخ الإسلام أبن تيميه ٢/ ٦٧-٧٠، أسماء الله الحسنى محمد بكر إسماعيل ١٧٠.

وعدم الاختلاف، ولينبه بذلك على أن أصل الجنس الإنساني كان عابدًا لله مفرده بالتوحيد والتقوى طائعًا له، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه.

فنادي تعالى دعاء عامًّا للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر»[1].

«وجعل تعالى هذا المطلع مطلقًا لسورتين في القرآن: إحداهما: هذه السورة وهي السورة الرابعة من النصف الأول من القرآن، والثانية: سورة الحج وهي أيضًا السورة الرابعة من النصف الثاني من القرآن، وعلل هنا الأمر بالتقوى بما يدل على معرفة المبدأ، وهناك بما يدل على معرفة المعاد، ثم قدم السورة الدالة على المبدأ على السورة الدالة على المعاد»[2].

الآيـــة :

تقرر الآية وحدة البشرية فهي ترد الناس إلى رب واحد، وخالق واحد، كما تردهم إلى أصل واحد، وأسرة واحدة، وتجعل وحدة الإنسانية هي النفس، ووحدة المجتمع هي الأسرة، وتخاطب الناس بصفتهم هذه لردهم جميعًا إلى ربهم الذي خلقهم وليستقيم أمرهم، فيقول تعالى آمرًا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهًا لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخلق منها حواء عليها السلام و ذرأ منهما رجالاً كثيرًا ونساء، ونشرهم في أقطار الأرض على اختلاف أصنافهم وصفاتهم، وألوانهم ولغاتهم ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر.

ولو تذكر الناس هذه الحقيقة، لتضاءلت في حسهم كل الفروق الطارئة التي نشأت في حياتهم متأخرة ففرقت بين أبناء «النفس» الواحدة، ولكانت كفيلاً باستبعاد الصراع العنصري، والاستعباد الطبقي، ولأعطيت المرأة حقها واحترامها،

---

(١) سورة البحر المحيط لأبي حيان: ٣/ ٤٩٢.

(٢) راجع التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥٠/ ٩/ ١٢٩، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٢٩٣.

فهي من النفس الأولى فطرة وطبعًا. خلقها الله لتكون لها زوجًا، وليبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء، فلا فارق في الأصل والفطرة، إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾: اتقوا الله الذي تتعاقدون وتتعاهدون به، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن بروها وصلوها.

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾.. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تكرير الأمر لتأكيده والحث عليه، كذلك لفظ (الرب) يدل على التربية والإحسان، والإله لفظ يدل على القهر والهيبة، فأمرهم بالتقوى بناء على الترغيب، ثم عاد الأمر به بناء على الترهيب كما قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦]. وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]. كأنه قيل إنه رباك وأحسن إليك فاتَّقِ مخالفته؛ لأنه شديد العقاب عظيم السطوة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: لا يراد (بكان) تقييد الخبر بالمخبر عنه في الزمان الماضي المنقطع في حق الله تعالى- وإن كان موضوع (كان) كذلك – بل المعنى على الديمومة فهو تعالى رقيب علينا في الماضي والحاضر وفي كل وقت.

فالمولى ﷻ حافظ مطلع على جميع ما يصدر من الناس من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريد لمجازاتكم بذلك، وهو تعليل للأمر ووجوب الامتثال به. وإظهار الاسم الجليل لتأكيده، وتقديم الجار والمجرور لموسيقى الآيات.

مناسبة الخاتمة للآية:

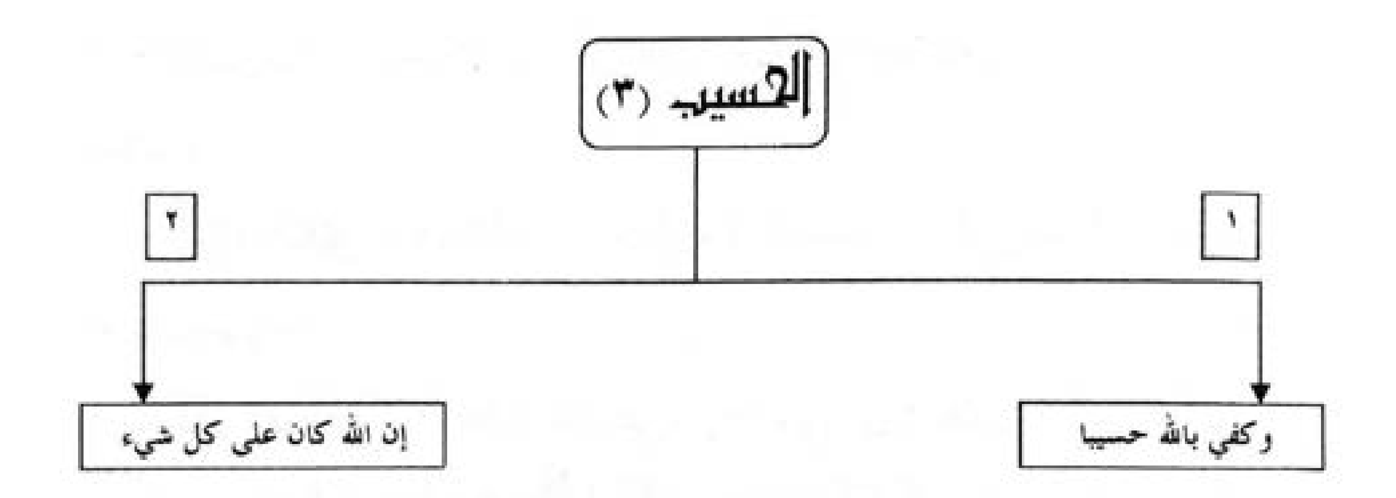
لما كرر المولى ﷻ الأمر بالتقوى جاءت الخاتمة باسمه تعالى (الرقيب) وما أهولها رقابة، وهو الرب الخالق الذي يعلم من خلق، العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية لا في ظواهر الأعمال ولا في خفايا القلوب، فختم هذه الآية بما يكون كالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فمن كانت هذه صفته يجب أن يخاف ويرهب[1].

---

(١) راجع: تفسير آية (١) من سورة النساء في كل من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٤٨

(الحسيب) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي واشتهر بين الناس وورد في القرآن الكريم ثلاث مرات، وورد مفردًا وفاصلة[1].



الحسيب لغــة:

الحسب: ما يعده الإنسان مفاخرًا في آبائه كالكرم والشرف الثابت في الأباء، وقيل حسبه، وما له والرجل حسيب.

الحساب: استعمال العدد فيه، قال تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء:١٢].

حسب: اسم بمعنى كافٍ، ومنه ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣٦].

مررت برجل حسبك من رجل: كافيك، حسبك درهم أي كفاك.

والحسبة: منصب كان يتولاه في الدولة الإسلامية رئيس يشرف على الشئون العامة.

البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٤٩٣، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٥٧٥، ٥٧٦.

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص٢٠١.

والحسيب من أسماء الله الحسنى يكون بمعنى المحاسب ويكون بمعنى الكافي وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦]، أي يعطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أن يكفيه[1].

الحسيب: اصطلاحًا:

(الحسيب) جل جلاله يتضمن ثلاثة معان متلازمة، وإن بدا لغير المتأمل أنها متغايرة.

الأول: الكافي: وهو الذي من كان له كان حسبه، والمولى ﷻ ليس في الوجود حسيب سواه.

تقول العرب نزلت بفلان فأكرمني، وأحسبني أي أعطاني ما كفاني حتى قلت: حسبك، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤]. وقوله تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، أي كافيه ما هو في حاجة إليه.

فالمولى ﷻ كافٍ كل شيء، وكل كفاية حصلت بمخلوقاته فهي في الحقيقة إنما حصلت به، لأنه لولا أنه سبحانه خلقها وأعدها لمواجهة الحاجات وإلا لما حصلت تلك الكفاية، وكان الكافي في الحقيقة هو الله.

الثاني: الحسيب بمعنى الحاسب.

قال تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]. أي محاسبا.

فإن الله تعالى يحاسب عباده يوم القيامة على أعمالهم، يحاسب الطائعين فيثيبهم

---

(١) راجع: لسان العرب ٢/ ٨٦٣، مختار الصحاح ٥٦، المعجم الوجيز ١٤٩، معجم مفردات ألفاظ القرآن ١١٦.

على طاعته، ويحاسب العاصين فيجازيهم على معصيتهم، وهو حسيب كل إنسان.

الثالث: الحسيب بمعنى الشرف.

والحسيب الشريف الذي له خصال الشرف، فعلى هذا الحسب لله بمعنى أن صفات المجد والشرف، ونعوت الكمال والجلال ليست إلا لله ﷻ[(١)].

حظ العبد من اسمه تعالى الحسيب:

- إذا علم العبد أن الله سبحانه كافيه، لم يرفع حوائجه إلا إليه فإنه سبحانه سريع الإجابة لمن انقطع إليه، وتوكل في جميع أحواله عليه ومن علم أنه تعالى كافيه لا ييئس على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه ثقة بأن الذي قسم له لا يفوته، وأن الذي لم يقسم له لا يصل إليه.

- ومن علم أنه حسيب بمعنى محاسب علم أنه يحاسبه على النقير، والقطمير[(٢)] فعند ذلك يحاسب نفسه قبل أن يحاسب:

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر، قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]. وإنما خف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وثقلت موازين قوم في الآخرة، وزنوا أنفسهم في الدنيا)[(٣)].

---

(١) راجع الأسماء والصفات للبيهقي ٦١، المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي ١١٣، لوامع البينات للرازي ٢٦٠.

(٢) النقير: قدر النقرة في ظهر النواة، القطمير: القشرة الدقيقة على النواة – تفسير مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٩٨، ٦١.

(٣) تجليات في أسماء الله الحسنى د.عبدالمنعم الحفني ص١٠٢.

- ومن علم أنه تعالى ﴿حَسِيبًا﴾ بمعنى الذي له خصال الشرف. علم أن شرف العبد ليس إلا في معرفة الله ﷻ وطاعته[1].

الآيات التي ختمت باسمه تعالى (الحسيب):

قال تعالى:

١- ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

٢- ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

قال تعالى:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء:٦].

مناسبة الآية لما قبلها:

«أنه تعالى لما أمر من قبل بدفع مال اليتيم إليه بقوله: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾

---

(١) راجع: أسماء الله الحسنى المسمى لوامع البينات للفخر الرازي ص٢٦٢، وأسماء الله الحسنى للقشيري ص٢٦٣.

[النساء:٢]. يبين بهذه الآية متى يؤتيهم أموالهم، فذكر هذه الآية وشرط في دفع أموالهم إليه شرطين: أحدهما: بلوغ النكاح، والثاني: إيناس الرشد، ولابد من ثبوتهما حتى يجوز دفع مالهم إليهم(١).

ويبدو من خلال النص الدقة في الإجراءات التي يتسلم بها اليتامى أموالهم عند الرشد، كذلك يبدو التشديد في وجوب المسارعة بتسليم أموال اليتامى إليهم، بمجرد تبين الرشد – بعد البلوغ – وتسليمها لهم كاملة سالمة، والمحافظة عليها في أثناء القيام عليها، وعدم المبادرة إلى أكلها بالإسراف قبل أن يكبر أصحابها يتسلموها، مع الاستعفاف عن أكل شيء منها مقابل القيام عليها إذا كان الولي غنيًّا، والأكل منها في أضيق الحدود إذا كان الولي محتاجًا.

أخرج البخاري عن عائشة رضى الله عنها في قوله تعالى: ﴿كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ «أنها نزلت في حال اليتيم إذا كان فقيرًا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف»(٢).

وعبر تعالى عن الأخذ بالأكل لأن الأكل أعظم وجوه الانتفاع بالمأخوذ وأمر المولى ﷻ الأولياء أن يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم وسلموا إليهم أموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه.

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾: وكفى بالله محاسبًا وشاهدًا ورقيبًا على الأولياء في حال نظرهم للأيتام، وحال تسليمهم لأموالهم، هل هي كاملة موفورة أو منقوصة مبخوسة؟

---

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ٩/ ١٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (من كان فقيرًا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم، حديث (٤٥٧٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٨٩.

وهذا وعيد لولي اليتيم وإعلام له أنه تعالى يعلم باطنه كما يعلم ظاهره لئلا ينوي أو يعمل في ماله ما لا يحل، ويقوم بالأمانة التامة في ذلك إلى أن يصل إليه ماله[١].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان السائد في البيئة الجاهلية الجور على أموال اليتامى الضعاف، ولما كان المجتمع المسلم الجديد يحتاج إلى تغيير هذا العرف السائد جاءت هذه الآية بكل هذا التشديد، وكل هذا البيان والتفصيل، والتوكيد مما لا يدع مجالاً للتلاعب عن أي طريق، وختم المولى ﷻ باسمه تعالى (الحسيب) بمعنى البليغ في الحساب فهو أبلغ تحذيرًا، وأشد وعيدا.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء:٨٦].

مناسبة الآية لما قبلها:

«لما رغب المولى ﷻ في الشفاعة التي هي: التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الأخروية أو خلاصه من مضرة ما كذلك، ولما كانت الشفاعة الحسنة هي ما كان منها في أمر مشروع، روعي بها حق المسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضًا من الأغراض الدنيوية، بين المولى في هذه الآية فرعًا من الشفاعة. فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعة منه لأخيه إلى الله تعالى»[٢].

الآيـة: أمر المولى ﷻ في هذه الآية المسلم برد التحية بأحسن منها أو مثلها،

---

(١) راجع تفسير آية ٦ من سورة النساء في كل من: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ٩/ ١٥٧، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٤٥٤، نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢١٧، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٥٨٦.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٩٢ بتلخيص.

فقد جاء الإسلام بتحيته الخاصة التي تميز المجتمع المسلم وتجعل كل سمة فيه منفردة ومتميزة، جعل الإسلام تحيته «السلام عليكم» أو «السلام عليكم ورحمة الله» أو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، والرد عليها بأحسن منها بالزيادة على كل منها – ماعدا الثالثة فلم تبق زيادة لمستزيد، فالرد على **الأولى**: (وعليكم السلام ورحمة الله)، وعلى الثانية (عليكم السلام ورحمة الله وبركاته) والرد على الثالثة بمثلها إذ أنها استوفت كل الزيادات.

وفي الآية دليل على أن الرد واجب لأجل الأمر، ولا يدل على وجوب البداءة، بل هي سنة مؤكدة، هذا مذهب أكثر العلماء، والجمهور على أن لا يبدأ أهل الكتاب بالسلام.

وفي الآية تعليم لهم حسن العشرة، وآداب الصحبة، وأن من حملك فضلاً صار في ذمتك قرضًا، فإن زدت على فعله وإلا فلا تنقص عن مثله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾: يحاسبكم على كل شيء من أعمالكم التي من جملتها ما أمركم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما أمرتم به[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

هذه الآية من المحاولات الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى، بين أفراد الجماعة المسلمة، وإفشاء السلام والرد على التحية بأحسن منها من خير الوسائل لإنشاء هذه العلاقات وتوثيقها.

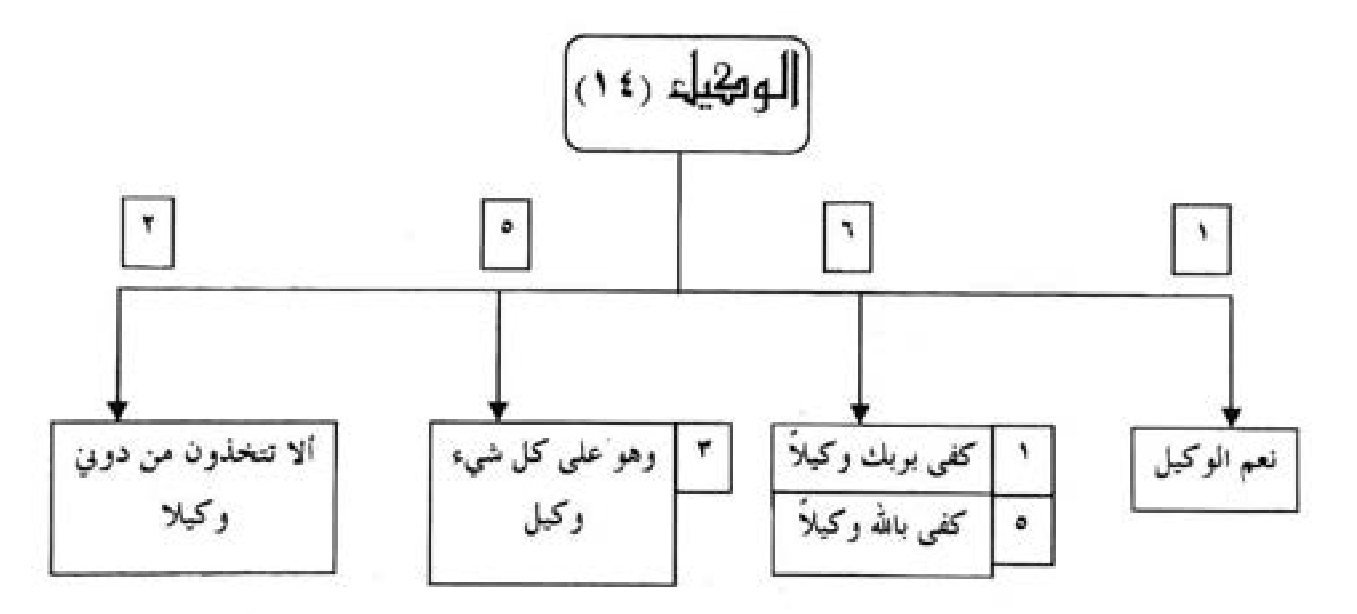
لذلك جاءت الخاتمة لتشجيع المؤمن على ذلك فهي وعد من المولى ﷻ أن يحفظ على العباد أعمالهم ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله.

---

(١) راجع تفسير آية ٨٦ من سورة النساء في كل من: البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٧٣٤، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٧٤، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٢٦.

(الوكيل) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي، واشتهر بين الناس وورد في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، مفردًا وفاصلة وبعضه جاء مقيدا [1].



الوكيل لغـــة:

وكل بالله، وتوكل عليه، واتكل: استسلم إليه.

وكل إليه الأمر: فوض إليه الأمر واكتفي به.

توكل بالأمر إذا ضمن القيام - ووكلت إلى فلان أمري: ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه.

وكيل الرجل: الذي يقوم بأمره أي تعتمد على غيرك، وتجعله نائبا عنك.

قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١]، أي اكتف به أن يتولى أمرك،

---

(١) المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٧٦٢ .

وعلى هذا قوله تعالى ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

والمتوكل على الله الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره، فيركن إليه وحده، ولا يتوكل على غيره[١].

اصطلاحا:

الوكيل هو المفوض إليه الأمور كلها، المتولي لأحوال عباده يصرفهم كما يريد، ويتولى أسبابهم على ما يختاره، فهو ﷻ له الخلق والأمر، ولا يملك أحد من دونه شيئًا، فهو الكفيل بأرزاق العباد القائم عليهم بمصالحهم فمن توكل عليه تولاه، ومن استغنى به أغناه.

حظ العبد من اسمه تعالى (الوكيل) [٢]

أن من يدرك جلال هذا الاسم ولطف معناه عليه أن يحسن توكله على مولاه وينزل حاجته بساحته لا يتعداه إلى من سواه، فهو وحده خير مسئول، وهو القادر على تفريج الكروب، وإجابة المطلوب.

وكما يدعونا هذا الاسم إلى حسن التوكل على الله، والاعتماد عليه، والتفويض إليه علينا أن نتأدب بأدب هذا الاسم فنكون في حاجة المؤمن، وأن نكون أهلاً لثقة من وثق بنا في قضاء حاجة من حاجاته أو ندبنا للسعي في مهمة من المهمات.

الآيات التي ختمت باسمه تعالى (الوكيل)

قال تعالى:

١- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ

---

(١) راجع لسان العرب ١١/ ٧٣٤، ٧٣٦، معجم ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٦٨، المعجم الوجيز ٦٨٠.

(٢) راجع: الأسماء والصفات للبيهقي ص١٠٧، المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي ١٢٩، أسماء الله الحسنى، موسوعة القصص القرآني، د. حمزة النشرتي، ص٤٠٠.

ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:٨١].

٢- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[النساء:١٣٢].

٣- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٧١].

قال تعالى:

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾

[النساء:٨١].

ومناسبة الآية لما قبلها:

لما بين المولى ﷻ في الآية السابقة أن من أطاع رسول الله ﷺ في أوامره ونواهيه فقد أطاع الله، لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر الله وشرعه، وأن من يتولى عن طاعة الله ورسوله فما عليك إلا البلاغ.

بين في هذه الآية أن هناك من يظهر الموافقة والطاعة ولكنه في حقيقة الأمر غير ذلك.

الآيــة:

﴿بَـرَزُواْ﴾: خرجوا

﴿بَيَّتَ﴾: إما من البيوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال: هذا أمر بيت بليل، وإما من أبيات الشعر، لأن الشاعر يدبرها ويسويها.

﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾: بيت بالتذكير لأن تأنيث طائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق أو الفوج.

في الآية يخبر المولى ﷻ عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة وإذا خرجوا وتواروا عنك، استسروا ليلا فيما بينهم بغير ما أظهروه لك.

والله يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين الذين هم موكلون بالعباد، فيحفظه عليهم، ويجازيهم عليه أشد الجزاء.

ثم أمر رسوله ﷺ بمقابلتهم بالإعراض، والحلم عليهم، ولا يؤاخذهم ولا يكشف أمرهم للناس، ولا يخاف منهم فإنهم لا يضرونه شيئًا.

وأمره بالتوكل عليه سبحانه، فكفى بالله وليًا، وناصرًا، ومعينًا لمن توكل عليه وأناب إليه فيكفيك شرهم، وينتقم لك منهم.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما أمر المولى ﷻ رسوله ﷺ بالإعراض عن المنافقين طمأن رسوله الكريم بكلاءة الله وحفظه له مما يبيتون ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ لا يضار من كان وكيله ولا يناله تآمر، ولا تبيت، ولا مكيدة.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار

في الجملتين للإشعار بعلة الحكم، وفي ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ تنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه[1].

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٣٢].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر المولى ﷻ في الآية السابقة بالتقوى، وبين أن من يكفر فلن يضر إلا نفسه، ولا يلحقه ضرر إن فعلتم لأنه تعالى غني عنكم، أكد في هذه الآية للمرة الثالثة إحاطة ملكه لما في السماوات والأرض، فجاءت الآية تقريرًا لما هو موجب تقواه، ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه، فالآية تثبت الملك التام لله ﷻ وأنه على كل شيء وكيل.

فالأمر كله لله وليس لأحد أمر معه، فالمالك هو صاحب السلطان في ملكه والوكيل هو صاحب السلطان لمن يحتويه بحفظه ويدبر أموره فهو القائم على كل نفس بما كسبت.

مناسبة الخاتمة للآية:

جاءت الخاتمة مقررة لمضمون الآية فأعلم المولى ﷻ خلقه بحفظه إياهم وتدبيره لأنه له ما في السماوات وما في الأرض[2].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ

---

(١) راجع تفسير آية ٨١ من سورة النساء في كل من: إرشاد العقل السليم، تفسير أبي السعود ٢/ ١٦٩، الجامع في أحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٥/ ١٨٦ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٢٩.

(٢) راجع تفسير آية ٣٢ من سورة البقرة في: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٥/ ٣٧٠ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٥/ ٢٦٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦٤.

إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٧١].

ينهى المولى ﷻ أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد والقدر المشروع وذلك بالإفراط في رفع شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ورفعه عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الألوهية الذي لا يليق بغير الله ﷻ.

فغاية المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال، أعلى حالة تكون للمخلوقين وهي درجة الرسالة التي هي أعلى الدرجات، فعيسى رسول الله وخلقه بكلمته وأمره من غير واسطة أب ولا نطفة، وإنما بالأمر الكوني المباشر الذي يقول تعالى عنه في مواضع شتى من القرآن ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]. ونفخ فيه من روحه قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]. كما قال عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

فلما بين حقيقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسله الذين من جملتهم عيسى ومحمد عليهما السلام ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى والثاني مريم فهذه مقالة النصارى قبَّحهم الله.

فأمرهم بالإيمان وأخبرهم أن ذلك خير لهم، فهو سبيل النجاة ثم نزه نفسه سبحانه عن الشريك والولد، فهو تعالى المتفرد بالألوهية الذي لا تنبغي العبادة إلا له لأن كل ما في السماوات والأرض مملوكون له مفتقرون إليه فمحال أن يكون له

شريك منهم أو ولد، فكيف يكون بعض ما يملكه المالك جزءًا منه وولدًا له.

وكفى بالله الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرة وكيلاً أي يحتاج إليه كل شيء ولا يحتاج هو إلى شيء، فأنى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما نهاهم المولى ﷻ عن اتخاذ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلهاً، وبين لهم أنه تعالى مالك السماوات والأرض والكل مفتقر إليه جاءت الخاتمة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ هو كافيهم أمورهم فهو الغني وهم الفقراء إليه.

---

(١) راجع تفسير آية ١٧١ من سورة النساء: البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ١٤٢ نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٣٧٧، تيسير الكريم الرحمن ناصر السعدي ص٢١٦.

(المقيت) جل جلاله

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الحديث الذي رواه الترمذي، واشتهر بين الناس، وورد مرة واحدة فقط في سورة النساء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء:٨٥]. وورد مفردًا وفاصلة(١).

المقيت: لغة:

القوت: ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، وجمعه أقوات.

قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت:١٠].

قات الرجل قوتا: أعطاه ما يمسك الرمق، وأعطاه قوته.

استقاته: سأله القوت.

ومن أسمائه تعالى (المقيت) قيل: المقتدر الذي يعطي أقوات الخلائق وقيل القدير، وقيل الحفيظ، وهو بالحفيظ أشبه لأنه مشتق من القوت.

فالمقيت إذن: الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ(٢).

اصطلاحًا:

اختلف العلماء في تفسير (المقيت) إلى وجوه هي:

١ - **المقتدر:** فهو سبحانه مقتدر على كل شيء.

٢- **الحافظ:** فهو تعالى يعطيهم القوت ليحافظ على حياتهم، وهو تعالى

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٥٥٤.

(٢) راجع لسان العرب ٢/ ٧٣-٧٦، المعجم لمفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص٤٣٠، مختار الصحاح ١٣١، المعجم الوجيز ٥١٩.

الحافظ لكل ما في السماوات والأرض.

٣- **الشاهد**: يقال: أقت لي الشيء إذا شهد عليه، فهو سبحانه الشاهد لكل شيء، وعلى كل موجود، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٤- **المتكفل**: بإيصال أقوات الخلق إليهم.

٥- **الرزاق**: إلا أنه أخص منه إذ الرزاق يتناول القوت وغير القوت، والقوت ما يكتفي به في قوام البدن.

ويكون بمعنى الحفيظ، والرقيب، وبما أنه يعطي القوت للإنسان على قدر حاجته فهو حسيب[1].

«هذه المعاني من لوازم معناه، وهناك فرق بين تفسير اللفظ بلازمة من لوازمه، وقد يكون متعدد اللوازم ويصبح كل ذهاب إلى معنى من لوازمه فهو صحيح، ولكن المعنى الجامع هو الذي يكون من مادة الكلمة ذاتها.

مقيت: من قاته أي أعطاه القوت، وهو ما يقوم به الإنسان من الطعام والشراب، فهو سبحانه يقيت كل شيء فهو يقيت الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فقد سبق في علمه وحكمته أنه سيجعل في الأرض خليفة فقدر لهم أرزاقهم من قبل أن يخلقهم، قال تعالى:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ

---

(١) راجع: المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي ص١٣٠، أسماء الله الحسنى للقشيري ص٢٥٩.

أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [فصلت:٩-١٠].

وهذه هي المرة الوحيدة التي وردت فيها مادة القوت في القرآن الكريم»[١].

حظ العبد من أسمه تعالى (المقيت):

من أدب العبد مع اسم (المقيت) ألا يقبل إلا الحلال الطيب، ليرتفع عند الله ذكره، ويعظم أجره، وأن لا يسأل إلا الله لأن خزائن الأرزاق بيده. كذلك إقاته كل محتاج من قريب أو بعيد أو ضعيف أو قوي.

إن الذي يتأدب بآداب هذا الاسم لا يرى أحدًا رازقًا على الحقيقة إلا الله، وأن اليد التي تقدم القوت هي سبب من أسباب الله سخرها لذلك[٢].

قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء:٨٥].

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر المولى ﷻ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يحرض المؤمنين على الجهاد، وهو من الأعمال الحسنة والطاعات الشريفة، وذكر المبطئين المثبطين قرر قاعدة عامة في الشفاعة في هذه الآية، فالذي يشجع ويحرض على القتال في سبيل الله، يكون له نصيب من أجر هذه الدعوة وآثارها، والذي يبطئ ويثبط يكون له تبعة فيها وفي آثارها: والمبدأ عام في كل شفاعة خير أو شفاعة سوء.

---

(١) أسماء الله الحسنى لمحمد متولي الشعراوي ٤/ ١٤.

(٢) راجع: موسوعة أسماء الله الحسنى للشرباصي ١/ ٢١٦، أسماء الله الحسنى، موسوعة القصص في القرآن د. حمزة النشرتي وآخرين ص٣١١.

الآيـــة:

أصل الشفاعة، والشفعة ونحوها من الشفع وهو الزوج في العدد ومنه الشفيع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفيعًا.

الكفل: هو النصيب الذي عليه يعتمد الإنسان في تحصيل المصالح لنفسه ودفع المفاسد عن نفسه، والغرض منه هنا التنبيه على أن الشفاعة المؤدية إلى سقوط الحق والباطل تكون عظيمة العقاب عند الله تعالى.

المراد بالشفاعة في الآية المعاونة على أمر من الأمور فمن شفع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير – ومنه شفاعة المظلومين لمن ظلمهم – كان له نصيب في شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه – ولا ينتقص من أجر الأصيل والمباشر شيء.

ومن عاون غيره على أمر من أمور الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه.

وفي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم على التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله تعالى:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾: أي شاهدا حفيظا حسيبا على هذه الأعمال فيجازي كلاً ما يستحقه، وقوله تعالى (كان) تنبيه على أن كونه تعالى قادرًا على المقدورات صفة كانت ثابتة له تعالى من الأزل، وليست صفة محدثة، فقوله كان مطلقًا يدل على أنه كان حاصلا من الأزل إلى الأبد.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان النصيب مبهمًا بالنسبة إلى علمنا لتفاوته بالنسبة إلى تصور الشافعين،

وإقدامهم على الشفاعة على علم أو جهل، وغير ذلك مما لا يمكن أن يحيط به إلا الله سبحانه وتعالى علمًا وقدرة قال تعالى مرغبًا ومرهبًا.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ أي ذو جلال والإكرام ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الشافعين وغيرهم وجزاء الشفاعة ﴿مُّقِيتًا﴾ أي حفيظًا، وشهيدًا، وقديرًا على إعطاء ما يقوت من أخلاق النفوس، وأحوال القلوب، وأرزاق الأبدان، وجميع ما به القوام جزاء وابتداء من جميع الجهات ما يستحق كل أحد من الشفاعة وكل خير وشر[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٨٥ من سورة النساء في كل من: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٥/ ١٩١، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ١٦٦، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٢٩١، تيسير الكريم الرحمن لناصر السعودي ١٩٠.

المبحث الثاني

أسماء تدل على إحاطته الكاملة ورقابته الشاملة لكل من سواه

الآيات التي ختمت باسم (العليم الحكيم)

قال تعالى:

١- ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١١].

٢- ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٧].

٣- ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٢٤].

٤- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء:٢٦].

٥- ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٩٢].

٦- ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٠٤].

٧- ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء:١١١].

٨- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء:١٧٠].

قال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًاۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١١].

هذه الآية الكريمة والتي بعدها والآية التي في خاتمة هذه السورة هي آيات علم الفرائض وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاث ومن الأحاديث الواردة في ذلك، والآية شروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ ..﴾ [النساء:٧].

ففي هذه الآية:

يأمر المولى ﷻ بالعدل بين الأولاد فأهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكر دون الإناث، فأمر المولى بالتسوية بينهم في أصل الميراث وفاوت بين الصنفين فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وذلك لاحتياج الرجل إلى مئونة النفقة والكلفة ومعاناة التجارة، والتكسب وتحمل المشاق فناسب أن يعطي ضعفي ما تأخذه الأنثى.

وإن كن الوارثات إناثًا اثنتين فأكثر، وليس معهن ذكر فلهن ثلثا ما ترك، وإن كانت الوارثة واحدة منفردة ليس معها غيرها فلها النصف فقط.

ولما قدم الإيصاء بالأولاد لضعفهم أتبعه بالأبوين فقال:

﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: ولد ذكر – خاص بالأب فالأب مع الذكر لا يستحق أزيد من السدس، وإن لم يكن له – ولد ذكر أو أنثي – فلأمه الثلث وللأب الباقي فإن كان له إخوة (أكثر من أخ) فلأمه السدس والباقي للأب ولا شيء لهم.

ثم بين تعالى أن هذا كله بعد إخراج الوصية والدين، وقدم الوصية مع كونها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها لكون إخراجها شاقًا على الورثة.

ولما كانت هذه القسمة مخالفة لما كانت العرب تفعله قال تعالى حاثًا على لزوم

ما حده مؤكدًا بالجملة الاعتراضية: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾؛ لأنه لا إحاطة لكم في علم ولا قدره.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث وإعطاء بعض الورثة أكثر من بعض هو فرض من الله حكم به وقضاه.

مناسبة الخاتمة للآية:

بعد أن بين المولى ﷻ أن تفصيل هذا الميراث فرض من الله زادهم حثًا على ذلك ورغبة فيه بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ المحيط علمًا وقدرة كان ولم يزل ولا يزال لأن وجوده تعالى لا يتفاوت من وقت لآخر، فهو تعالى عليم بالعواقب حكيم يضع الأشياء في محلها فوضع لكم هذه الأحكام على غاية الإحكام في جلب المنافع لكم ودفع الضر عنكم ورتبها سبحانه أحسن ترتيب فيعطي كلاً ما يستحقه بحسبه(١).

قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٧].

لما ختم المولى ﷻ الآية السابقة بذكر توبة الزناة، وصل بذلك قوله تعالى معرفًا بوقت التوبة وشرطها، مرغبًا في تعجيلها مرهبًا من تأخيرها.

يقول سبحانه وتعالى: إنما يقبل الله - التوبة لزوم إحسان لا استحقاق- ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب من قريب، والسوء يعم الكفر والمعاصي، فكل من

---

(١) راجع تفسير آية ١١ من سورة النساء في: «إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٠٣»، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٢٢١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٥٩.

عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته، وأجمع أصحاب النبي ﷺ على أن كل معصية فهي بجهالة، عمداً كانت أو جهلاً، فإن ارتكاب السوء لا يكون إلا عن غلبة الهوى للعقل، فالعقل يدعو إلى الطاعة، والهوى والشهوة يدعوان إلى المخالفة.

والذين يتوبون من قريب هم الذي يتوبون إلى الله ويرجعون عن المعصية قبل أن يتبين لهم الموت، وأما متى وقع الإياس من الحياة وعاين الملك وخرجت الروح في الحلقوم، وضاق بهم الصدر وغرغرت النفس صاعدة فلا توبة مقبولة حينئذ.

والمراد من هذا القرب: كل ما كان قبل الموت فهو قريب لأن الرجاء باق، ويصح منه الندم والعزم على ترك الفعل، فإذا كانت التوبة تقبل في هذا الوقت فقبولها قبله أجدر.

﴿فَأُولَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾: أي يقبل توبتهم وتكرير إسناد التوبة لله لتقوية الحكم، وهذا وعد بقبول توبتهم إثر بيان أن التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: عليم بالعباد الصادقين في التوبة والكاذبين وبنياتهم، فهو يعاملهم بحسب ما يقتضيه حالهم (حكيمًا) يضع الأشياء في أحكم محل لها[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما بين المولى ﷻ أن قبول التوبة ليس على إطلاقه بل هو مقيد بشروط، هي:

١ -للذين يعملون السوء بجهالة.

---

(١) راجع تفسير آية ١٧ من سورة النساء في: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ٩/ ٥ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٥/ ١٣، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٢٢٨، في ظلال القرآن – سيد قطب ١/ ٦٠٣.

٢-ثم يتوبون من قريب.

لذا ناسب ختمها باسمه تعالى (العليم) (الحكيم) فهو يتصرف عن علم لا يخفى عليه شيء، عليم بأحوالهم، ويتصرف عن حكمة فيمنح عباده الضعاف فرصة العودة إلى الصف الطاهر ولا يطردهم من رحمته، لا يطردهم متى تابوا إليه، وأنابوا، وهو سبحانه غنى عنهم وما تنفعه توبتهم، ولكن تنفعهم هم أنفسهم وتنفع حياتهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه، ومن ثم يفسح لهم في العودة إلى الصف تائبين متطهرين.

قال تعالى:

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٢٤].

هذه الآية تكملة للمحرمات من النساء، فالمولى ﷻ حرم نكاح الحرائر ذوات الأزواج مادمن في ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضي عدتها، أما ملك اليمين فالأسر يقطع النكاح، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرئ.

﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: هذا التحريم كتبه الله عليكم فالزموا كتابه ولا تخرجوا عن حدوده، والزموا شرعه وما فرضه.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾: أي ما عدا ما ذكر لكم من المحارم هن لكم حلال طيب، فالحرام محصور، والحلال ليس له حد ولا حصر لطفًا من الله ورحمة وتيسيرًا لعباده، ففيما وراء هذه المحرمات المذكورة، فالنكاح حلال،

والراغبون فيه أن يبتغوا النساء بأموالهم – أي لأداء صداقهن – لا لشراء أعراضهن بالأموال من غير نكاح، ولذلك قال ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أي قاصدين بذلك العفة لأنفسكم ولهن، وزيادة في التوكيد والإيضاح قال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾.

﴿ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فالمولى ﷻ يجعل صداق المرأة فريضة لها مقابل الاستمتاع بها فمن أراد أن يستمتع بامرأة من الحلائل – وهن ما وراء ذلك من المحرمات – فالطريق هو ابتغاؤها للإحصان عن طريق النكاح (الزواج) لا عن طريق آخر وعليه أن يؤدي لها صداقًا حتمًا مفروضًا.

وبعد تقرير هذا الحق للمرأة وفرضيته يدع الباب مفتوحًا لما يتراضى عليه الزوجان بينهما وفق مقتضيات حياتهما المشتركة، فلا حرج في أن تتنازل الزوجة عن مهرها كله أو بعضه بعد بيانه وتحديده، وبعد أن أصبح حقًّا لها خالصاً، ولا جناح عليهما في أن يزيدها الزوج على المهر، وهذا شأنهما معا يتراضيان عليه في حرية وسماحة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر المولى ﷻ في هذه الآية أنواعًا كثيرة من التكاليف والتحريم؛ لذا ناسب ختمها بهذين الاسمين، فبين تعالى أنه عليم بجميع المعلومات لا يخفى عليه منها خافية أصلا، وحكيم لا يشرع الأحكام إلا على وفق الحكمة، وذلك يوجب التسليم لأوامره والانقياد لأحكامه، فيربط هذه الأحكام بمصدرها، ويكشف عما وراءها من العلم الكاشف والحكمة البصيرة[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٤ من سورة النساء في كل من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٧٤٧، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٢٠.

قال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء:٢٦].

بعد أن بين المولى ﷻ في الآيات السابقة تلك الأحكام والتنظيمات التي شرعها للأسرة في المنهج الإسلامي ليرفع بها المجتمع المسلم من الحياة الجاهلية وليرفع بها مستواه الخلقي والاجتماعي إلى القمة، يجيء التعقيب ليكشف للجماعة المسلمة عن حقيقة ما يريده الله لها بهذا المنهج وبتلك الأحكام والتشريعات، فيخبر المولى ﷻ أنه يريد أن يبين للمؤمنين جميع ما يحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل والحلال والحرام مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها، ويهديهم سنن الذين أنعم عليهم من النبيين وأتباعهم في سيرهم الحميدة واتباعهم شرائعه التي يحبها ويرضاها.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: أي يلطف بكم في أحوالكم وما شرعه لكم حتى تتمكنوا من الوقوف على ما حده لكم والاكتفاء بما أحله، فيأخذ بأيديكم إلى التوبة من الزلل، والتوبة من المعصية ليمهد لكم الطريق ويعينكم على السير فيه.

ومن توبته عليهم أيضًا إذا أذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة، وأوزع قلوبهم الإنابة إليه، والتذلل بين يديه، ثم يتوب عليهم بقبول ما وفقهم إليه، وذلك لأنه عليم بأحوالهم لا تخفى عليه خافية، لا يشرع شيئًا إلا وهو في غاية الإحكام، فعن العلم والحكم تصدر هذه التشريعات ومن العلم والحكم تجيء هذه التوجيهات[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٦ من سورة النساء في كل من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٧٩، روح المعاني للألوسي ٣/ ٢٢، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٦٣١، تيسير الكريم الرحمن لناصر السعدي ١٧٤.

مناسبة الخاتمة للآية

لما كانت الآية تتحدث عن تبيين ما شرع من الأحكام، وما سلكه المهتدون من الأمم السابقة، وما ينتفع به العباد والمؤمنون، وما يضرهم، فقد ذكر رب العالمين كل هذا مراعيًا في جميع تشريعاته الحكمة والمصلحة، فهذه التشريعات لا تصدر إلا عن علم وحكمة لذا ناسب ختمها باسم ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٩٢].

لما كان الخطأ مرفوعًا عن هذه الأمة، فكان لذلك يظن أنه لا شيء على المخطئ، بيّن تعالى أن الأمر في القتل ليس كذلك حفظًا للنفوس، لأن الأمر فيها خطير جدًا، فقال مغلظاً إياه: ما أذن الله لمؤمن ولا أباح له أن يقتل أخاه المؤمن بوجه منَ الوجوه إلا على وجه الخطأ، ومن قتل مؤمنًا خطأً فهذان واجبان في قتل الخطأ أحدهما: الكفارة لما ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأً ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة لا تجزئ الكافرة، ودية مسلمة إلى أهله هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتيل عوضا لهم عما فاتهم من قتيلهم، إلا أن يتصدق ورثة القتيل بالعفو عن الدية فإنها تسقط، وفي ذلك حثّ لهم على العفو، وعبر بالصدقة ترغيبًا، هذا في

حال إن كان القتيل مؤمنًا وأولياؤه من المؤمنين، فإن كان القتيل مؤمنًا ولكنه أولياؤه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير.

فإن كان القتيل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتيلهم، وتجب أيضًا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة، وقدم الدية هنا إشارة إلى المبادرة بها حفظًا للعهد، ولتأكيد أمر التحرير بكونه خاتمًا كما كان افتتاحًا حثًا على الوفاء، لأنه أمانة لا طالب له إلا الله.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾: الرقبة ولا ثمنها بأن كان معسرًا ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ لا إفطار بينهما بل يسرد صومهما إلى آخرهما فإن أفطر من غير عذر استأنف وليس له أن يسافر فيفطر، والصوم عن الرقبة دون الدية؛ لأن دية الخطأ على عاقلة القاتل والكفارة على القاتل بإجماع الحجة على ذلك.

﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ هذه الكفارة التي أوجبها الله على القاتل شرعها الله توبة منه على عباده ورحمة بهم، وتكفيرًا لما عساه أن يحصل منهم من تقصير وعدم احتراز.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: عليمًا بما يصلحكم في الدنيا والآخرة، وعليمًا بحال القاتل بأنه لم يقصد ولم يتعمد حكيمًا في كل ما شرع وقضى من الأحكام[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كانت الآية تتضمن تشريعات وأحكامًا يصلح بها حال المجتمع والفرد كذلك القتل الخطأ يدخل فيه النية وعلمها عند الله؛ لذا ناسب ختم الآية باسم

---

(١) راجع تفسير آية ٩٢ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٢٣٦، مفاتيح الغيب للرازي ٥/ ١٠/ ١٨٨، التفسير القرآن الكريم لابن كثير ١/ ٥٣٩.

(العليم) و(الحكيم) فمن حكمته أوجب في القتل الدية، ولو كان خطأ لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل بتوخي الاحتياط والحذر، وفي نفس الوقت تكون تعويضًا لأهل القتيل عن مصيبتهم.

ومن حكمته أوجب تحرير رقبة ليخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية فيخلص المجتمع من الرق، ومن لم يجد صام شهرين متتابعين يصلح بها حاله ويتقرب إلى الله، سبحانه لا يخرج عن حكمته من المخلوقات والشرائع شيء.

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

الآية نزلت في الجهاد مطلقا، ويعني جل ثناؤه بقوله ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ ﴾: لا تضعفوا في طلب عدوكم بل جدوا فيه، وقاتلوهم، واقعدوا لهم كل مرصد، وليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم كما قال تعالى:

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. فأنتم وأعداؤكم سواء فيما يصيبكم من الجراح والآلام، ولكنكم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو وعد حق وصدق، وهم لا يرجون شيئًا من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾: عليما بمصالح خلقه حكيما في تدبيره وتقديره[1].

---

(١) راجع تفسير آية ١٠٤ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٣٠٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٥١، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٣١٠.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كانت الآية تأمر المؤمنين بالجد في القتال ولما كان الآمر هو الله المحيط بكل شيء، لا تخفى عليه خافية، وهو لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن مصلحًا للدين والدنيا لذا ناسب أن تأتي الخاتمة باسم (العليم) و(الحكيم).

قال تعالى:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١١١].

لما ندب المولى ﷻ في الآية السابقة إلى التوبة ورغب فيها بيّن في هذه الآية أن ضرر الإثم لا يتعدى صاحبه حثًا على التوبة والاستغفار.

الكسب: فعل ما يجر نفعا أو يدفع ضرًا – الإثم: جامع السوء.

على نفسه: دلالة على استعلاء الإثم واستيلائه عليه وقهره.

المعنى: من يأت ذنبًا على عمد منه له ومعرفه به فإنما يجترح وبال ذلك الذنب، وضره، وخزيه وعاره على نفسه دون غيره، كقوله تعالى:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤]. فلا يغني أحد عن أحد، وإنما لكل نفس ما عملت ولهذا جاءت الخاتمة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

عليما لا يخفى عليه خافية، مراعيًا للحكمة في كل ما قدر.

فالصفتان أشارتا إلى علمه بذلك الإثم وإلى ما يستحق عليه فاعله[١].

---

(١) راجع القرآن آية ١١١ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٣٣٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٥٥٣، البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٥٩.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٧٠].

هذا خطاب عام لجميع الناس يأمرهم فيه المولى ﷻ أن يؤمنوا برسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر الرسول هنا لتأكيد وجوب طاعته، والمراد بالحق هو القرآن والإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينًا (من ربكم): والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين للإيذان بأن ذلك لصالحهم وترغيبًا لهم في الامتثال بما بعده من الأمر وهو ان يصدقوه بما جاء به من عند ربهم من الدين فالإيمان بذلك خيرًا لهم.

وإن تصروا على الكفر وتستمروا عليه فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفرانكم كما قال تعالى على لسان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٨]. فكل ما في السماوات والأرض له ﷻ ملكًا وخلقًا وتصرفًا، لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

عليما بمن يستحق منكم الهداية فيهديه وبمن يستحق الغواية فيغويه، لا يخفي عليه من أعمال عباده المؤمنين والكافرين شيء حكيما لا يضيع عمل عامل ولا يسوى بين مؤمن وكافر ومحسن ومسيء[1].

---

(١) راجع تفسير آية ١٧٠ من سورة النساء في كل من مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ١١/ ٩٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٨٩، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ٢٢٥.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما أخبر المولى ﷻ من أن أمر هذا الرسول حق، وهذا لا يكون إلا عن تمام العلم، وأمرهم بالإيمان، وهذا الأمر لا يكون إلا عن علم بما يصلحهم وحكمه، لذا ناسب ختم الآية باسم ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

الآيات التي ختمت باسم (العليم الحليم)

قال تعالى:

١- ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

قال تعالى:

٢- ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ

أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:١٢].

يقول تعالى: ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متن من غير ولد منكم أيها الوارثون أو من غيركم، ذكرًا كان أو أنثى، واحدًا كان أو أكثر، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد الوصية أو الدين، وللزوجات الربع إن لم يترك الزوج ولد، ولهن الثمن إن ترك ولدًا، والربع والثمن يشترك فيه الزوجات إن وجدن، وتنفرد به الواحدة، من بعد الوصية أو الدين، والدين مقدم على الوصية، وبعده الوصية، ثم الميراث.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾: الكلالة مشتقة من الإكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه، والكلالة من لا والد له ولا ولد - فالإخوة لا يرثون مع ابن ولا أب- ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ اجمع العلماء على أن الإخوة في هذه الآية عنى بها الإخوة لأم، وإذا كانوا يؤخذون بالأم فلا يفضل الذكر على الأنثى، وهذا إجماع من العلماء ﴿فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ هذا التشريك يقتضي التسوية بين الذكر والأنثى وإن كثروا وبين أن نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث، ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانًا للاهتمام بها فقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ ولما كان الميت قد يضار ورثته أو بعضهم بشيء يخرجه عنهم ظاهرا أو باطنا بوصيته أو دينه ختم الآية بالزجر عن ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾.

- ما دام في الثلث لا يعد مضارًا وينبغي اعتبار هذا القيد وهو انتفاء (الضرر)- ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وختم شرح ميراث الكلالة بالوصية، وختم شرح ميراث الأولاد بذكر الفريضة ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١].

ليدل بذلك على أن الكل وإن كان واجب الرعاية إلا أن القسم الأول وهو رعاية حال الأولاد أولى، ثم قال:

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾: ﴿عَلِيمٌ﴾ بأهل الميراث فلا يخفى عليه أمر من خالف بقول أو فعل أو نية، (حليم) بأهل الجهل منكم، فهو من شأنه لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بإمهاله، وفي الوصفين مع التهديد استجلاب للتوبة[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما وصف المولى ﷻ نفسه بقوله ﴿عَلِيمٌ﴾ ودل على اطلاعه على ما يفعله المورث في مضارته بورثته في وصيته ودينه، فذكر علمه بذلك دليل على مجازاته على مضارته، أعقب ذلك بالصفة الدالة على الصفح عمن شاء، وذلك على عادة القرآن بإنه لا يذكر ما يدل على العقاب إلا ويردف بما دل على العفو.

الآيات التي ختمت باسم (العليم):

قال تعالى:

١- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) راجع تفسير آية ١٢ من سورة النساء في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ٥/ ٥٢ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ٥/ ٩/ ١٨٣، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٥٥٠.

كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢].

٢- ﴿ عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٩].

٣- ﴿ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٧٠].

٤- ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٢٧].

قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٢].

لما نهاهم المولى ﷻ في الآية المتقدمة عن أكل الأموال بالباطل، وعن قتل النفس، أمرهم في هذه الآية بما سهل عليهم ترك هذه المنهيات، وهو أن يرضي كل أحد بما قسم الله له، فإنه إذا لم يرضَ بذلك وقع في الحسد، وإذا وقع في الحسد وقع لا محالة في أخذ الأموال بالباطل وفي قتل النفوس، فأما إذا رضى بما قدره الله أمكنه الاحتراز عن الظلم في النفوس وفي الأموال، فأما إذا رضى بما قدره الله أمكنه الاحتراز عن الظلم في النفوس وفي الأموال، أي أن المولى ﷻ نهاهم عن التعرض لأحوال الناس بالجوارح، ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة.

الآيــة:

ينهى تعالى المؤمنين عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير بأحوال العباد، وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق أو قبض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧]. وعلى كل أحد أن يرضي بما قسم له علمًا بأن ما قسم له هو مصلحته، ولو كان خلافه لكان مفسدًا له، ولا يحسد أخاه على حظه.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ لكل فريق نصيب خاص من الأجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلة ما يليق بهم من الأعمال كالجهاد ونحوه وللنساء كذلك، فالتمني حينئذ غير نافع، فالاشتغال به مجرد عناء، ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد من جميع مصالحكم فى الدين والدنيا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ يعطي من يعلمه أهلاً لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما نهاهم عن حسد الغير وأمرهم بسؤال الله ﷻ علل ذلك بأن الله الملك الأعظم الذي بيده مقاليد كل شيء كان بكل شيء عليمًا، فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض، وما يصلح لكل منكم فإياكم والاعتراض بتمنٍّ أو غيره، وهو عالم أيضًا بسؤالكم من فضله فيستجيب لكم[1].

---

(١) راجع تفسير آية ٣٢ من سورة البقرة في كل من الكشاف للزمخشري ١/ ٥٠٤، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ٩/ ٦٤، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٢٥٠.

قال تعالى:

﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٣٩].

لما تقدم ذكر من اتصف بالبخل والأمر به، وكتمان فضل الله، والإنفاق رئاءً، وانتفاء إيمانه بالله واليوم الآخر وذكر أن ذلك من نتائج مقارنة الشيطان ومخالطته، وملازمته للمتصف بذلك، فهي شر محض إذ تجمع بين سؤ الاعتقاد وسائر الأوصاف المذمومة، ذمهم في هذه الآية ووبخهم وتلطف في استدعائهم فبدأ بالإيمان بالله واليوم الآخر إذ بذلك تحصل السعادة الأبدية.

تأويل الآية:

أي شيء على هؤلاء الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لو صدقوا بأن الله واحد لا شريك له، وأخلصوا له التوحيد، وأيقنوا بالبعث بعد الممات، ثم عطف عليه الإنفاق أي وأدوا زكاة أموالهم التي رزقهم الله، وأعطوها طيبة بها أنفسهم، إذ به يحصل نفي تلك الأوصاف الذميمة من البخل، والأمر به، وكتمان فضل الله، والإنفاق رئاء الناس.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾: خبر يتضمن وعيدًا وتنبيهًا على سوء بواطنهم وأنه تعالى مطلع على ما أخفوه في أنفسهم لا تخفى عليه خافية، لذا ناسب ختم الآية باسم (العليم)[1] ولأن الإيمان سر بين العبد وربه لا يطلع عليه إلا الله.

---

(١) راجع تفسير آية ٣٩ من سورة النساء في كل من جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ١٠٠ البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦٤٠.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء:٧٠].

لما ذكر المولى ﷻ أن من يطع الرسول فهو مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فكأن سائلاً سأل: وما الموجب لهم استواؤهم مع النبيين في الآخرة مع أن الفرق بينهم في الدنيا بين؟ فذكر أن ذلك (فضل الله).

أو (ذلك) إشارة إلى كل ما تقدم ذكره من وصف الثواب بأنه فضل من عند الله وبرحمته، وهو الذي أهّلهم لذلك لا بأعمالهم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾: أي هو عليم بمن يستحق الهداية والتوفيق.

مناسبة الخاتمة للآية:

اسم (عليم) له موقع عظيم في توكيد ما تقدم من الترغيب في طاعة الله؛ لأنه تعالى نبه بذلك على انه يعلم كيفية الطاعة وكيفية الجزاء والتفضل، وذلك مما يرغب المكلف في كمال الطاعة والاحتراز عن التقصير.

أي لما ذكر الطاعة وذكر جزاء من يطيع أتى بصفة العلم التي تتضمن الجزاء وكفى به مجازيًا لمن أطاع[1].

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٢٧].

---

(١) راجع تفسير آية ٧٠ من سورة النساء في كل من مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ١٤٠، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٧٠٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٢٤.

هذه الآية تعالج بعض رواسب المجتمع الجاهلي فيما يختص بالمرأة والأسرة، وفيما يختص بمعاملة الضعاف في المجتمع كاليتامى والأطفال، وتنقية المجتمع المسلم من هذه الرواسب.

لقد أثارت الآيات التي نزلت في أوائل السورة عن النساء أسئلة واستفتاءات في بعض شأنهن، وكانت هذه الأسئلة والاستفتاءات لها دلالتها في رغبة المسلمين في معرفة أحكام دينهم في شئون حياتهم.

فهم كانوا يستفتون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتفضل المولى ﷻ بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾: وهي لفتة لها قيمتها في تكريمه تعالى للجماعة المسلمة.

فقد كانت اليتيمة تلقى من الطمع والغبن، الطمع في مالها، والغبن في مهرها إن هو تزوجها يأكل مهرها ومالها، والغبن إن لم يتزوجها كراهة لها منعها أن تتزوج حتى لا يشاركه زوجها فيما تحت يده من مالها، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: «هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته في ماله حتى في العذق[1] فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها. فنزلت الآية»[2].

كذلك كان الحال في الولدان الصغار إذ كانوا يحرمونهم من الميراث لأنهم غير محاربين فأمرهم أن يعطوهم حقهم من الميراث وغيره ولا يستولوا على أموالهم

---

(١) العذق: بفتح العين: النخلة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ حديث (٤٦٠٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ١١٤.

على وجه الظلم والاستبداد، وأن يقوموا على مصالحهم خير قيام.

ثم حث على الإحسان عمومًا فقال:

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ خير لليتامى ولغيره سواء كان خيرًا متعديًا أو لازمًا، فقد أحاط علمه تعالى بعمل العاملين للخير.

مناسبة الخاتمة للآية:

بعد أن بين حقوق اليتيمات، وحقوق الولدان الضعاف ربط هذه الحقوق وهذه التوجيهات كلها بالمصدر الذي جاء من عنده هذا المنهج ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ لن يضيع خير سجل عند الله، وهذا هو المرجع الأخير الذي يعود إليه المؤمن بعمله والجهة الوحيدة التي يتعامل معها في نيته وجهده، وذلك حتى يسارعوا إلى العمل ويطمئنوا إلى المجازاة، واقتصر على ذكر فعل الخير لأنه هو الذي رغب فيه[1].

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء:١٢٧].

وكما بدأت السورة بعلاقات الأسرة، وتكافلها الاجتماعي، وتضمنت الكثير من التنظيمات الاجتماعية في ثناياها.. تختم بتكملة أحكام الكلالة وهو المورث الذي

---

(١) راجع تفسير آية ١٢٧ من سورة النساء في كل من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦١ البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٨٥، في ظلال القرآن سيد قطب ٢/ ٧٦٤.

ليس له والد ولا ولد وله إخوة، ففي الآية السابقة كانت الإخوة من جهة الأم وفي هذه الآية الإخوة من جهة الأب سواء كانوا أشقاء أم لا، فإن كان للمورث الذي ليس له والد ولا ولد أخت من أبيه فلها نصف ما ترك، وهو يرث تركتها – بعد أصحاب الفروض - إن لم يكن لها ولد ولا والد فإن كانتا أختين فلهما الثلثان مما ترك، وإن تعددت الإخوة والأخوات فللذكر مثل حظ الأنثيين – حسب القاعدة العامة في الميراث – كذلك يبين الله لكم فرائضه ويحد لكم حدوده ويوضح لكم شرائعه لئلا تضلوا عن الحق بعد البيان، والله بكل شيء عليم، عليم بعواقب الأمور، عليم بالمصالح وما فيها من الخير لعباده، وما يستحقه كل واحد من القرابات.

مناسبة الخاتمة للآية:

ونختم آية الميراث وتختم معها السورة بذلك التعقيب القرآني الذي يرد الأمور كلها لله، ويربط تنظيم الحقوق والواجبات، والأموال وغير الأموال بشريعة الله.

والله بكل شيء من الميراث وغير الميراث عليم فيكون بيانه حقًا وتعريفه صدقًا، ومن ثبت له كمال العلم ثبتت له الربوبية والألوهية والجلالة والعزة ويجب على العبد أن يكون مطيعًا لأوامره ونواهيه منقاداً لكل التكاليف(١).

الآيات التي ختمت باسم (الشهيد):

قال تعالى:

١- ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ

---

(١) راجع تفسير آية ١٧٦ من سورة النساء في كل من مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ١١/ ٩٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٩٤، في ظلال القرآن سيد قطب ٢/ ٨٢٣، ٨٢٤.

عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٣٣].

٢- ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٩].

٣- ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٦٦].

قال تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٣٣].

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ ﴾ أي: ورثة، ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾: من تركة والديه وأقربيه من الميراث، فتأويل الكلام: ولكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثونه مما ترك والداه وأقربوه من ميراثهم له، والذين عقدت أيمانكم الحلف بينكم وبينهم، يعني مواثيقكم أني واثق بعضهم بعضا فآتوهم نصيبهم.

واختلف في هذه الآية هل هي منسوخة أو غير منسوخة، فكان هناك قولان:

القول الأول: الذين قالوا بالنسخ فقد فسروا الآية بأحد هذه الوجوه الثلاثة:

الوجه الأول: أنهم في الجاهلية كانوا يتوارثون بالحلف فأوجب الله في الإسلام من بعضهم لبعض بذلك الحلف من التوارث، مثل الذي كان لهم في الجاهلية، ثم نسخ ذلك بما فرض من الفرائض لذوي الأرحام والقربات.

الوجه الثاني: نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فكان بعضهم يرث بعضًا بتلك المؤاخاة، ثم نسخ الله ذلك بالفرائض بقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ قال: «ورثة ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي الأرحام للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم فلما نزلت ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ﴾ نسخت ثم قال والذين عقدت إيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصي له»[1].

الوجه الثالث: نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية فأمروا في الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت وصية.

فهذه الوجوه الثلاثة كانت المعاقدة فيها سببًا للتوريث بقوله تعالى: ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ ثم نسخت.

القول الثاني: الذين قالوا إن الآية غير منسوخة ويكون تقدير الآية على ثلاثة وجوه،

الوجه الأول: ولكل شيء مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم موالي ورثة فآتوهم نصيبهم، أي فأتوا الموالي والورثة نصيبهم، فقوله ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ معطوف على قوله ﴿الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفرائض باب ذوي الأرحام حديث (٦٧٤٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢/ ٣٠، وكتاب التفسير باب ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ ....﴾ حديث (٤٥٨٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ٩٦.

الوجه الثاني: المراد بالذين عقدت أيمانكم: الزوج والزوجة، والنكاح يسمى عقدا.

الوجه الثالث: أن يكون المراد من ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ الحلفاء، والمراد بقوله: ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ النصرة والنصيحة والمصافاة في العشرة، وعلى هذا التقدير فلا ناسخ.

الراجح:

إذا كان المقصود بالنصيب في هذه الآية التوارث، فالتوارث بالحلف نسخ بآية المواريث، وإذا كان المقصود بالنصيب المؤاخاة في الإسلام، والمحالفة على طاعة الله، والتناصر في الدين، والتعاون على البر والتقوى وإقامة الحق فهي باقية لم تنسخ.

﴿وَٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ عالمًا بجميع الأشياء مطلعًا على جليها وخفيها.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر تعالى تشريع المواريث وأمر بإيتاء النصيب أخبر تعالى أنه مطلع على كل شيء فهو المجازي به، وفي ذلك تهديد للعاصي، ووعد للمطيع وتنبيه على أنه شهيد على المعاقدة بينكم والصلة فأوفوا بالعهود[1].

---

(١) راجع تفسير آية (٣٣) من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٤/ ٦٠-٦٧، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ٧٠، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦٢٢، التفسير العظيم لابن كثير ١/ ٤٨٩.

قال تعالى:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٧٩].

أخبر تعالى على سبيل الاستئناف والقطع أن ما أصاب الإنسان من نعمه وإحسان في الدين والدنيا فمن الله تفضلاً منه وإحسانًا ومنه وامتحانًا، وما أصابه من بلية ومعصية في الدين والدنيا فمن نفسه؛ لأنها السبب في ما اكتسبت يداه، وإن كانت من حيث الإيجاد منسوبة إليه تعالى نازلة من عنده عقوبة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠].

﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾: بيان لجلال منصبه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومكانته عند الله، أرسلناك للناس جميعا وليس للعرب خاصة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا .. ﴾ [الأعراف:١٥٨].

ليبلغكم شرائع الله وما يحبه الله ويرضاه، ويكرهه ويأباه.

﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾: حسبك الله تعالى ذكره شاهدًا لك في بلاغك رسالتك، فإنه لا يخفي عليه أمرك وأمرهم[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر المولى ﷻ أنه أرسل محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً ناسب ذلك اسم (شهيد) ليقطع أي شك في ذلك من أعدائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرهم.

---

(١) راجع تفسير آية٧٩ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٢٠٧، الكشاف للزمخشري ١/ ٥٣٨، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٧١٩.

قال تعالى:

﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦].

لما تضمن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٣]. إلى آخر السياق إثبات نبوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ أي وإن كفر به من كفر ممن كذبك وخالفك فالله يشهد لك بأنك رسوله، الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

ولهذا قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من صفاته تعالى المقدسة.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أي ما أنزل الله إليك، وشهادة الملائكة تبع لشهادة الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا على سبيل التسلية له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تكذيب اليهود:

إن كذبك اليهود وكذبوا ما جئت به من الوحي فلا تبال فإن الله يشهد لك وملائكته فلا تلتفت إلى تكذيبهم. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ حسبك الله شاهدًا على صدقك دون ما سواه من خلقه[١].

مناسبة الخاتمة للآية:

هذه الخاتمة هي ما قال عنها البلاغيون «التصدير» ومعناه: ختم الآية بلفظ

---

(١) راجع تفسير آية ١٦٦ من سورة النساء في كل من مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ١١/ ٨٦، البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ١٤١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٨٩.

ذكر فيها: (ولكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدًا) وذلك للفت الأنظار، وجذب السامعين نحوه وإصغائهم إلى سماع هذه الألفاظ المكررة المختلفة في المعنى فيتمكن المراد من القلب ويقوى الوجدان[1]. فيكون في ذلك تسلية للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد تكذيب اليهود له وفي نفس الوقت يكون إفحامًا لليهود.

قال تعالى:

١- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٥].

٢- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:٩٤].

٣- ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٢٨].

٤- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٣٥].

---

(١) انظر أقسام الفاصلة من ناحية المعنى من البحث ص ٦٩.

قال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٥].

لما ذكر المولى ﷻ الحال الأول وهو إذا كان النفور والنشوز من الزوجة ذكر الحالة الثانية وهي إذا كان النفور من الزوجين، فقال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾: عند خوف الشقاق أي قبل أن يقع الشقاق فعلا يلجأ الإسلام إلى هذه الوسيلة: يبعث حكماً من أهل الزوج يرتضيه وحكما من أهل الزوجة ترتضيه، يجتمعان في هدوء بعيدًا عن الانفعالات النفسية، والرواسب الشعورية التي كدرت صفو الحياة الزوجية، ويكونان حريصين على الأسرة، بريئين من الرغبة في غلبة أحدهما على الآخر، راغبين في خير الزوجين، وفي الوقت ذاته هما مؤتمنان على أسرار الزوجين لأنهما من أهلهما، يجتمع الحكمان للإصلاح فإن كانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما ـ أو إن كان الزوجان يريدان إصلاح ما بينهما، وأن يزول عنهما الشقاق يطرح الله الألفة بينهما، وأبدلهما بالشقاق وفاقاً وبالبغضاء مودة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾: يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال:٦٣].

فيوقع بين الزوجين الموافقة والألفة ويلقي في نفوسهما المودة والرحمة.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا﴾ فهو تعالى المطلع على الخفايا عليم بما أراد الحكمان أو الزوجان من الاصلاح.

﴿يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ خبير بما يصلح لهما، أي عليم بالسرائر وخبير بالصوالح لذا

ناسب ختم الآية باسم ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

والآية دالة على أنه لا يتم شيء من الأغراض والمقاصد إلا بتوفيق الله[1].

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

لما ذكر المولى ﷻ جزاء من قتل مؤمنًا متعمدًا وأن له جنهم، وذكر غضب الله عليه ولعنته، وإعداد العذاب العظيم له أمر المؤمنين بالتثبت والتبين وأن لا يقدم الإنسان على قتل من أظهر الإيمان.

روى البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «كان رجلاً في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم فقتلوه، وأخذوا غنيمته فأنزل الله في ذلك إلى قوله: ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾»[2].

فمقصود هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل ضعيف.

الآيــة:

أمر المولى ﷻ المؤمنين إذا ساروا إلى الجهاد وفي سبيل الله أن يتثبتوا ويتأنوا في قتل

---

(١) راجع تفسير آية ٣٥ من سورة النساء في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٥٠٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٦٢، في ظلال القرآن سيد قطب ٢/ ٦٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ١٠٧.

من أشكل عليهم أمره فلم يعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم وحياكم بتحية الإسلام لست مؤمنا، فتقتلوه طلبًا للغنيمة التي هي حطام سريع النفاد وعلل النهي عن ابتغاء ماله بما فيه الوعد الضمني كأنه قال لا تبتغوا ماله فعند الله ﴿مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ من الرزق الحلال خير لكم من مال هذا، وقد كنتم من قبل هذه الحالة كهذا الذي يسر إيمانه ويخفيه من قومه كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].

فقد كنتم تخفون إيمانكم عن قومكم خوفًا على أنفسكم حتى منَّ الله عليكم بإعزاز الدين وهزيمة المشركين، فهم الآن كذلك كل واحد في قومه متربص أن يصل إليكم فلا يصلح أن تقتلوه حتى تتبينوا أمره.

﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ تكرير الأمر بالتبيين ليؤكد عليهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يعلم ما أقدمتم عليه من تبيَّن وغيره فاحذروه والجملة تهديد ووعيد عن مخالفة أمر الله[1].

مناسبة الخاتمة للآية.

لما كانت الدوافع إلى القتل محلها النية، والنية لا يعلمها إلا الخبير، لذا ناسب ذكر اسم (الخبير) في ختام هذه الآية.

---

(١) راجع تفسير آية ٩٤ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٢٦٧، الجامع في أحكام القرآن للطبري ٣/ ٢١٨، البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٣٤.

قال تعالى:

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٢٨].

﴿خَافَتْ﴾: توقعت أو تيقنت، نشوزًا: بغضًا أو إعراضًا.

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾: أن الشح جعل حاضرًا لها لا يغيب عنها أبدًا ولا تنفك عنه، يعني أنها مطبوعة عليه.

يقول تعالى مخبرًا ومشرعًا من حال الزوجين: ما إذا توقعت أو تيقنت المرأة من زوجها أن ينفر عنها أو يعرض عنها فلها أن تسقط عنه حقها أو بعضه من نفقة أو كسوة أو مبيت أو غير ذلك من حقوقها عليه، وله أن يقبل ذلك فلا حرج عليها في بذلها له، ولا عليه في قبوله منها، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾.

قالت: «الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك»[1].

ويكون قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أن صلحهما على ترك بعض حقها للزوج، وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء:١٢٨]، حديث (٤٦٠١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٨/ ١١٤.

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾: النفس مطبوعة على الشح بأنواعه، الشح بالمال والشح بالمشاعر، وقد تعرض للحياة الزوجية أسباب تستثير هذا الشح في نفس الزوج تجاه زوجته فيكون تنازلها له عن شيء من صداقها أو من نفقتها إرضاء لهذا الشح بالمال تستبقي معه عقدة النكاح، وقد يكون تنازلها عن ليلتها إن كانت له زوجة أخرى أثيرة لديه والأولى لم يعد فيها حيوية أو جاذبية إرضاء لهذا الشح بالمشاعر تستبقي معه عقدة النكاح، والأمر على كل حال متروك للزوجة وتقديرها لما تراه مصلحة لها، لا يلزمها المنهج الرباني بشيء ولكنه فقط يجيز لها التصرف ويمنحها النظر والتدبر في أمرها وفق ما تراه ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ يعني: وإن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نسائكم إذا كرهتم منهن دمامة أو خلقًا بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف، وتتقوا الله فيهن بترك الجور منكم عليهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يعني عالمًا خابرًا لا يخفى عليه منه شيء.

وهو ندب من الله تعالى إلى الإحسان في العشرة على النساء وإن كرهن ذلك، ووعد بحسن الجزاء[1].

وناسب ختم الآية باسم (الخبير) لمناسبة التقوى التي تتطلب علمًا ببواطن الأمور.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا

---

(١) راجع تفسير آية ١٢٨ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٣٦٤، الكشاف للزمخشري ١/ ٥٧١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦١ في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٧١.

تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٣٥].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يجتهدوا في إقامة العدل حتى لا يجوروا، وأن يقيموا شهاداتهم ابتغاء وجه الله فحينئذ تكون صحيحة عادلة خالية من التحريف والتبديل والكتمان، ولهذا قال ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي أشهد الحق ولو عاد ضررها عليك، أو على والديك، أو على قرابتك فإن الحق حاكم على كل أحد، وجاء هذا الترتيب في الاستقصاء في منتهى الحسن والترتيب والفصاحة فبدأ بقوله ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنه لا شيء أعز على الإنسان من نفسه، ثم ذكر الوالدين وهما أقرب إلى الإنسان وسبب نشأته، ثم ذكر الأقربين وهم مظنة المحبة والتعصب، وإذا كان هؤلاء أمر في حقهم بالقسط والشهادة عليهم فالأجنبي أحرى بذلك.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾: أي لا ترعاه لغناه، ولا تشفق عليه لفقره والله يتولاهما بل هو أولى بهما وأعلم بما فيه صلاحهما.

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾: يعني اتركوا متابعة الهوى لأجل أن تعدلوا، فلا يحملنكم الهوى والعصبية على ترك العدل في أموركم وشئونكم بل الزموا العدل على أي حال كان.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾: اللَّيّ هو: التحريف وتعمد الكذب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧٨]. والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من لي الألسنة والإعراض بالكلية أو من جميع الأعمال التي من جملتها ما ذكر ﴿خَبِيرًا﴾ فيجازيكم -لا

محالة- على ذلك فهو تهديد ووعيد للمذنبين، ووعد بالإحسان للمطيعين[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان أمر الشهادة خطيرًا ويترتب عليه حقوق للغير؛ لذا ناسب ختم الآية باسم الخبير ليتذكر المؤمن أن الله خبير بما يعمل ليستشعر ما وراء هذا من تهديد خطير، يرتجف له كيانه كله ويجعله يلتزم بالعدل والحق.

قال تعالى:

١- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء:٥٨].

٢- ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء:١٣٤].

٣- ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٨].

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء:٥٨].

لما ذكر تعالى وعد المؤمنين وذكر عمل الصالحات نبه على هذين العملين الشريفين اللذين من اتصف بهما كان أحرى أن يتصف بغيرهما من الأعمال

---

(١) راجع تفسير آية ١٣٥ من سورة النساء في كل من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦٥، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ٢٠٦، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٧٦.

الصالحة، فأحدهما ما يختص به الإنسان فيما بينه وبين غيره وهو أداء الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، والثاني ما يكون بين أثنين من الفصل بينهما بالحكم العدل الخالي من الهوى، وهو من الأعمال العظيمة التي أمر الله بها رسله وأنبياءه.

ولما كان الترتيب الصحيح أن يبدأ الإنسان بنفسه في جلب المنافع، ودفع المضار، ثم يشتغل بحال غيره، أمر بأداء الأمانة أولاً ثم بعده الأمر بالحكم بالعدل.

الآيــة:

الأمانات: كل ما اؤتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به، فأمر الله عباده بأدائها كاملة موفورة لا منقوصة ولا مبخوسة، ويدخل في ذلك جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله على عباده من الصلاة والزكاة والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ولا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع والأسرار، وغير ذلك مما يؤتمنون به.

﴿إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾: دلالة على أنها لا تدفع وتؤدي لغير المؤتمن، فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديًا لها.

﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾: أمر تعالى من يحكم بين الناس أن يحكم بالعدل، والمراد بالعدل هو ما شرعه على لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الحدود والأحكام – وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به.

ولما كانت هذه الأوامر حسنة عادلة قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ هذا مدح من الله لأوامره ونواهيه لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما لأن شارعهما ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ الذي لا يخفى عليه خافية ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون.

مناسبة الخاتمة للآية:

أنه تعالى لما أمر في هذه الآية بالحكم على سبيل العدل وأداء الأمانة قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي إذا حكمتم بالعدل فهو سميع لكل المسموعات يسمع ذلك الحكم، وإن أديتم الأمانة فهو بصير بكل المبصرات يبصر ذلك ولا شك أن هذا أعظم أسباب الوعد للمطيع، وأعظم أسباب الوعيد للعاصي[1].

أداء الأمانة حركة في الحياة لذا ناسب اسم (البصير) والحكم قول لذا ناسب اسم (السميع)، وقدم اسم (السميع) على (البصير) لمجاورة الحكم كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾[آل عمران:١٠٦].

قال تعالى:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:١٣٤].

يوجه المولى ﷻ القلوب الطامعة في الدنيا وحدها إلى أن فضل الله واسع، وفي استطاعة الذين يقصرون همهم على الدنيا أن يتطلعوا بأنظارهم وراءها وأن يأملوا في خير الدنيا وخير الآخرة، ولا يكتفي بثواب الدنيا فقط فهو كالعدم بالنسبة إلى ثواب الآخرة، وحثهم على ذلك بالإقبال على الله فإن عنده تعالى ثواب الدنيا الفانية، والآخرة النفيسة الباقية، فليطلبا منه، ويستعان به عليهما فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة به والافتقار إليه.

---

(١) راجع تفسير آية ٥٨ من سورة النساء في كل من: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ١٤٤، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦٨٤، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١٨٣.

ولما كان الناشئ عن الإرادة إما قولاً (كالدعاء) أو فعلاً (كالعبادة والتقرب إلى الله بفعل الخيرات مثلا) لذا ناسب ختم الآية باسم (السميع) لأقوالهم، و(البصير) بأعمالهم[1].

قال تعالى:

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨].

الجهر بالسوء من القول – في أية صورة من صورة – سهل على اللسان ما لم يكن هناك تحرج في الضمير وتقوى لله، وشيوع هذا السوء كثيرًا ما يترك آثارًا عميقة في ضمير المجتمع، كما يدمر الثقة المتبادلة في هذا المجتمع فيخيل إلى الناس أن الشر قد صار غالبًا، وقد يستقبح الإنسان السوء أول مرة بشدة، حتى إذا تكرر وقوعه أو تكرر ذكره خَفت حدة استقباحه والاشمئزاز منه، وسهل على النفوس أن تسمع – بل أن ترى، ولا تثور للتغيير على المنكر.

ذلك كله فوق ما يقع من الظلم على من يتهمون بالسوء ويشاع عنهم – وقد يكونون أبرياء.

إن الجهر بالسوء يبدأ في أول الأمر اتهامات فردية – سبًا وقذفًا – وينتهي انحلالاً اجتماعيًا، وفوضى أخلاقية، تضل فيها تقديرات الناس بعضهم لبعض أفراداً وجماعات وتنعدم فيها الثقة بين الناس بعضهم وبعض.

---

(١) راجع تفسير آية ١٣٤ من سورة النساء في كل من البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٩٣، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٣٢٣، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٧٢.

لذلك كله كره الله للجماعة المسلمة أن تشيع فيها قالة السوء، وأن يقتصر حق الجهر بها على من وقع عليه ظلم، يدفعه بكلمة السوء يصف بها الظالم في حدود ما وقع عليه منه من ظلم لينتصف المجتمع للمظلوم، وليضرب على يد الظالم، وليخشى الظالم عاقبة فعله فيتردد في تكراره، عندئذ يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبررًا له، ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا مطلق التشهير.

وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطيق معه الظلم، وحرصه على الأخلاق التي لا يطيق معها خدشاً للحياء النفسي والاجتماعي.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾: ليربط الأمر في النهاية بالله بعد ما ربطه في البداية بحب الله وكرهه، وليشعر القلب البشري أن مرد تقدير النية والباعث، وتقدير القول والاتهام لله السميع لما يقال العليم بما وراءه مما تنطوي عليه الصدور[1].

لذا ناسب ختم الآية باسم ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول، و﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالظالم والمظلوم.

ملاحظات عامة على الآيات

١- تضمن المبحث الذي اشتمل على أسماء تدل على إحاطته تعالى الكاملة..

على أربعة وعشرين اسمًا منها ثمانية ختمت الآيات فيها باسم ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ وآية واحدة بـ﴿عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ وخمس آيات ختمت بقوله تعالى: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وثلاث آيات باسم ﴿شَهِيدٌ﴾ أربع آيات باسم ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ وثلاث آيات باسم ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ منها اثنتان بقوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وآية واحدة بـ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وذلك بترتيب ورود الآيات في سورة النساء.

---

(١) راجع تفسير آية ١٤٨ من سورة النساء في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٩٦ بتصرف.

العليم الحكيم ← ٨

عليم حليم ← ١

عليم ← ٥

الشهيد ← ٣

الخبير ← ٤

السميع البصير ← ٢

السميع العليم ← ١

٢- وقع في القرآن الكريم خاصة سورة النساء إخبار لله تعالى عن أسمائه وصفاته بلفظ (كان) كثيرا، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨].

فالمراد الإخبار عن وجود الصفة. وأنها لم تفارق ذاته، ولهذا يقدرها بعضهم بمازال مراراً مما يسبق إلى الوهم، وهو تكلف لا حاجة إليه وإنما هي عبارة عن وجود الصفة في زمن ماضٍ، وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ[١]».

٣- في آيات المواريث عندما اشتملت الآية على قوله تعالى ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جاءت الخاتمة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ باسم ﴿عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ وذلك كما في الآيتين ١١، ٢٤، وعندما اشتملت على وصية جاءت الخاتمة باسم ﴿عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ كما في آية ١٢.

---

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي. ٤/ ١٢٢ بتصرف (أحكام لألفاظ يكثر دورانها في القرآن الكريم).

٤- آيات سورة البقرة التي ذكر فيها ﴿التَّوْبَةُ﴾ صراحة ختمت باسم ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ نحو قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

أما الآيات في سورة النساء ختمت باسم ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ نحو قوله تعالى ﴿يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧].

وذلك أن الآيات في سورة البقرة كانت تتحدث عن سبب توبة الله على عباده.

أما الآيات في سورة النساء فتضمنت عملاً ونية؛ لذا ناسب اسم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنياتهم ﴿الْحَكِيمُ﴾ إذا قبل توبتهم فتكون لحكمة.

٥- الآيات التي ختمت باسم (الشهيد) تضمنت شهادة على عقد، شهادة على إرسال الرسول لذا ناسب ختمها باسم (الشهيد).

٦- الآيات التي ختمت باسم ﴿الْخَبِيرُ﴾ تضمنت إصلاحًا بين الأزواج وأمرًا بالتثبت وصلحًا وإحسانًا وتقوى وعدلاً؛ لذا ناسب ختمها باسم ﴿الْخَبِيرُ﴾.

٧- الآيات التي ختمت باسم ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ تضمنت قولاً وعملاً فناسب اسم ﴿السَّمِيعُ﴾ للأقوال، و﴿الْبَصِيرُ﴾ للأعمال.

وآية ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تضمنت قولاً ونية، فناسب ختمها باسم ﴿السَّمِيعُ﴾ للأقوال، و﴿الْعَلِيمُ﴾ بالنيات.

المَبحَثُ الثَالِثُ

اسماء تدل على صفتي الحب والرحمة تدل على جمال الله ورحمته

قال تعالى:

١- ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٦].

٢- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤].

قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٦].

اللذان يعملان الفاحشة من البكرين غير المحصنين فآذوهما، والأذى قد يقع بكل مكروه نال الإنسان من قول باللسان أو فعل، وهذه الآية نسخت بالآية الأخرى من سورة النور في قوله تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢].

فإن رجعا عن الذنب الذي فعلاه وندما عليه، وعزما على ألا يعودا وأصلحا العمل

بالاستمرار على ما عزما عليه فاتركوا أذاهما فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي رجوعًا بعباده عن معصيته إلى طاعته، رحيمًا لم يترك أذاهم إذا تابوا.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما أمر المولى ﷻ بكف الأذى عن المذنبين إذا تابوا وأصلحوا علل ذلك بكونه تعالى: ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فالخاتمة تعليل للأمر بالإعراض، وليدعوا عباده إلى التخلق بفعله سبحانه فيرحموا المذنبين إذا تابوا [1].

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤].

يقول تعالى: وما من رسول أرسله الله إلا ليطاع بإذن الله فتكون طاعته طاعة لله – والمولى ﷻ لم يرسل الرسل لمجرد التأثر الوجداني، والشعائر التعبدية فهذا وهم من فهم الدين لا يستقيم معه حكمة إرسال الرسل، وهي إقامة منهج معين للحياة في واقع الحياة أي إقامة شريعة ونظام واستسلام لمنهج الله، وتحاكم إلى شريعة الله وطاعة للرسول ﷺ فيما بلغ عن ربه وإفراد الله سبحانه بالألوهية (شهادة أن لا إله إلا الله) ومن ثم إفراده بالحاكمية التي تجعل التشريع ابتداء حقًّا لله لا يشاركه فيه سواه.

---

(١) راجع تفسير آية ١٦ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للقرطبي ٣/ ٤/ ٣٠٨، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٥٦٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٦٣.

أما الذين ظلموا أنفسهم بميلهم عن هذا المنهج من العصاة والمذنبين فيرشدهم المولى ﷻ إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم -أي يشفع لهم الرسول في غفران ذنوبهم، فإنهم إن فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ والآية دالة على الجزم بأن الله تعالى يقبل توبة التائب لقوله تعالى بعد ما ذكر عنهم الاستغفار: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ هو يقبل توبتهم ويرحم تضرعهم وجاءت الخاتمة ﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ مناسبه بعد ذكر الاستغفار.

والله تواب في كل وقت على من يتوب، والله رحيم في كل وقت على من يؤوب، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يصف نفسه بصفته، ويعد العائدين إليه، المستغفرين من الذنب قبول التوبة وإفاضة الرحمة، والذين تناولهم هذا النص ابتداء كان لديهم فرصة استغفار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد انقضت فرصتهم وبقى باب الله مفتوحًا لا يغلق، وظل وعده قائمًا لا ينقض فمن أراد فليقدم ومن عزم فليتقدم[1].

قال تعالى:

١- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ

(١) راجع تفسير آية ٦٤ من سورة النساء في كل من: مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ١٣٠، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٩، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٦٩٦.

ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣].

٢- ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النساء:٢٥].

٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء:٢٩].

٤- ﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٦].

٥- ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٠].

٦- ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٦].

٧- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

٨- ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟

كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٢٩].

٩- ﴿ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٢].

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٢٣].

هذه الآية الكريمة آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾ فالأمهات والبنات محرم نكاحهن منذ عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾

﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ ﴾ وقد نزل المولى ﷻ الرضاعة منزلة النسب، حتى سمى المرضع أمًّا، والمراضعة أختًا، وكذلك زوج المرضعة سمي أباه، وأبواه سميا جديه، وأخته عمته، وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم من إخوته وأخواته لأبيه، وأم

المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من الزوج فهم من إخوته وأخواته من أبيه وأمه، ومن ولد لها من غيره فهو من أخواته لأمه، ومنه قوله ﷺ: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»[1].

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾.

معناه أن الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل، حلال له إذا لم يدخل بها، والربيبة هي ابنة المرأة من غيره سميت ربيبة لأنه يربيها كما يربي ابنه في غالب الأمر.

وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم، وحرم عليكم الجمع بين الأختين، والمراد حرمة النكاح إلا ما مضى فإنه غفور لذنوب عباده إذا تابوا إليه منها بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

مناسبة الخاتمة للآية:

هذه الآية تكلمت عن تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر لذا ناسب الخاتمة اسم ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لأنها حرمت أشياء كانوا يفعلونها قبل التحريم فرغبهم المولى ﷻ باسم ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ في تحريم ما حرمه الله وأنه غفور لهم ما سبق.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ويحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٩/ ٤٣ حديث (٥٠٩٩).

(٢) راجع تفسير آية ٢٣ من سورة النساء في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٤٩٦ البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٥٨٣.

كذلك فإن كل آيات التحريم كانت خاتمتها ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ لأن الهدف من التشريعات ليس التضييق على الناس وتعسير الحياة عليهم، فلقد جاء هذا الدين ليرفع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

فتأتي الخاتمة باسم ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ رغبة في إصلاح العباد والرحمة بهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء:٢٥].

الطول: الغنى والفضل ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه – المحصنات: الحرائر، غير مسافحات: غير زانيات جهراً لكل من أراد أخداناً أخلاء، العنت: أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر. هذه الآية تنظم طريقة نكاح الإماء، والظروف المبيحة لذلك، فلم يبح الإسلام لغير سادتهن مباشرتهن إلا أن يكون ذلك عن طريق الزواج، فالإسلام يؤثر الزواج من حرة في حالة القدرة، ذلك أن الحرة تحصنها الحرية ففي نفسها أنفة وفي ضميرها عزة تأبى السفاح والانحدار، وجعل الزواج من غير الحرة رخصة في حالة عدم القدرة، مع المشقة في الانتظار، وجعل لذلك شروطاً فيجب أن يكنَّ مؤمنات، ويجب أن ينكحن بإذن سادتهن ويجب أن يعطين مهورهن فريضة لهن لا لسادتهن وأن تكون هذه المهور في صورة صداق، وأن يكون الاستمتاع بهن في صورة نكاح لا مخادنة ولا سفاح.

ثم يقرر الإسلام عقوبة مخففة على من ترتكب الفاحشة من هؤلاء الفتيات بعد إحصانها بالزواج فجعل حد الأمة بعد إحصانها نصف حد الحرة قبل زواجها وهي عقوبة الجلد، ولا يكون في عقوبة الرجم إذ لا يمكن قسمتها، ثم تنتهي الآية ببيان أن الزواج من الإماء رخصة لمن خشي المشقة أو الفتنة، ومع هذا فمن استطاع الصبر في غير مشقة ولا فتنة فهو أفضل لما فيه من تعريض الأولاد للرق، فالآية تهيب بالصبر حتى تتهيأ القدرة على نكاح الحرة.

فهي دالة على تحذير نكاح الإماء ولا يجوز الإقدام عليه إلا عند الضرورة.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: تعقيب على الاضطرار لنكاح غير الحرائر، وتعقيب على تخفيف عقوبة الإماء فمغفرة الله ورحمته وراء كل خطيئة ووراء كل اضطرار[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء:٢٩].

ينهى المولى ﷻ عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بالباطل وهذا يشمل كل طريقة لتداول الأموال بينهم لم يأذن بها الله أو نهى عنها كالغش، والرشوة، والسرقة، والقمار، واحتكار الضروريات لإغلائها، وجميع أنواع البيوع المحرمة، والربا في مقدمتها، واستثنى العمليات التجارية التي تتم عن تراضٍ بين البائع والمشتري، وخصَّ التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلقة بها.

---

(١) راجع تفسير آية ٢٥ من سورة النساء في كل من الكشاف للزمخشري ١/ ٤٩٩ من مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ٥٢، في ظلال القرآن سيد قطب ٢/ ٦٣٠.

ثم نهى المولى ﷻ عن أن يقتل بعض الناس بعضًا، أو يقتل الإنسان نفسه، ويدخل في ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى الهلاك، ويدخل فيها أكل الأموال بالباطل.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ : ومن رحمته أن صان أموالكم، ونفوسكم ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها والخاتمة تعليل للنهي في الآية أي مبالغًا في الرأفة والرحمة لذلك نهاكم عما نهاكم عنه، فإن في ذلك رحمة عظيمة لكم[1].

قال تعالى:

﴿ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٩٦].

هذه الآية والسابقة عليها في فضل المجاهدين في سبيل الله، فبعد أن نفى المولى ﷻ التسوية بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد درجة ثم ذكر الجامع للأمرين لئلا يتوهم احد ذم المفضل عليه فقال: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ كل فريق من القاعدين والمجاهدين وعدهم الجنة ثم انتقل إلى تفضيل المجاهدين بالمغفرة والرحمة والدرجات.

ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين الغفور الرحيم لذا ناسب ختم الآية بهما فقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦].

---

(١) راجع تفسير آية ٢٩ من سورة النساء في كل من الكشاف للزمخشري ١/ ٥٠٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٨٠، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٢٨.

(٢) راجع تفسير آية ٩٦ من سورة النساء في كل من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥١٤، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١٩٥.

هذه الآية جاءت تالية لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾.

اتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في طعمة بن أبيرق، ثم في كيفية الواقعة روايات، إحداها: أن طعمة سرق درعًا فلما طلبت منه رمى واحدًا من اليهود بتلك السرقة، ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهود جاء قومه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وطلبوا منه أن يعينهم على هذا المقصود وأن يلحق هذه الخيانة باليهودي فهَّم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بذلك فنزلت الآية.

وثانيها: أن واحدًا وضع عنده درعًا على سبيل الوديعة ولم يكن هناك شاهد، فلما طلبها منه جحدها.

وثالثها: أن المودع لما طلب الدرع زعم أن اليهودي سرقها.

ويكون المعنى: بعد أن ذكر المولى ﷻ رسوله الكريم بتنزيل الكتاب إليه بالحق ليحكم بين الناس بما أراه الله، وأتبع هذا التوكيد بالنهي عن أن يكون خصيمًا للخائنين يدافع عنهم ويجادلهم.. وجهه تعالى إلى الاستغفار.

وسواء كان هذا الاستغفار على سبيل التسبيح من غير ذنب أو قصد توبة، أو أمر بالاستغفار للمسلمين، أو أمر بالاستغفار مما همَّ به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من عقاب اليهودي أو من خصامه لأجل الخائنين، فهو أمر بالاستغفار وتعليل ذلك أن الله كان غفورًا رحيمًا: فجاءت الخاتمة تعليلاً للأمر بالاستغفار[1].

(١) راجع تفسير آية ١٠٦ من سورة النساء في كل من تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٥/ ٣١٣، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ١١/ ٢٧، في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٧٥٤.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

لما رهَّب المولى ﷻ من ترك الهجرة رغَّب فيها بذكر ما يترتب عليها من السعة والمذاهب الكثيرة ليذهب عنهم ما يتوهم وجوده في الغربة ومفارقة الوطن من الشدة.

﴿مُرَٰغَمًا﴾: مهاجرًا وطريقًا يراغم بسلوكه قومه، أي يفارقهم رغم أنوفهم، والرغم: الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام – وهو التراب – يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك.

وكل هجرة لغرض ديني من: طلب علم، أو حج، أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدًا في الدنيا أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله.

ومن يخرج من منزله بنية الهجرة فمات في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر أي أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمان الله تعالى وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به أعطاه أجره كاملاً ولو لم يكمل العمل، وغفر له ما حصل من تقصير في الهجرة وغيرها ولهذا ناسب ختم الآية بهذين الاسمين:

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لما سلف من ذنب ﴿رَّحِيمًا﴾ بوقوع أجره على الله تفضلاً وإحسانًا ورحمة مكافأة له على هجرته ونيته[1].

---

(١) راجع تفسير آية ١٠٠ من سورة النساء في كل من: البحر المحيط لأبي حيان ٤ / ٤٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ / ٥٤٣، تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١٩٦.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١١٠].

يعني بذلك جل ثناؤه: ومن يعمل ذنباً وهو السوء أو يظلم نفسه بإكسابه إياها ما يستحق به عقوبة الله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه.

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ يجد ربه ساترًا عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبته جرمه، رحيمًا به.

وهذه الآية دالة على حكمين:

١- أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب.

٢- ظاهر الآية يقضي أن مجرد الاستغفار كافٍ ذكر ذلك الرازي[(١)]:

وقال: قال بعضهم إنه مقيد بالتوبة لأنه لا ينفع الاستغفار مع الإصرار. وحسب ما ذكر من قبل في الفرق بين التوبة والاستغفار فإن الاستغفار هنا بمعنى التوبة لأنه جاء مفردًا[(٢)].

ويكون المعنى: يستغفر الله بالتوبة الصادقة ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لذنوبه كائنة ما كانت[(٣)].

---

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ابن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (٥٥٤-٦٠٤هـ) صاحب التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب.

(٢) انظر الفرق بين الاستغفار والتوبة من هذا البحث.

(٣) راجع تفسير آية ١١٠ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٥/ ٣٨، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ١١/ ٣٠.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر المولى ﷻ الاستغفار ناسب لذلك الختم باسم الغفور الرحيم.

قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٢٩].

إن الذي فطر النفس البشرية، يعلم من فطرتها أنها ذات ميول لا تملكها، ومن هذه الميول أن يميل القلب البشري إلى إحدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات، فيكون ميله لها أكثر من الأخرى أو الأخريات، وهذا ميل لا حيلة له فيه، فالإسلام لا يحاسبه على أمر لا يملكه، وإنما يصارح الناس بأنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا بين النساء -ولو حرصوا- لأن الأمر خارج عن إرادتهم، ولكنه هناك أمور أخرى داخلة في إرادتهم، مثل:

العدل في المعاملة، العدل في القسمة، العدل في النفقة، العدل في الحقوق الزوجية كلها، وهذا ما هم مطالبون به. فالمنهي عنه هو الميل في المعاملة الظاهرة، والميل الذي يحرم الأخرى حقوقها فلا تكون زوجة ولا تكون مطلقة.

﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: أي وأن أصلحتم في أموركم وقسمتم بالعدل فيما تملكون واتقيتم الله في جميع الأحوال غفر الله لكم ما كان من ميل إلى بعض النساء دون بعض(١)، لذا ناسب ختم الآية باسم ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

---

(١) راجع تفسير آية ١٢٩ سورة النساء في كل من: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦٤، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٧٠.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء:١٥٢].

لما ذكر المولى ﷻ الوعيد في الآية السابقة أردفه بالوعد لأمة محمد ﷺ فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله، كما قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

أخبر تعالى أن هؤلاء ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ معناه: أن إيتاءهم أجرهم كائن لا محالة وإن تأخر، فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا لكونه متأخرًا.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: يغفر لمن فعل ذلك من خلقه ما وقع فيه من ذنوب فيستر عليه بعفوه له وتركه العقوبة عليه رحمة منه تعالى[(١)].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما وعدهم المولى ﷻ بالثواب ناسب مجيء الخاتمة باسم ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ زيادة في الأجر وتبشيرًا بالتجاوز عن السيئات وبرحمته إياهم.

قال تعالى:

١- ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

(١) راجع تفسير آية ١٥٢ من سورة النساء في كل من الكشاف للزمخشري ١/ ٥٨٣، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٦/ ١١/ ٧٥ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٧٢.

أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٤٣].

٢- ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٩٩].

٣- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٤٩].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٤٣].

ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى حتى يعلموا ما يقولون لأن السكر علة تلحق بالعقل، وهذا شامل مواضع الصلاة كالمسجد فإنه لا يمكَّن السكران من دخوله، وهذه الآية الكريمة مقدمة لتحريم الخمر مطلقًا؛ فإن الخمر في أول الأمر كانت غير محرمة، ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه للخمر بقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة:٢١٩]، ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة كما في هذه الآية، ثم حرمه تعالى في جميع الأوقات على الإطلاق في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة:٩٠].

كذلك لا يقرب الجنب المساجد إلا أن يكون مجتازًا من باب إلى باب من غير مكث فيه حتى يغتسل.

كذلك تشمل الآية حالة المريض الذي يشق معه استعمال الماء، والمسافر عندما يصيبه حدث أكبر، فيكون جنبًا في حاجة إلى الغسل، أو حدث أصغر فيكون في حاجة إلى الوضوء لأداء الصلاة، وبمن جاء من الغائط (والغائط مكان منخفض كانوا يقضون حاجتهم فيه، فكنى عن الفعل بالمجيء من مكان الفعل) فأصابه حدث أصغر يقتضي الوضوء، أو بمن لامس النساء سواء كان كناية عن الجماع أو ملامسة شهوة يوجب الغسل وفي جميع هذه الحالات المذكورة حين لا يوجد الماء، وكذلك حين يوجد ولكن استعماله يكون ضارًا أو غير مقدور عليه، يغني عن الغسل والوضوء التيمم ويكون إما بخبطه بالكفين على وجه الأرض ثم نفضهما، ثم مسح الوجه، ثم مسح اليدين إلى المرفقين بهما و إما بخبطه بالكفين على وجه الأرض خبطتين إحدهما يمسح بها الوجه والأخرى يمسح بها اليدين إلى المرفقين.

مناسبة الخاتمة للآية:

ولما كانت الآية كلها تيسيرًا وعطفًا على الضعيف ومسامحة في القصور ومغفرة في التقصير لذا ناسب ختمها باسم (العفو) و (الغفور).

قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾

[النساء:٩٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا

يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٩٧-٩٨].

هذه الآية نزلت في ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة، وهي عامة في كل من أقام بين ظهراني بلاد المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية، واستثنى المولى ﷻ المستضعفين الذين لا يستطيعون التخلص من أيدي المشركين، ولا يقدرون على حيلة ولا نفقة، أو كان بهم مرض أو كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم من تلك الهجرة ولا يعرفون الطريق و لا يجدون من يدلهم عليه.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡ﴾: جاء بكلمة الإطماع للدلالة على أن ترك الهجرة أمر ضيق لا توسعة فيه وليعلقهم بالرجاء في عفو الله ومغفرته ورحمته بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار، وذكر تعالى العفو بكلمة عسى لا بالكلمة الدالة على القطع – وإن كانت من الله واجبه – لأن الإنسان لشدة نفرته عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزًا عن الهجرة مع أنه لا يكون كذلك في الحقيقة.

ولما ذكر تعالى العفو ناسب خاتمة الآية باسم (العفو الغفور) ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ عفواً يمحوا الذنب إذا أراد فلا يعاقب عليه ﴿غَفُورًا﴾ يزيل أثره أصلا ورأسًا فلا يعاقب ولا يعاتب[1].

قال تعالى: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

---

(١) راجع تفسير آية ٩٩ من سورة النساء في كل من: الجامع لأحكام القرآن للطبري ٤/ ٥/ ٢٧٣، الكشاف للزمخشري ١/ ٥٥٥، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٤٣.

يقول تعالى: إن تظهروا أيها الناس خيرًا، أي خير كان من الأقوال والأفعال، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمن أساء إليكم فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه فلهذا قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة، ولا يقدر على العفو إلا من هو تام القدرة يعفو عن المذنبين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتضوا بسنته تعالى[1].

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧].

هذا استفهام معناه النفي أي: ما يعذبكم إن شكرتم وآمنتم والمعنى أنه لا منفعة له في ذلك ولا حاجة، لأن العذاب إنما يكون لشيء يعود نفعه أو يندفع ضده عن المعذب، الله تعالى منزه عن ذلك وإنما عقابه المسيء لأمر قضت به حكمته تعالى، فمن شكره وآمن به لا يعذبه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾: **شاكرًا**: أي مثيبًا موفيكم أجوركم ويضاعف الثواب ويثيب على القليل بالكثير، عليما بشكركم وإيمانكم فيجازيكم[2].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما ذكر المولى ﷻ: ما يعذبكم إن شكرتكم فناسب ذكر الشكر شكر فقال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾.

---

(١) راجع تفسير آية ٤٩ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن ٤/ ٦/٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٧١.

(٢) راجع تفسير آية ٤٧ من سورة النساء في كل من البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ١١٥، تفسير القرآن لابن كثير ١/ ٥٧٠.

والإيمان من الأمور الخفية لذا ناسبها اسم (العليم) وهذه الخاتمة من باب التصدير - رد العجز على الصدر -.

نظرة عامة على الآيات

هذا المبحث جاءت خاتمة الآيات فيه باسم (الغفور - الرحيم - التواب - العفو - الشاكر) في خمس عشرة آية، تناولت أمرين:

الأمر الأول: غفران الذنوب في سبع آيات وهي قوله تعالى:

﴿تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٦].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤].

﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦].

﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٩]..

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٦].

﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:١٤٩].

الأمر الثاني: تناولت باقي الآيات أمر التشريع من: التحريم (المحرمات من النساء) - نكاح الإماء - النهي عن أكل الأموال وقتل النفس - أحوال التيمم - الهجرة - العدل بين الزوجات - الإيمان بالله والرسل.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة)

وما يوجب الإجلال والرهبة

(العظيم - العلي - الكبير - الواسع - الغني)

قال تعالى:

١- ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء:٣٤].

٢- ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:١٣٠].

٣- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ [النساء:١٣١].

قال تعالى:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ

أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

في الآية إشارة إلى استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلاً بعد أن تقدم رمزاً على تفاوت مراتب الاستحقاق.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾: أي شأنهم القيام عليهن قيام الولاة على الرعية بالأمر والنهي والحفظ والرعاية، وعلل سبحانه الحكم بأمرين: وهبي وكسبي، فقال تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن، ولذلك خصوا: بالرسالة، والنبوة، وبالإمامة الكبرى والصغرى، وإقامة الشعائر كالأذان والإقامة والخطبة والجمعة، والشهادة في جميع القضايا، ووجوب الجهاد، وزيادة لهم الميراث، والتعصيب.. إلى غير ذلك.

والأمر الكسبي بقوله تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾أي بما أنفقوه من المهر والنفقة.

﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾: شروع في تفصيل أحوالهن وكيفية القيام عليهن بحسب اختلاف أحوالهن، **فبين أولاً: الصالحات من النساء:**

مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق أزواجهن، تحفظه في غيبته في نفسها وماله، بحفظ الله لهن، وعصمته إياهن، ولولا أن الله تعالى حفظهن ما حفظن.

ثانيا: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: النشوز هو المكان المرتفع من الأرض، فالمرأة الناشز هي: التي ترتفع على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المبغضة له، فمن ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها، وليخوفها عقاب الله وعصيانه؛ فإن الله قد

أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال، يعظها فإن هي قبلت و إلا هجرها في المضجع ولا يكلمها، فإذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران فلكم أن تضربوهن ضربًا غير مبرح يعني غير مؤثر.

فإذا أطاعت زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، فعند تحقق الغاية تقف الوسيلة مما يدل على أن الغاية – غاية الطاعة – هي المقصودة، وهي طاعة استجابة لا طاعة إرغام – ويشيد النص إلى أن المضي في هذه الإجراءات بعد تحقيق الطاعة بغي وتحكم وتجاوز لذلك هدد الرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب لقوله: ﴿ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن فاحذروه.

مناسبة الخاتمة للآية:

لما كان في تأديب الناشز من الزوجات بما أمر تعالى به الزوج اعتلاء للزوج عليها ختم تعالى الآية بصفة العلو والكبر لينبه العبد إلى أن المتصف بذلك حقيقة هو الله تعالى، وإنما أذن لكم فيها أذن على سبيل التأديب لهن، فلا تستعلوا عليهن، ولا تتكبروا عليهن فإن ذلك ليس مشروعًا لكم، وفي هذا وعظ عظيم للأزواج وإنذار لأن قدرة الله عليكم فوق قدرتكم عليهن[1].

قال تعالى:

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾

[النساء:١٣٠].

---

(١) راجع تفسير آية ٣٤ من سورة النساء في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٥٠٥، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦٢٣، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٣٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٤٩٠.

هذه الحالة هي الحالة الثالثة في الاستفتاء في أمر النساء على الإطلاق، فبعد أن بين المولى ﷻ حق اليتامى من النساء، وبين حالة خوف نشوز الزوج، بيَّن هذه الحالة، وهي حالة الفراق، إذا تعذر الاتفاق فإنه لا بأس بالفراق، أي فراق كل واحد منهما صاحبه بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك، فالله يغني كلاً منهما عن صاحبه بفضله وإحسانه الواسع الشامل. وهذا وعد بالغنى لكل واحد منهما إذا فشلا في الإصلاح وتفرقا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ كثير الفضل واسع الرحمة يعطي بحكمة ويمنع بحكمة[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

ناسب ذكر اسم (الواسع) لما تقدم من سعته[2] والواسع عام في الغنى والقدرة والعلم والرحمة وسائر الكمالات، وناسب ذكر اسم (الحكيم) فالحكمة وضع الشيء في موضعه.

فالله يعد أن يغنيهم من فضله هو، ومما عنده هو، وهو سبحانه (واسع) يسع فضله عباده ويوسع عليهم بما يشاء في حدود حكمته وعلمه بما يصلح لكل حال.

قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء:١٣١].

لما ذكر المولى ﷻ في الآية السابقة أنه يغني كلاً من الزوجين في حالة الفراق

---

(١) راجع تفسير آية ١٣٠ من سورة النساء في كل من: البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٨٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٨٩ في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٧١.

(٢) هي ما يسمى بالتصدير.

وختمها بصفتي السعة والحكمة، دل على الأول ترغيبًا في سؤاله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وعلى الثانية بالوصية بالتقوى.

الآيـة: يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض وأنه الحاكم فيهما وأن هذا الملك الواسع العظيم مستلزم تدبيره وتصريفه قدرًا وشرعًا، شرعًا بأن وصى الأولين والآخرين أهل الكتب السابقة وأنتم اللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام والمجازاة لمن قام بهذه الوصية.

فتقوى الله وصية قديمة، ومازال يوصي بها عباده لستم بها مخصوصين ففيها خيركم.

﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ أي تتركوا تقوى الله وتكفروا بالله فإن الله غني عن خلقه وعن عبادتهم جميعا كما قال تعالى: على لسان موسى عليه السلام ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨].

مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده أحد منهم فهو في ذاته محمود سواء حمدوه أو لم يحمدوه.

وما أحسن اقتران هذين الاسمين الكريمين (الغني الحميد) فإنه غني محمود فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.

مناسبة الخاتمة للآية:

﴿وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إن تكفروا لا تضروا إلا أنفسكم لأنه تعالى غني عنك لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي والسيئات، فجاءت الخاتمة تأكيدا على ذلك (الغني) غني مطلق عن كل شيء المحمود لذاته وكثرة آلائه فكان ذلك غاية في بيان حكمته وأمرهم بالتقوى[1].

---

(١) راجع تفسير آية ١٣١ من سورة النساء في كل من: الكشاف للزمخشري ١/ ٥٧٤، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٣٣١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦٤.

المَبحَثُ الخَامِسُ

أسماء تدل على قدرته تعالى (مجموعة القدرة)

قال تعالى:

١- ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥].

٢- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٥٦].

٣- ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا﴾ [النساء: ١٣٣].

٤- ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥].

قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا﴾ [النساء: ٤٥].

لما ذكر المولى ﷻ في الآية السابقة موقف اليهود العجيب الذين يأتيهم الهدى ممثلاً في التوراة على يد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيتركونها ويأخذون الضلالة عن قصد ونية، لا عن جهل وخطأ، بل يريدون أن يضلوا المهتدين، فجاءت هذه الآية لتنبيه وتحذير المسلمين ليكونوا على حذر منهم ومخالفتهم وإثارة نفوسهم كذلك ضد الذين يريدون لهم الضلالة بعد الهدى وذلك بجعلهم أعداء لهم، فصرح المولى ﷻ بأن

هؤلاء أعداؤكم وهو أعلم بهم منكم - ثم طمأن الجماعة المسلمة بولاية الله ونصره.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ فكفى بالله وليًا لمن والاه فلا يضره عداوة أحد فثقوا في ولايته ونصرته، ولا تبالوا بأحد منهم ولا من غيرهم، فهو يكفيكم الجميع.

وتكرير الفعل في الجملتين مع إظهار لفظ الجلالة في مقام الإضمار خاصة في الثانية لتقوية استقلالها، وتأكيد كفايته ﷻ في كل من الولاية والنصرة[1].

مناسبة الخاتمة للآية:

لما أخبر المولى ﷻ عباده المسلمين أنه أعلم بأعدائهم منهم جاءت الخاتمة لطمأنتهم بولايته تعالى ونصره.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٥٦].

لما ذكر المولى ﷻ قوله ﴿وَمِنْهُم مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٥].

أتبع ذلك ببيان جزء من عذاب السعير.

فالآية وعيد من الله ﷻ للذين كفروا بآياته سوف يصليهم نارًا، ﴿سَوْفَ﴾ كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين، وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد.

﴿نُصْلِيهِمْ﴾: فيه زيادة على دخول النار فذلك بمنزلة شويه بالنار، يقال شاة مصلية أي مشوية.

كلما احترقت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ليجدوا

---

(١) راجع تفسير آية ٤٥ من سورة النساء في كل من: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٤٣، نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٢٦٢، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٦٧٥.

ألم العذاب وكربه وشدته بما كانوا في الدنيا يكذبون بآيات الله ويجحدونها، فيدوم ذوقهم للعذاب ولا ينقطع.

والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصان بدوام الملامسة أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذائقة أشد الحواس تأثيرًا، وليجمع الهول الرهيب المفزع العنيف في جملة واحدة ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾.

ولما كان هذا أمرًا لم يعهد مثله دل على قدرته عليه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

عزيزًا: يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، **حكيمًا**: أتقن صنعه فيجعل عذابهم على قدر ذنوبهم.

مناسبة الخاتمة للآية:

١ - ذكر اسم (العزيز) و(الحكيم) في هذا الموضع في غاية الحسن؛ لأنه يقع في القلب تعجب من أنه كيف يمكن بقاء الإنسان في النار الشديدة أبد الآباد!

فقيل: هذا ليس بعجيب على الله؛ لأن القادر الغالب على جميع الممكنات، يقدر على إزالة طبيعة النار. ويقع في القلب إنه كريم رحيم، فكيف يليق برحمته تعذيب هذا الشخص الضعيف إلى هذا الحد العظيم ؟ فقيل: كما أنه رحيم فهو أيضًا حكيم، والحكمة تقتضي ذلك، فإن نظام العالم لا يبقى إلا بتهديد العصاة. فجاء هذا الاسمان هنا في غاية الحسن[١].

---

(١) راجع تفسير آية ٥٦ من سورة النساء في كل من: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ٤/ ٥/ ١٧٢، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٥/ ١٠/ ١٠٩، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ١٥٢.

٢- فالمولى ﷻ إن عاقب لا يأخذ اعتسافًا وظلمًا بل إنما يعاقبهم بذنوبهم وخطيئتهم، لأنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، فلا يعاقب إلا من يستحق العقوبة.

قال تعالى:

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥].

يخبر المولى ﷻ أنه أرسل رسلاً إلى خلقه وعباده (مبشرين) بثوابه من أطاعه واتبع أمره وصدق رسله، (ومنذرين) عقابه من عصاه وخالف أمره وكذب رسله.

لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال الله: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه:١٣٤].

وإنما سميت حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله، بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾:

﴿عَزِيزًا﴾ يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، ﴿حَكِيمًا﴾ يضع الأشياء في مواضعها، ولذلك رتب أمورًا لا يكون معها لأحد حجة، والتي من جملتها إرسال الرسل وإنزال الكتب[1].

---

(١) راجع تفسير آية ١٦٥ من سورة النساء في كل من: الجامع لأحكام القرآن للطبري ٤/ ٦/ ٣٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٠٨، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/ ٢٢٢.

مناسبة الخاتمة للآية:

إرسال الرسل تولية، والتولية لا تكون إلا من عزيز حكيم، لذلك ناسب ختم الآية بهذين الاسمين.

قال تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

مناسبة الآية لما قبلها:

بعد أن وصاهم المولى ﷻ بتقواه قال: ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يغنيه في شيء ولا يضره ألا يسمعوا الوصية، فإن كفرهم لن ينقص من ملكه شيئًا، وهو قادر على أن يذهب بهم ويستبدل قومًا غيرهم.

وبقدر ما يقرر الإسلام كرامة الإنسان على الله، وتكريمه له في الأرض وكل من في الكون، بقدر ما يقرر هوانه عليه إذا أضاع أمره.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾: بالغ القدرة لا يمتنع عليه شيء أراده، وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره فهو قادر على أن يهلك من يشاء من خلقه ويأتي بآخرين من بعدهم[١].

مناسبة الخاتمة للآية:

جاءت الخاتمة باسم (القدير) لأن من دلائل قدرته تعالى الذهاب بالنعم.

---

(١) راجع تفسير آية ١٣٣ من سورة النساء في كل من الكشاف للزمخشري ١/ ٥٧٤، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٥٦٤، في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٧٧٢.

ملخص نتاج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعـد،،،

في نهاية هذا البحث الذي حرصت فيه - قدر الإمكان - على التركيز والوضوح يمكن تلخيص ما توصلت إليه من نتائج في النقاط التالية

الباب الاول- تمهيد عن التوحيد وأقسامه: التوحيد ثلاثة أقسام:

توحيد الألوهية - توحيد الربوبية - توحيد الأسماء والكلام في الصفات، واخترت هذا التعبير عن التعبير المتداول: توحيد الأسماء والصفات للبعد عن مفهوم نفاة الصفات من الجهمية الذين أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد.

١- أسماء الله الحسنى توقيفية، فلا مجال للعقل فيها؛ لأنها من الأمور الغيبية التي لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة، وأهل السنة والجماعة يثبتون من الأسماء ما أثبته الله لنفسه في كتابه وأثبته له رسول الكريم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: لا يتجاوزون فيها التوقيف، ويؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه وبكل ما أخبر عنه رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويؤمنون بها إيمانًا سالمًا من التحريف والتعطيل

ومن التكييف والتمثيل.

٢- أمرنا المولى ﷻ أن ندعوه بأسمائه الحسنى، والدعاء قسمان دعاء عبادة ودعاء مسألة، وقد كرم المولى ﷻ الأمة الإسلامية ولم يجعل بينه تعالى وبينها واسطة في الدعاء بخلاف الأمم الأخرى الذين كان أنبياؤهم واسطةً بين المولى ﷻ وبينهم.

٣- الإلحاد في أسماء الله هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت كأن تسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الألوهية، والعزى من العزيز، أو تسميته تعالى بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا، أو تعطيلها عن معانيها الثابتة، أو تشبيهه تعالى بصفات خلقه، والإلحاد بجميع أنواعه محرم حيث توعَّد المولى ﷻ الملحدين في أسمائه فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

٤- أسماء الله الحسنى لم يرد في تعيينها حديث صحيح وكل الطرق والروايات التي رويت في هذا الشأن ضعيفة إما من جهة السند، أو من جهة المتن، أو من كلتيهما.

٥- هل أسماء الله الحسنى محصورة في تسعة وتسعين اسمًا ؟

انقسم العلماء في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى الالتزام بالعدد الوارد في الحديث: ويرفض الزيادة عليه.

والفريق الثاني: يرى أن أسماء الله الحسنى أكثر من تسعة وتسعين اسمًا وهذا الرأي الراجح، إما كونها محصورة بعدد معينٍ معلومٍ أو مجهولٍ أو لا نهائيةً فالعلم عند الله وحده عز علمه أن يحيط به سواه.

ومن ذلك فإن المقصود بإحصائها هو: جمع ألفاظها وعدها، وفهم معانيها ومدلولها، والدعاء بها.

٦- استبعد كثير من العلماء اسم (المنتقم) واسم (الصادق) من الأسماء الحسنى لعدم ورود الاسم منه صراحة في القرآن الكريم ولكني أثبت هذين الاسمين

بدليلهما الصحيح من الكتاب الكريم. اسم (المنتقم) قال تعالى في سورة الدخان آية ١٦: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾.

اسم (الصادق) قال تعالى في سورة الأنعام آية ١٤٦: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾.

كذلك أثبت اسم الكافي فقد جاء منوناً والتنوين من علامات الاسم قال تعالى في سورة الزمر آية ٣٦: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾.

وما اخترته من الأسماء الحسنى حسب ما وصل إليه اجتهادي وعلمي القاصر ما يلي:

الله	الآخر	الأحد	الأعلى	الأكرم	الإله	الأول
البارئ	الباسط	الباطن	البر	البصير	التواب	الجبار
الجميل	الحاسب	الحافظ	الحسيب	الحفيظ	الحكم	الحكيم
الحليم	الحميد	الحى	الحيَّ	الحفى	الحق	الخالق
الخبير	الخلاق	الرءوف	الرازق	الرب	الرحمن	الرحيم
الرزاق	الرفيق	الرقيب	السبوح	الستير	السلام	السميع
الشافي	الشاكر	الشكور	الشهيد	الصادق	الصمد	الطيب
الظاهر	العالم	العزيز	العظيم	العفو	العلى	العليم
الغفار	الغفور	الغنى	الفتاح	القابض	القاهر	القادر
القدوس	القدير	القريب	القهار	القوى	القيوم	الكافي
الكبير	الكريم	اللطيف	المؤخر	المؤمن	المبين	المتعالي
المتكبر	المتين	المجيب	المجيد	المحيط	المصور	المقتدر
المقدم	المقيت	الملك	المليك	المنتقم	المهيمن	المولى
النصير	الهادي	الواحد	الوارث	الواسع	الوتر	الودود
الوكيل	الولي	الوهاب				

ويكون المستبعد من الحديث المشهور الذي رواه الترمذي الآتي:

الخافض - الرافع - المعز - المذل - العدل - الجليل - الباعث - المحصي - المبدئ - المعيد - المحيي - المميت - الواجد - الماجد - الوالي- ذو الجلال والإكرام - المقسط - الجامع - المغني - المانع - الضار- النافع - النور - البديع - الباقي - الرشيد - الصبور.

أسماء الله الحسنى من الكتاب والسنة والتي لم يشملها الحديث:

الأحد - الأعلى - الأكرم - الإله - الجميل - الحاسب - الحافظ - الحيّ - الحفي - الخلاق - الرب - الرازق - الرفيق - الستير - الشافي- الشاكر - الصادق - الطيب - العالم - القاهر - القريب - القدير -الكافي - المبين -المحيط - المليك - المولى - النصير - الوتر.

١٧ - **ختم الآيات بأسماء الله الحسنى**: إن معظم الأسماء الحسنى وردت على صيغة مبالغة، والمبالغة في الاستعمال اللغوي تفيد: تعدد وقوع الحدث والمبالغة فيه والخروج عن الحد المألوف.

وأفعاله سبحانه وتعالى واحدة: رحمته، مغفرته، علمه، سمعه، بصره.. كلها على حال واحد من الكمال والتمام لا تدخل عليها زيادة ولا نقص.

فالمبالغة في الأسماء الحسنى إذن: يكون بالنسبة إلى تكثير الفعل لا إلى تكثير الوصف، فالفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين.

فالمبالغة في اسم (التواب) مثلا: للدلالة على كثرة من يتوب إليه من العباد لأنه ما من ذنب يقترف إلا كان معفوًا عنه بالتوبة، أو لأن المولى ﷻ أبلغ في قبول التوبة إذ نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه.

١٨ -إن أكثر مواقع أسماء الله الحسنى كان في خواتم الآيات، وإن اختيار الاسم

أو الاسمين لختام الآية يحكمه عاملان:

العامل الأول: جانب المعنى والارتباط الوثيق بمضمون الكلام السابق سواء في الآية نفسها أو في كلام متصل بها مما ورد قبلها.

العامل الثاني: كذلك اختيار الاسم روعي فيه الجانب الموسيقي فكثيرًا ما تختم الآيات باسم ينتهي بحرف المد، مثل: (الرحيم - العليم - الحكيم - الغفار - القهار..) قال سيبويه: (إنهم إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء لأنهم أرادوا مد الصوت).

١٩- تتفاوت السور القرآنية في درجة تكثيف الأسماء الحسنى في خواتم الآيات، ففي حين تكثر في بعض السور نجدها تخلو تمامًا في البعض الآخر، فنجد إحدى وسبعين سورة، منها ثمانٍ وأربعون مكية، وثلاث وعشرون مدنية، جاء في خواتم آياتها أسماء الله الحسنى، أما السور التي خلت خواتم آياتها من أسماء الله الحسنى فثلاث وأربعون، منها ثمان وثلاثون مكية، وخمس مدنية

٢٠- التصنيفات الدلالية لأسماء الله الحسنى: فطن العلماء إلى إمكانية تصنيف الأسماء الحسنى إلى مجموعات أو مجالات دلالية حسب معانيها، ومن خلال تقسيمات العلماء المختلفة اخترت هذه التصنيفات الدلالية لأسماء الله الحسنى:

١- أسماء تدل على وحدانية الله وتفرده:

الله - الواحد - الأحد - الظاهر - الباطن.. ونظائره

٢- أسماء متعلقة بقدرته تعالى (مجموعة القدرة)

العزيز - القهار - القاهر - القوي - المقتدر.. ونظائره

٣- أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة وتدل على جمال الله ورحمته:

الرحمن - الرحيم - التواب - الغفار.. ونظائره

٤- أسماء تدل على إحاطته تعالى الكاملة ورقابته الشاملة:

العليم – الخبير – السميع – البصير.. ونظائره

٥- أسماء تدل على تدبيره تعالى شئون خلقه وهو ما يوجب مراقبة الأحوال:

الرازق – الحفيظ – الوهاب – المقيت.. ونظائره

٦- أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة)

الجبار – المتكبر – العظيم – المجيد.. ونظائره

مع الأخذ في الاعتبار أنها على درجة واحدة من الجمال والجلال والكمال.

٢١- الباب الثاني: الفصل الأول – سورة البقرة: سورة مدنية – مجموع فواصل آياتها (قم لندبر) من أسمائها: فسطاط القرآن، سنام القرآن، سورة الكرسي.

من قرأ بالآيتين من آخر السورة في ليلة كفتاه، ومن قرأ آية الكرسي إذا آوى إلى فراشه لا يمسه شيطان حتى يصبح.

هدف السورة: تنظيم أحوال المسلمين في العبادات والمعاملات والعلاقات مع الديانات الأخرى.

منهج السورة: جاء في آياتها: وصف الكتاب – الحديث عن المتقين – الحديث عن الكافرين، وصف المنافقين – دعوة عامة للإيمان بالله واليوم الآخر – الحديث عن بني إسرائيل وتحذير المسلمين منهم، الحديث عن بناء الكعبة ووصية إبراهيم ويعقوب – تستفيض السورة في بناء المجتمع الجديد فتشرح أركان الإسلام الخمسة، وتتحدث عن قضية البعث، وعن الأسرة المسلمة شارحة أحكام كثيرة في بنائها وقيامها وحقوق أفرادها خاصة الطفل، تتحدث عن المعاملات المالية حلالها وحرامها – ثم تختم السورة ببيان عقيدة المؤمنين على نحو ما بدأت به في بيان أوصافهم.

مجموعة القدرة، وورد به اسم (القدير) و(العزيز) بدأت خاتمة أول آية في السورة باسم (القدير) وانتهت خاتمة آخر آية باسم (القدير) – المقصود أول وآخر آية

كانت خاتمتها اسم من أسماء الله الحسنى - وربط المولى ﷻ فيها بين المشيئة والقدرة للإعلام بأن تعلق مشيئته تتصل به تعلق قدرته، فما شاء الله كان؛ قطعًا لأنه سبحانه لا يعجزه شيء وتأثير الأسباب في مسبباتها ترجع إلى مشيئته ﷻ أولاً وآخرًا.

لم يرد اسم القدير في الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وورد في القرآن الكريم خمسًا وأربعين مرة، وجاء في خاتمة ست آيات في سورة البقرة كلها جملة اسمية، وهي تأخذ سمة الاستقلالية فتكون بمثابة تعليل وتوكيد للجملة.

حرف الروي في اسم (القدير) هو حرف الراء، بالنسبة لحرف الروي السابق له واللاحق هما متقاربان.

اسم (العزيز) ورد في القرآن الكريم سبعًا وثمانين مرة، وأكثر ورود هذا الاسم كان مع اسم (الحكيم) في ست وأربعين آية، ولم يرد مفرداً، ولم يرد فاصلة إلا مع اسم (القوى) في ست آيات، ومن دلائل قدرته تعالى ما يلي:

١- الخلق: خلق السماوات والأرض وما يبث فيهما من دابة.

٢- إحياء الموتى.

٣- إمداده تعالى الرسل بالآيات الموائمة لعصورهم.

٤- من دلائل قدرته ما أوقعه بالأمم المكذبة والمنافقين والكفار والظالمين من أنواع العقوبات والتي منها الذهاب بالنعم.

٥- تسليط العذاب انتقامًا وترهيبًا.

٦- إرسال الرسل.

٧- النصر.

٨- تنزيل الكتاب.

٩- شرح العقوبات والحدود والتنكيل بالعصاة.

١٠- الأمر والتشريع بما يصلح حال المسلمين.

١١- من دلائل قدرته تعالى مطلق علمه.

١٢- من دلائل قدرته تعالى: الملك، وبتتبع كل آيات القرآن الكريم التي ذكر فيها الملك صراحة، وختمت باسم من الأسماء الحسنى كان هذا الاسم هو (القدير) عدا ثلاث آيات، هي: الآية ١٦ من سورة غافر، وقد ختمت باسم (القهار) وهو أيضًا من مجموعة القدرة.

آية ١٤ من سورة الفتح، قد ختمت باسم (غفور رحيم) لمناسبة موضوع السورة ولأن الآية ذكرت مغفرة وعذابًا فاقتضى ذلك اسم الغفور الرحيم.

آية ٩ في سورة البروج، وقد ختمت باسم (الشهيد) لمناسبة موضوع السورة.

٢٣- بالنسبة لمجموعة العلم، وهي الأسماء التي تدل على إحاطته الكاملة ورقابته الشاملة لكل من سواه ورد منها اسم: العليم - السميع - البصير الخبير. ورد اسم (العليم) مائة واثنتين وخمسين مرة وأكثر وروده مع اسم الحكيم في سبع وثلاثين آية، والسميع في اثنتين وثلاثين آية.

وحين ارتبطت صفة العلم بصفة الحكمة جاءت متقدمة عليها إلا في سبعة مواضع تقدم فيها اسم الحكيم على العليم، وكانت الآيات تتحدث عن تصرف إلهي أو حقيقة إلهية، نحو قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

وتقدمت صفة العلم على صفة الحكمة في الآيات التي تتحدث عن العلم أو حدث إنساني يستلزم حصول العلم أولاً، كما في قوله تعالى على لسان الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ولا علاقة بين التقديم والتأخير وفواصل الآيات، حيث تنتهي كل من الصفتين بحروف المد و اللين.

ورد اسم السميع في القرآن الكريم خمسًا وأربعوين مرة وورد مقترنًا باسم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ اثنتين وثلاثين مرة، ولم يأت فاصلة، وبملاحظة آيات سورة البقرة التي ختمت باسم ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ نجدها اشتملت على أقوال وعقائد لذا ناسب ختمها باسم السميع للأقوال،العليم بالنيات كذلك فإن الاسمين﴿ٱلسَّمِيعُ﴾، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾

هما الاسمان اللذان يستعاذ بهما من نزغ الشيطان، ذلك أن الإنسان لا يرى ذات الشيطان وإنما يتأثر بنزغه ووسوسته.

– صفة السميع هي الصفة الوحيدة من صفات الحواس – بالنسبة للإنسان التي اقترنت بصفة ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ فلم تقترن صفة البصير بصفة العليم مطلقًا.

– ورد اسم البصير في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة، والآيات التي ختمت به تدل على متابعة حركة الإنسان في الحياة ومطابقتها مع ما يرضاه الله، فحرص اليهود على حياة أي حياة، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وعمل الخير، والرضاعة والفطام والكسوة، ودفع المهر أو النصف أو العفو، والنفقة وتمثيلها بالحبة في نموها كل هذه الأشياء تستدعى اسمه تعالى البصير.

– ورد اسم الخبير في القرآن الكريم خمسا وأربعين مرة وهو اسم يتوخى الحذر الدائم والمحاولة الدائمة المستمرة للعمل على مرضاة الله، فتربص الزوجات بأنفسهن في عدة الوفاة، فلا يطلع عليهن إلا الله وهو أعلم بأحوالهن، وإخفاء الصدقات، ناسب ذلك ختمها بالصفة المتعلقة بها حتى يحذروا مخالفته.

٢٤– الأسماء المتعلقة بصفتي الحب والرحمة وتدل على جمال الله ورحمته ورد منها في سورة البقرة اسم: الرحمن – الرحيم – التواب – الغفور – الرءوف-العفو – الشاكر – الحليم، ورد اسم الرحمن في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة، سبع

مرات منها في خواتم الآيات ولم يأت إلا معرفا بأل ولم يرد وصفًا لغير الله ﷻ.

ورد اسم الرحيم مائة وأربع عشرة مرة أي بعدد سور القرآن الكريم، جاء فاصلة في خواتم الآيات عدا آيتين ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾

التواب ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة مقترنًا باسم الرحيم في تسع آيات، منها في سورة البقرة أربع آيات.

وورد اسم (الحليم) في إحدى عشرة آية ورد فيها فاصلة عدا آيتين

ورد اسم (الرءوف) عشر مرات، ولم يأت فيها فاصل.

ورد اسم (الغفور) إحدى وتسعين مرة مقترنا باسم (الرحيم) في اثنتين وسبعين آية.

ورد اسم ﴿شَاكِرٌ﴾ مرتين مقترنًا باسم ﴿عَلِيمٌ﴾.

ختمت بعض الآيات باسم (التواب الرحيم) لأنه ﷻ (التواب) الذي ييسر أسباب التوبة لعباده، ويقبلها منهم لأنه رحيم.

تعرضت سورة البقرة للحديث عن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبني إسرائيل – وإبراهيم، وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والمؤمنين، وحيث إن كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، لذا نجد كل من تحدثت عنهم سورة البقرة تضمنت توبة لهم.

الآيات التي جاءت خاتمتها (الغفور الرحيم) كان عددها اثنتين وسبعين آية، منها آية واحدة تقدم فيها اسم الرحيم على الغفور فجاءت (الرحيم الغفور) لا نجد المغفرة هي المطلب الأول فيها إنما هناك خلق عظيم أوجده الله سبحانه وتعالى وملك أمره، وهو رحمة من الله، لهذا فهي شملت الوجود كله، فناسب مجيء ذكر (الرحيم) أولا؛ لأن الرحمة هي صاحبة الموقف هنا، وناسب ذكر المغفرة بعد الرحمة؛ لأن الإنسان سيفسد هذه الفطرة السليمة التي أودعها الله فيه فيحتاج حينئذ لمغفرته.

ولاسم (الغفور الرحيم) دلالات منها:

١ – مغفرة الذنوب جميعًا.

٢- مراقبة الالتزام بشعائر العبادات.

٣- يتولى أمر المجاهدين والمهاجرين.

٤- الترغيب بعد الترهيب.

٥- بعض التشريعات المتعلقة بشئون الأسرة، والتحليل، والتحريم، والعقوبات ويتتبع كل آيات التحريم التي ذكرت في القرآن الكريم وختمت بالأسماء الحسنى نجد أن الخاتمة كانت باسم (الغفور الرحيم) عدا آية واحدة في بني إسرائيل، وذلك لأن التحريم جاء نتيجة بغيهم.

٢٥- **مبحث العظمة ويتضمن أسماء:** الواسع - الغني - الحميد - العلي - العظيم.

ورد اسم الواسع في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، اقترن باسم العليم في سبعة مواضع، أربعة منها في سورة البقرة، واقترن باسم الحكيم في موضع واحد ولم يرد مفردًا.

ورد (الغني) في القرآن الكريم في أربعة عشر موضعًا ولم يأت فاصلة، واقترن مع اسم (الحميد) واسم (الحليم) وجاءت الآيات في سورة البقرة تتحدث عن النفقة وآدابها، ونوع الصدقة وطريقتها ليبيِّن المولى ﷻ للمؤمنين أن الله غنيّ عن أن توجهوا إليه عطاياكم من الخبيث، حميدٌ لا يقبل إلا طيبًا.

ورد اسم (العلي) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، اقترن في خمسة منها باسم الكبير وفي اثنين منها بسم العظيم، مرة في سورة البقرة وأخرى في سورة الشورى، وجاء الاسمان اختصارًا جليلاً لمعاني العلو والعظمة، كما ورد مقترناً بإسم الحكيم مرة واحدة.

وفي ختام هذا البحث أوصي بما يلي:

١- الدعوة إلى تدريس أسماء الله الحسنى وصفاته العليا على منهج أهل السنة والجماعة كمادة أساسية لطلبة كلية أصول الدين بأقسامها المختلفة حتى تنتهي الدعوة بأن الأزهر الشريف أشعري المذهب.

٢- تعريف الناس بأسماء الله الحسنى الثابتة من الكتاب والسنة.

وبعد هذا البيان فإني لم أقل شيئًا في هذا البحث الشيق الذي استمتعت معه بالنظر في كتاب الله وبما كتب عن أسماء الله الحسنى، وإن كان ما عانيته هو ندرة المادة العلمية، ولكن هذا جهدي وهو جهد المقل، والله هو الفتاح العليم يفتح على عباده بما شاء متى شاء، وكيف شاء، وأرجو أن أكون بتوفيق الله وفضله قد أضفت جديدًا إلى طريقة البحث.

وأسأل الله العلي العظيم أن يكون عملي خالصًا لوجهه الكريم وأن يحظى بالقبول فينتفع به.

وأسأله بكرمه وعفوه وغفرانه أن يعفو عني إن زل بي القلم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



فهرس المراجع والمصادر

علوم القرآن:

١- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة ومطبعة مشهد الإمام الحسين.

٢- أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري د. محمد زغلول سلام – قدم له الأستاذ محمد خلف الله – الطبعة الثانية.

٣- **احياء علوم الدين:** للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي – وفاته ٥٥هـ – ضبطه القاضي الشيخ محمد الدالي بلطه – المكتبة العصرية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٥م.

٤- **أسباب النزول وبهامشه الناسخ والمنسوخ:** تصنيف الإمام أبي الحسن على بن احمد الواحدي النيسابوري – تأليف الشيخ المحقق ابي القاسم هبه الله بن سلامه ابي النصر – عالم الكتب بيروت – توزيع مكتبة المنيل – القاهرة.

٥- **أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن:** د. محمد السيد شيخون- رئيس قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة الأزهر – الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦- **اشتقاق أسماء الله الحسنى:** عبدالرحمن ابن اسحاق الزجاجي – تحقيق الحسين المبارك – مؤسسة الرسالة – بيروت.

٧- **الأصلان في علوم القرآن:** د. محمد عبدالمنعم القيعي – أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن – تعليق د. محمد سالم – الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٤م.

٨- **الإعجاز البيان ومسائل ابن الأزرق:** د. عائشة عبدالرحمن – بنت الشاطئ – أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة القرويين – المغرب – دار المعارف بمصر.

٩- **الإعجاز البلاغي:** دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبه – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٩٤م.

١٠- **إعجاز البيان في سور القرآن**: محمد علي الصابوني – دار الفتح الإسلامي بالاسكندرية – ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م – الطبعة الثانية.

١١- **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**: تأليف محمد السيد حسن مصطفى – ماجستير آداب الإسكندرية – تقديم د. حسن عوف مؤسسة شباب الجامعة – الطبعة الأولى ١٩٨١م.

١٢- **الإعجاز الفني في القرآن**: عمر السلامي – نشر وتوزيع مؤسسة عبدالكريم بن عبدالله تونسي – ١٩٨٠م.

١٣- **إعجاز القرآن**: د.حسين نصار – العميد السابق لكلية الآداب – جامعة القاهرة – الطبعة الأولى – مكتبة مصر – ٣ش كامل صدقي – الفجالة.

١٤- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: مجموعة مصطفى صادق الرافعي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الثانية.

١٥- **إعجاز القرآن**: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني – لعق عليه وخرج أحاديثه أبوعبد الرحمن صلاح بن محمود بن عويضه – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٦- **إعجاز القرآن**: في دراسة كاشفه لخصائصه البلاغية العربية معايرها – الكتاب الثاني – الإعجاز في مفهوم جديد – تأليف عبدالكريم الخطيب – مكتبة دار الفكر العربي – الطبعة الأولى – ١٩٦٤م.

١٧- **الأكسير في علم التفسير**: للطوخي سليمان بن عبدالقوى بن عبدالكريم العومري البغدادي، المتوفي ٧٠٦م.

١٨- **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن**: د.عبدالله شحاته – الطبعة الرابعة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – فرع الصحافة ١٩٩٨م.

١٩- **الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن**: دراسة تحليلية نقديه – د.عبدالرؤوف مخلوف – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٧٣م.

٢٠- **بحث جديد عن القرآن:** محمد صبيح – دار الشروق – الطبعة الثامنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢١- **بدائع الفوائد:** للعلامة الإمام الشيخ أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقي – المشتهر بابن القيم الجوزيه ٧٥١هـ - دار التوفيقية للطباعة والنشر – تحقيق هاني الجاج.

٢٢- **البديع في ضوء أساليب القرآن:** د.عبدالفتاح لاشيني – دار الفكر العربي ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٢٣- **البرهان في علوم القرآن:** للإمام بدرالدين محمد بن عبدالله الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل – الطبعة الثالثة – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٤- **بصار ذوي التمييز في لطائف العزيز:** مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي – المتوفي ٨١٧ هـ - تحقيق الاستاذ محمد علي النجار - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٥- **البيان في التبين:** ابي عثمان عمرو بن بحر الحافظ ١٥٠-٢٥٥هـ- تحقيق وشرح عبدالسلام هارون – مكتبة الخانجي مصر – مكتبة المتنبي – بغداد – الطبعة الثانية – مطبعة الجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١م.

٢٦- **التبحير في علم التفسير:** للسيوطي المتوفي ٩١١هـ- حققه وقدم له د. فتحي عبدالقادر فريد – دار المنار للنشر والتوزيع – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٧- **تسهيل نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:** للفخر الرازي – ٦٠٦هـ - تحقيق عبدالقادر حسين – دار الأذراعي – ١٤٠٩/ ١٩٨٩م.

٢٨- **التصوير الفني في القرآن:** سيد قطب – دار المعارف – الطبعة الحادية عشر.

٢٩- **التعبير الفني في القرآن:** د. بكري شيخ أمين – دار الشروق الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

٣٠- **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن:** للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني –

حققها وعلق عليها محمد خلف الله – محمد زغلول سلام – دار المعارف بمصر.

٣١- **جواهر البلاغة**: في المعاني والبيان والبديع – أحمد الهاشمي – المكتبة التجارية الكبرى – الطبعة الثانية عشر المعدلة – ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

٣٢- **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**: د. عبدالعظيم المطعني – مكتبة وهبه الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٣- **خلاصة المعاني**: للحسن بن عثمان بن الحسن المفتي – ١٠٥٩هـ- تحقيق ودراسة د. عبدالقادر حسين – أستاذ ورئيس قسم البلاغة جامعة الأزهر – الناشرون العرب – المملكة العربية السعودية.

٣٤- **دراسات في علوم القرآن**: عبدالقاهر داود العاني – الطبعة الأولى – مطبعة المعارف – بغداد – ١٩٧٢م.

٣٥- **الدعاء ذرية العطاء دريئة القضاء**: حسن عبداللطيف عزام – مطابع عابدين.

٣٦- **دليل البلاغة الواضحة**: البيان والمعاني والبديع - على الجارم ومصطفى أمين – الطبعة الحادية عشر – دار المعارف.

٣٧- **روضة الفصاحة**: زين الدين محمد بن ابي بكر اللرازي – سنة٦٦٦هـ - دراسة وتحقيق د.أحمد النادي شعله – الطباعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م – دار الطباعة المحمدية.

٣٨- **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**: للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ٩٤٢هـ - تحقيق د.مصطفى عبدالواحد – القاهرة – ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧هـ - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٣٩- سر الفصاحة: للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي – ٤٦٦هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى – ١٤٠٢/ ١٩٨٢هـ.

٤٠- سورة النساء: عقيدة وقانون وسياسة وأخلاق واجتماع – د.إبراهيم هلال رئيس قسم اللغة العربية وآدابها – كلية البنات – جامعة عين شمس – دار

النهضة العربية – القاهرة.

٤١- **شأن الدعاة:** محمود بن محمد الخطابي البستي – تحقيق أحمد بن محمد الدقاق – دار المأمون للتراث – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٤٢- **شرح العلامة المخللاتي:** للشيخ رضوان محمد سليمان المكني بأبي عيد المعروف بالمخللاتي سنة ١٣١٧هـ، المسمى القول الوجيز في شرح الكتاب العزيز على فاطمة الزهر للإمام الشاطبي ﷺ، حققه وعلق عليه عبدالرازق بن علي بن ابراهيم موسى – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٣- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل:** تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيه – ٧٥١هـ- تحقيق د. السيد محمد سيد – الأستاذ سيد عمران – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٤- **الشيخ عبدالرحمن تاج:** وبحوث قرآنية ولغوية – ولد ١٨٩٦- أستاذ بكلية الشريعة – أبوبكر عبدالرازق – تقديم الاستاذ مهدي علام – المكتب الثقافي – الطبعة الأولى ١٩٩٠.

٤٥- **صفحات من نور في الدعاء المأثور:** د. محمد بكر إسماعيل – مكتبة الرشد.

٤٦- الطراز المتضمن أسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: إمام الأئمة أمير المؤمنين يحيى بن حمزة العلوي بن علي بن إبراهيم- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

٤٧- **طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزيه** –إعداد المكتب العلمي للبحوث – نشر دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٨٠م.

٤٨- **الفاصلة في القرآن:** د. محمد الحسناوي – دار عمار للنشر والتوزيع – عمان – ساحة الجامع الحسيني – الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٩- **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:** د. فتحي أحمد عمر – المجلس الأعلى لشئون الإسلامية – لجنة القرآن والسنة – القاهرة ١٣٩هـ/ ١٩٧٥م.

٥٠- **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان:** لابن القيم الجوزيه – الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب المتوفي سنة ٧٥١هـ – مكتبة المتنبي – القاهرة.

٥١- **في أسباب النزول:** لجلال الدين السيوطي – ٩١١هـ – تحقيق محمد محمد تامر – دار التقوى – الطبعة الأولى.

٥٢- **فنون الأفنان في علوم القرآن:** للإمام العلامة الجامع أبي فرج عبدالرحمن بن الجوزي – وفاته ٥٩٧هـ – حققه واكمل فوائده د.حسن ضياء الدين عتر – دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان – الطبعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٥٣- **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ:** عبدالرحمن حسن حنبكه الميداني – دار القلم – الطبعة الثانية – ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٤- **القواعد الحسان لتفسير القرآن:** للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعودي – اعتناء عبدالله محمد النجدي –دار الصميعي بالرياض– الطبعة الأولى– ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٥- **كتاب سيبويه:** عمرو بن عثمان بن قنبر شرح عبدالسلام هارون – عالم الكتب الثالثة ١٤٠٣هـ.

٥٦- كيف تكتب بحثا أو رسالة؟ احمد شلبي – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة العشرون ١٩٨٩م.

٥٧- **كتاب الصناعين – الكتابة والشعر:** أبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري – ٣٩٥هـ – حققه وضبطه د.مفيد قميحه –دار الكتب العلمية – لبنان – بيروت – الطباعة الثانية – ١٤٠٩/ ١٩٨٩م.

٥٨- لطائف المعاني في ضوء النظم القرآني: د. عبدالله محمد سليمان هنداوي – كلية اللغة العربية – جامعةالأزهر – كلية الأمانة – الطبعة الأولى –١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٩- **مباحث في علوم القرآن:** د. صبحي الصالح – استاذ الإسلاميات والفقه – كلية آداب لبنان – دار المعلم للملايين – الطبعة الثانية – ١٩٦٢م.

٦٠- **المثل السار في أدب الكاتب والشاعر**: ضياء الدين بن الأثير - ٥٥٨/ ٦٣٧هـ - دار نهضة مصر للطبع والنشر - تحقيق د. احمد محمد الحوفي - د. بدوي طبانه.

٦١- **المحلي على بن احمد بن حزم**: أشرف على طبعة زيدان أبو المكارم حسن - مكتبة الجمهورية العربية ١٣٨٧هـ.

٦٢- **المختار من كتاب الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين السيوطي ٩١١هـ - اختيار عامر بحيري - مراجعة عبدالوهاب حموده - مركز الثقافة والإرشاد القومي.

٦٣- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: للإمام السلفي - العلامة المحققه ابي عبدالله محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن قيم الجوزيه ٦٩١-٧٥١هـ - دار إحياء الكتب العربية - دار الكتب العربية - بيروت - لبنان.

٦٤- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**: محمد محمد أبو شهبه - أستاذ علوم القرآن - بجامعة الأزهر - الطبعة الثانية.

٦٥- مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيميه - جمع وتحقيق وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم - وابنه محمد - طبعة مكتبة المعارف - الرباط.

٦٦- **المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني**: د. فتحي احمد عامر - كلية الآداب - جامعة القاهرة - فرعها الخرطوم - منشأة المعارف - الإسكندرية.

٦٧- **متعرك الأقران في إعجاز القرآن**: الفضل جلال الدين عبدالرحمن السيوطي - ١٩١١م - ضبط احمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٨/ ١٩٨٨م.

٦٨- **المعجزة الكبرى للقرآن**: محمد أبو زهرة - الناشر - دار الفكر العربي.

٦٩- **المعجم المفصل في علوم البلاغة** - البديع والبيان والمعاني - د. أنعام نوال مكاوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - المطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.

٧٠- **مع القرآن**: د. احمد محمد الحوفي - رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية العلوم - جامعة القاهرة - دار نهضة مصر - ١٣٩٠/ ١٩٧١م.

٧١- **مع القرآن في إعجازه وبلاغته**: د.عبدالقادر حسين – مطبعة الأمانة – جزيرة بدران شبرا.

٧٢- **مفتاح العلوم**: أبي يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن على السكاكي ٦٢٦هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧٣- **مقدمة ابن خلدون**: العلامة عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ٧٣٢ – المكتبة التوفيقية - خرج أحاديثه وعلق عليه أبو مازن المصري - كمال سعيد فهي.

٧٤- من أسرار اللغة: د. إبراهيم انيس – مطبعة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة - ١٩٧٨.

٧٥- **من بلاغة القرآن**: د. أحمد أحمد بدوي - دار نهضة مصر للطبع والنشر – الفجالة – القاهرة.

٧٦- **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد بن عبدالعظيم الزرقاني – دار إحياء الكتب العربية.

٧٧- **النبأ العظيم**: نظرات جديدة في القرآن – د. محمد عبدالله دراز – عضو لجنة كبار العلماء بمصر – مطبعة السعادة بمصر – شعبان ١٣٧٦هـ، مارس ١٩٥٧م.

٧٨- **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**: محمد الغزالي – دار الشروق – الطبعة الأول – ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٧٩- **النشر في القراءات العشر**: الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي – الشهير بابن الجذري سنة ٨٣٣هـ - أشرف على تصحيحه ومراجعته الاستاذ الجليل على محمد الصباع –شيخ عموم المقارئ –بالديار المصرية –دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٠- **النظم القرآني وأثره في الأحكام**: الصادق سالم أحمد الخازمي- المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان – طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية – الكتاب الإسلامي.

٨١- **نكت الانتصار لنقل القرآن**: للإمام أبي بكر الباقلاني - دراسة وتحقيق - د. محمد زغلول سلام - الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية - جلال خزي وشركاه.

٨٢- **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**: د. محمد محمود حجازي - دار الكتب الحديثة بعابدين مطبعة المدني ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

علوم القرآن (كتب التجويد):

٨٣- **أنوار الرحمن في مختصر احكام تجويد القرآن**: أحمد إبراهيم عبدالرحمن - رجعه الشيخ محمد امين طنطاوي، د. رمضان عبدالتواب - دار السلام للطباعة والنشر - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٨٤- **البرهان في تجويد القرآن**: محمد الصادق قمحاوي - مكتبة السنة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨٥- **الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة** - لمكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥-٣٤٧هـ - اعتني به أ. جمال محمد شرف، أ. عبدالله علوان - دار الصحابة - للتراث ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٨٦- **سراج الباحثين في منتهى الاتقان في تجويد القرآن**: تأليف كوثر بنت بن عبد الفتاح الخولي - مطبعة الخط الذهبي - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٨٧- **عمدة البيان في تجويد القرآن**: صابر حسن محمد أبو سليمان - دار عالم الكتب بالرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨٨- **غاية المريد في عالم التجديد**: عطية قابل نصر - دار الحرمين - الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٨٩- **فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد**: الشيخ محمود على بسه - ضبط وتعليق محمد الصادق قمحاوي - المكتبة الأزهرية للتراث - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩٠- **المنير الجديد في أحكام التجويد** - فهي علي سليمان - دار النصر للطباعة والنشر.

٩١- **الموضح في التجويد** – تأليف عبدالوهاب بن محمد القرطبي ت٤٦١هـ–تحقيق الشيخ جمال محمد شرف –دار الصحابة –للتراث الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩٢- **هداية القارئ على تجويد كلام الباري**: بقلم عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي – أستاذ القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – راجعه د. رشا عبدالتواب السن.

كتب التفسير:

٩٣- **أحكام القرآن**: حجة الإسلام – أبي بكر بن على الرازي الجصاص – الحنفي – ٣٧٠هـ – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – طبعة مصورة عن الطبعة الأول – ١٣٣٥هـ.

٩٤- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: تفسير ابو السعود للقاضي ابي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العماوي الحنفي –ت٩٨٢هـ – وضع حواشيه عبداللطيف عبدالرحمن – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٩٥- **الأساس في التفسير**: سعيد حوي – دار السلام للطباعة والنشر – الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٩٦- **البحر المحيط في التفسير**: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلس الغرناطي سنة ٦٥٤–٧٥٤هـ – دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت لبنان – ١٤١٣/ ١٩٩٢م.

٩٧- **التفسير البياني للقرآن الكريم**: د. عائشة عبدالرحمن – بنت الشاطئ – دار المعارف – ١٩٦٦م.

٩٨- **تفسير سورة النساء**: د. محمد عبدالمنعم خريبه –الطبعة الأولى –مؤسسة ابن خلدون.

٩٩- **تفسير الشعراوي**: للشيخ محمد متولي الشعراوي – أخبار اليوم.

١٠٠- **تفسير القرآن العظيم** – للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن

كثير القرشي الدمشقي – المكتبة التوفيقية – ت ٧٧٤هـ.

١٠١- **تفسير المراغي:** أحمد مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠٢- **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار:** السيد الإمام محمد رشيد رضا – خرج أحاديثه إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٨٦٥هـ- ١٩٣٥م.

١٠٣- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:** د. وهبة الزحيلي – دار الفكر – دمشق – الطبعة الأولى – ١٩٩١م.

١٠٤- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٥- **تيسير اللطيف المنان:** خلاصة تفسير القرآن – للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعودي – بعناية أبي الفضل عبدالسلام محمد عبدالكريم – المكتبة الإسلامية – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٦- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** للإمام شهاب الدين أبي العباس يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الجلي ٧٥٦هـ، قدم له د. احمد صبره – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٧- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** تأليف العلامة أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي – تحقيق وتخريج د. السيد محمد السيد – سيد إبراهيم عمران – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٨- **جامع البيان في تأويل القرآن:** لأبي جعفر بن جرير الطبري ٣١٠هـ - تحقيق هاني الحاج – عماد زكي البارودي – خيري سعيد – المكتبة التوفيقية بالقاهرة – ٢٠٠٤م.

١٠٩- **جامع البيان في تأويل القرآن**: لأبي جعفر بن الطبري أمام المفسرين - ٢٢٤-٣١٠هـ - راجعه وخرج أحاديثه - احمد محمد شاكر - محمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٣٧٤هـ.

١١٠- **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت ٦٧١ - دار الكتب العلمية - بيروت.

١١١- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** للإمام محمد بن عمر الزمخشري ٥٢٨هـ- دار الريان للتراث - الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١٢- فصل الخطاب في تفسير سورة الأحزاب - د. عفاف النجار - دار الكتب والوثائق المصرية - الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١١٣- **في ظلال القرآن**: سيد قطب - دار الشروق - الطبعة الشرعية الثانية عشرة ١٩٨٦م/ ١٤٠٦هـ.

١١٤- **محاسن التأويل**: تفسير القاسمي وقف على طبعة وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلي وشركاه - الطبعة الأولى - ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١١٥- **المحرر الوجيز في شرح الكتاب العزيز لأبي محمد عبدالحق بن عطية**: تحقيق عدد من العلماء - نشر وزارة الأوقاف بقطر ١٣٨٣هـ.

١١٦- **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**: للإمام فخر الدين الرازي ٥٤٤هـ-٦٠٤هـ - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١١٧- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت٨٨٥هـ - خرج آياته وعلق عليه عبدالرازق - غالب المهدي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

كتب الحديث

١١٨- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** - محمد بن عبدالرحمن المباركفوري كفوري - تحقيق عبدالوهاب بن عبداللطيف- مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.

١١٩- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف** تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري دار الحديث بطنطا.

١٢٠- **سبل السلام** للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني المعروف بالأمير - شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الاحكام للحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق ومراجعة جماعة من الأدباء - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٢١- **شرح علل الحديث** - مع أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث - تأليف أبي عبدالله مصطفى بن العدوي - دار ابن رجب - مكتبة مكة بطنطا.

١٢٢- **صحيح بن حبان** - ترتيب على بن بلبان الفارسي - دار الكتب العلمية - بيروت -الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٢٣- **صحيح الجامع الصغير وزيادته** - محمد ناصر الألباني - أشرف على طبعه زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١٢٤- **صحيح سنن ابن ماجه** - محمد ناصر الدين الألباني -إشراف زهير الشاويش - المكتب الإسلامي -مكتبة التربية العربية لدول الخليج -الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ.

١٢٥- **صحيح مسلم بشرح النووي** - للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن مشرف النووي - ضبط وتحقيق رضوان جامع رضوان - مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١٢٦- **ضعيف سنن ابن ماجه** - محمد ناصر الألباني - إشراف زهير الشاويش - مكتبة التربية العربية لدول الخليج بالرياض - المكتب الإسلامي في بيروت -

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢٧- **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان** إمام المحدثين البخاري ومسلم في صحيحها اللذين هما اصح الكتب المصنفة وضعه محمد فؤاد عبدالباقي واعد فهارسه أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران - دار الحديث - القاهرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٢٨- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** - للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢هـ - رقمه محمد فؤاد عبدالباقي - قام بإخراجه وتصحيحه محب الدين الخطيب -راجعه قص محب الدين الخطيب - دار الريان للتراث - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م.

١٢٩- **مختصر صحيح مسلم أو الجامع المعلم بمقاصد جامع مسلم** - تأليف الاحام الحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري - ٥٨١-٦٥٦هـ - دار ابن كثير للتراث - دمشق.

١٣٠- **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث** - عثمان بن عبدالرحمن الشهرازوري المعروف بابن الصلاح -دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان ١٣٨٩هـ.

كتب العقيدة:

١٣١- **الإبانة عن أصول الديانة** لإمام المتكلمين أبي الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم.. بن ابي موسى الأشعري ت ٣٢٩هـ.

١٣٢- **الإسلام عقيدة وشريعة** - للاستاذ الكبير محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر - دار القلم - القاهرة.

١٣٣- **أسماء الله الحسنى آثارها و أسرارها** - د. محمد بكر إسماعيل - استاذ التفسير وعلوم القرآن -دار المنار للطباعة والنشر -الطبعة الأولى -١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣٤- **أسماء الله الحسنى** - الأصول القيمية والمعاني السلوكية في الإسلام- عبدالعظيم إبراهيم فرج - الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣٥- **أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة** - إعداد محمود عبدالرازق الرضواني - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٥م - دار الرضوان.

١٣٦- **أسماء الله الحسنى** - تأليف عبدالله بن صالح بن عبدالعزيز الغصن - دار الوطن - الرياض - السعودية - الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣٧- **الأسماء الحسنى في القرآن العظيم قراءة جديدة** - أ.د. حسني أحمد خلف - النهار للطبع والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣٨- **الأسماء الحسنى** - الشيخ أبو الوفاء محمد درويش - مؤسس أنصار جماعة السنة المحمدية بسوهاج - الطبعة الثانية -١٤١٦هـ-١٩٩٥م - دار الكتب.

١٣٩- **أسماء الله الحسنى** - الشيخ محمد متولي الشعراوي - مكتبة الشعراوي الإسلامية - أخبار اليوم - قطاع الثقافة.

١٤٠- **الاسم الرباني وأثره في السلوك الإنساني** - صفوان محمود حنوف - دار المعارف - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٤١- **أسماء الله الحسنى ودارسة في البنية والدلالة** د.أحمد مختار عمر -١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤٢- **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة** -د. عمر سليمان عبدالله الاشقر - دار النفائس للنشر والتوزيع -الأردن -الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٤٣- **الأسماء والصفات** للإمام الحافظ أبي بكر بن الحسين بن على البيهقي ت٤٥٨هـ - تحقيق عبدالله بن عامر - دار الحديث -القاهرة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٠م.

١٤٤- **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** للإمام أبي عبدالله القرطبي ٦٧هـ - دار الصحابة للتراث بطنطا - الطبعة الأولى -١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م - ضبطه د.محمد حسن جبل - خرج احاديثه طارق احمد فتحي -أشرف عليه مجدي فتحي السيد.

١٤٥- **الاعتقاد على مذهب اهل السنة والجماعة** للإمام الحافظ الكبير أبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي ت ٤٥٨هـ-١٣٢٨هـ/ ١٩٦٨م.

١٤٦- **الإقتصاد في الاعتقاد** تأليف حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

الطوسي ضبطه وقدم له موفق فوزي الجبر - الحكمة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٤هـ.

١٤٧- **الإكليل في المتشابه والتأويل** - شرح شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيميه ٦٦١هـ-٧٢٨هـ - نشرة قصي محب الدين الخطيب - الطبعة الأولى - المطبعة السلفية ومكتبتها.

١٤٨- **الإمام النووي ومنهجه في أسماء الله الحسنى من خلال شرحه لصحيح مسلم** - تأليف صفوان بن أحمد مرشد حمود الأذى - دار الإيمان - الإسكندرية ٢٠٠٥م.

١٤٩- **الإيمان** - تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية - الطبعة الثانية - المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ.

١٥٠- **الله القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد** - لإبن عطاء الله السكندري - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر.

١٥١- **تبسيط العقائد الإسلامية** - حسن أيوب - دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ/ ١٩٩٦م.

١٥٢- **التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكة** - الإمام الكبير - حجه المتكلمين المفسر النظار أبي الظفر الاسفرايني ٤٧١هـ - تحقيق محمد زاهر الحسن الكوثري - الطبعة الأولى ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م - مطبعة الأنوار.

١٥٣- **البنيان في أركان الإيمان** - عبدالرحمن يعقوب - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٦م

١٥٤- **التحبير في التذكير** - شرح أسماء الله الحسنى - تأليف الإمام زين الإسلام عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك القشيري الشافعي ت٤٦٥م- دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٥٥- **تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات** - تأليف فوزيه بنت عبداللطيف بن كامل الكردي - دار طيبة - السعودية - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٥٦- **تجليات في أسماء الله الحسنى** - د.عبدالمنعم القيعي جفاجي - مكتبة مدبولي ١٩٩٦هـ.

١٥٧- **التدمريه** – تحقيق الإثبات في الأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع – شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباسي أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيميه (٦٦٠هـ - ٧٢٨هـ) تحقيق د.محمد بن عوده السعودي مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة السادسة – ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥٨- **تنزيه القرآن عن المطاعن** – إملاء قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن عبدالجبار احمد ت ٤١٥هـ-دار النهضة الحديثة – بيروت- لبنان.

١٥٩- **التوسل** للشيخ/ محمد صالح العثيميه – تحقيق هاني الحاج – مكتبة العلم – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٦٠- **الجامع لأسماء الله الحسنى** – ابن قيم الجوزيه – القرطبي – دراسة وإعداد حامد احمد طاهر – دار الفجر الحديث – الطبعة الأولى – ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٦١- **الحسنة والسيئة** – تأليف شيخ الإسلام ابن تميمة – دار الكتب العلمية.

١٦٢- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه – عباس محمود العقاد – الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م – مطبعة شركة مصر.

١٦٣- **دلائل التوحيد** – الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (١٢٨٣هـ/ ١٣٣٢م) – مراجعة محمد حجازي – مكتبة الثقافة الدينية – الطبعة الأولى – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ – مطبعة المدني.

١٦٤- **الرحمن الرحيم** – عبدالرازق نوفل – دار الجيل للطباعة – مكتبة الانجلو الأمريكية.

١٦٥- **رسالة التوحيد** – تأليف الشيخ محمد عبده المصري – الطبعة الأولى- المطبعة الأميرية.

١٦٦- **شأن الدعاء محمد بن محمد الخطابي البستي** – تحقيق احمد بن محمد الدقاق – دار المأمون للتراث – الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٦٧- شرح أسماء الله الحسنى للعلامة أبي القاسم عبدالكريم النيسابوري القشيري – دراسة وتحقيق د. طه عبد الرءوف سعيد – الاستاذ سعد حسن محمد علي – دار الحرم للتراث – ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٦٨- **شرح أسماء الله الحسن** – فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤هـ-٦٠٦م) وهو الكتاب المسمى لوامع البينات – شرح اسماء الله تعالى وصفاته - راجعه طه عبدالرءوف سعد - ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

١٦٩- **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة** – سعيد بن على وهب القحطاني – راجعه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.

١٧٠- **شرح اسماء الله الحسنى** – **محمد بيومي** – مكتبة الإيمان – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٧١- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم** تأليف الشيخ الإمام العالم الحافظ أبي القاسم هبه الله بن محمود بن منصور الطبري اللالكائي ٤١٨هـ- دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م – تحقيق د. احمد سعد حمدان.

١٧٢- **شرح الأصول الثلاثة** للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب – شرح محمد صالح الغثيميه – تحقيق هاني الحاج – مكتبة العلم.

١٧٣- **الشرح الجديد لجوهرة التوحيد** – للشيخ الباجوري – الشيخ محمد أحمد العدوي – مكتبة مصطفى الجلي – ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

١٧٤- **شرح الطحاويه في العقدية السلفية** – العلامة صدر الدين على بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١هـ/ ٧٩٢هـ) مكتبة دار التراث – تحقيق احمد شاكر.

١٧٥- **شرح العقيدة الوسطية** لشيخ الإسلام ابن تيميه – تأليف العلامة محمد خليل هراس – مؤسسة الرسالة – الطبعة الاولى١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٧٦- **شمس المعارف الكبرى** – تأليف الشيخ/ احمد بن علي بن يوسف البوني ت ٣٢٢هـ - مكتبة ومطبعة الفجر الجديد ٤٤ش الكباري منشية ناصر – الدراسة.

١٧٧- **الصواعق المرسلة على الجهميه والمعطلة ابن قيم الجوزيه** – مكتبة المتبني – الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

١٧٨- **الطريق إلى الحسنى بأسماء الله الحسنى** - تأليف شحات مبروك الصاوي - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٧٩- **العقيدة الإسلامية** -السيد سابق-دار الفكر -بيروت-لبنان ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١٨٠- **عقدية المؤمن** - أبوبكر الجزائري - دار السلام.

١٨١- **العقيدة في ضوء القرآن الكريم** - د. صلاح عبدالعليم إبراهيم - الطبعة الأولى - مكتبة الأزهر - المطبعة الإسلامية - باب الشعرية.

١٨٢- **الفرقان بين الحق والباطل** - تأليف شيخ الإسلام ابن تيميه - تحقيق وتقديم الشيخ حسن يوسف غزال - دار أحباء الكتب العلمية ببروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٨٣- **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى** - تأليف محمد بن صالح العثيمين - تحقيق هاني الحاج - مكتبة العلم - الطبعة الأولى١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.

١٨٤- **القول الأسني في شرح أسماء الله الحسنى** - تأليف مجدي منصور الشوري - مكتبة العلم.

١٨٥- **كتاب الأسماء والصفات** للعلامة تقي الدين ابن تيميه (٦٦١-٧٢٨) - دراسة وتحقيق عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ/ ١٩٩٣م.

١٨٦- **كتاب التوحيد ويشتمل على ست وعشرين رسالة** - تأليف أئمة الهدى شيخا الإسلام احمد بن تيميه - ومحمد بن عبد الوهاب النجدي - دار اليقين للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٨٧- **الكنز المدفون في الفلك المشحون** - تأليف جلال الدين السيوطي - الطبعة الرابعة -١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م - مكتبة مصطفى البابي الحلي وأولاده بمصر.

١٨٨- **الكواشف الجلية على معاني الوسطيه** - تأليف عبدالعزيز محمد السلماني - الطبعة الحادية عشر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٨٩- **لماذا أنا مؤمن** - محمد جمال الدين الفندي - المجلس الاعلى للشئون الإسلامية

– الكتاب الثالث ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
١٩٠- **مختصر منهاج القاصدين** – تأليف الإمام أحمد بن عبدالرحمن بن قدامه المقدسي – تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي – دار القلم بيوت لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٩١- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** – للإمام السلفي أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزيه – ٦٩١هـ/ ٧٥١م – دار احياء الكتب العلمية – بيروت.
١٩٢- **مع الأسماء الحسنى المزدوجة في ختام الآيات القرآنية** – أ.د عاطف قاسم أمين المليجي – الطبعة الأولى – ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١٩٣- **المفاهيم المثلى في ظلال شرح معاني اسماء الله الحسنى** – لأبي لؤي وليد بن محمد بن حسن – دار الرضا للنشر والتوزيع.
١٩٤- **منحه الجليل في أسماء الله الحسنى من السنة والتنزيل** – إعداد إبراهيم أبو شنب – دار الإيمان – اسكندرية – تقديم الشيخ سعيد عبدالعظيم ٢٠٠٥م.
١٩٥- **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى** – تأليف حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) بعناية بسام عبدالوهاب الجابي – دار بن حزم – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٩٦- **موسوعة له الأسماء الحسنى** – د. أحمد الرباصي – أستاذ بجامعة الأزهر – دار الجبل – بيروت – تقديم الأستاذ عبدالستار حسن – الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ/ ١٩٩٦.
١٩٧- **موسوعة القصص القرآني** – المجلد السادس عشر – أسماء الله الحسنى – د. حمزة النشرتي – الشيخ عبدالعظيم فرغلي – عبدالحميد مصطفى المكتبة القيمة.
١٩٨- **مؤقف أهل الإحسان من صفات الرحمان** – جماعة أنصار السنة المحمدية – إدارة الدعوة الإسلامية – فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين – مجلة التوحيد – عدد (٩).
١٩٩- **٢٠٠سؤال وجواب في العقيدة الإسلامية** – عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ

حافظ بن أحمد حكمي – من مطبوعات المدرسة السلفية – مطبعة المدني – العباسية – القاهرة.

٢٠٠- **النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** – سليمان سامي محمود – دار الصابوني للطباعة والنشر.

٢٠١- **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى** – محمد محمود النجدي – مكتبة الإمام الذهبي.

٢٠٢- **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** – أحمد عبدالجواد – دار الريان للتراث.

التراجــم

٢٢٢- **الإعلام**: قاموس تراجم لأشد الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والإسلام والعصر الحديث – تأليف خير الدين الذركي – الطبعة العربية بمصر ١٣٤٦/ ١٩٢٧م.

٢٢٣- **أعلام الفكر الإسلامي**: لأحمد تيمور – تراجم اهل القرن الرابع عشر.

٢٢٤- **أنباء الرواة على أبناء النحاة**: تأليف الوزير جمال الدين أبي الحسن على بن يوسف القنطي ت٦٢٤هـ – تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – مؤسسة الكتب الثقافية – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٢٥- **الإمتاع والمؤانسة**: تأليف أبي حيان التوحيدي – لجنة التأليف والترجمة والنشر – وهو مجموع مسامرات من فنون شتى حاضر بها الوزير أبا عبد الله العارض في عدة ليال – صححه وضبط شرح غريبة أحمد أمين – وأحمد الزين – منشورات المكتبة العصرية بيروت صيدا.

٢٢٦- **البداية والنهاية**: للحافظ ابن كثير ٧٧٤هـ- دار الفكر العربي.

٢٢٧- **بغيه الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.

٢٢٨- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام**: للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد

بن أحمد بن عثمان الذهبي ٦٧٣/ ٧٤٨هـ - تحقيق د.عمر عبدالسلام تدمري - استاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤.

٢٢٩- **الدار الكافيه في أعيان المئه الثامنة**: لابن بحر العسقلاني - حيدر أبادي بالهند ١٣٥٠هـ.

٢٣٠- **حسن المحاضره في أخبار مصر والقاهرة**: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي - ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٣١- **طبقات المفسرين للراودي**: بتحقيق علي محمد عمر - مكتبة وهبه - بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٣٢- **غاية النهاية في طبقات القراء**: شمس الدين أبو الخير عمر بن الجذري المتوفي ٨٣٣هـ - عن بنشره ج. برجيستيراس - مكتبة المتنبي - القاهرة.

٢٣٣- **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**: للمؤرخ الفقيه الأديب - أبي الفلاح عبدالحي من الحنبلي ت ١٠٨٩هـ - المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت - لبنان.

٢٣٤- **الصلة لإبن بشكوال**: مكتبة المؤتمر الإسلامي - أبي القاسم خلف بن عبدالملك المعروف بابن بشكوال - ٤٩٤-٥٧٨هـ - صححه وراجعه السيد عزت العطار الحسيني - مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

٢٣٥- **فوات الوفيات**: لابن شاكر الكتبي - بتحقيق د. إحسان عباس الطبعة الأولى.

٢٣٦- **معجم المؤلفين**: تراجم مصنفي الكتب العربية - تأليف عمر رضا كحاله - مكتبة المتنبي ببيروت - دار إحياء التراث العربي.

٢٣٧- **معجم الأدباء لياقوت الحموي**: شهاب الدين أبو عبدالله - لأحقية وزارة المعارف العمومية - الطبعة الأخيرة بمطبعة دار المأمون.

٢٣٨- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال محمد بن احمد الذهبي**: تحقيق على بن محمد البجاوي - دار المعرفة - بيروت.

٢٣٩- **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان ٦٠٨-٦٨١هـ - حققه د. إحسان عباس -دار صادر -بيروت.

٢٤٠- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أبيك - يطلب من دار النشر فرانز اشتاين رشتو تجارت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

كتب اللغة والمعاجم:

٢٤١- **أساس البلاغة** للإمام الكبير جارالله ابن القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت٥٣٨هـ. تحقيق الاستاذ عبدالرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٢م.

٢٤٢- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي المتوفي سنة ٨١٧هـ -تحقيق الاستاذ محمد علي النجار- المجلس الأعلى لشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٢٤٣- **تحصيل نظائر القرآن** - للحكيم الترمذي - تحقيق وضبط حسن نصر الدين زيدان - الطبعة الأولى - ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م مطبعة السلام.

٢٤٤- **التحفة السنية بشرح المقدمة الأجرومية** - محمد محي الدين عبدالحميد - مكتبة السنة - طبعة يناير ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٢٤٥- **كتاب التعريفات** - السيد شريف بن علي بن محمد الجرجاني.

٢٤٦- **لسان العرب لابن منظور** - دار المعارف - الطبعة الثالثة - تحقيق د.عبدالله على الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد الشاذلي -

٢٤٧- **مختار الصحاح** - للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي - إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان - ١٩٨٦م.

٢٤٨- **معاني القرآن وإعرابه** أبي زكريا يحي بن زياد الفراء المتوفي سنة ٢٠٧هـ - تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ - الطبعة الثانية للزجاج - شرح وتحقيق د.عبدالجليل عبده شلبي - منشورات

المكتبة العصرية - بيروت - صيدا.

٢٤٩- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** وضعه محمد فؤاد عبدالباقي دار الريان للتراث - ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٥٠- **معجم مفردات ألفاظ القرآن** - للعلامة الراغب الأصفهاني - وفاته ٥٠٣هـ - دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع - تحقيق نديم مرعشلي.

٢٥١- **المعجم الوجيز** - مجمع اللغة العربية - المطابع الأميرية - طبعة خاصة بوزارة التربية والتعلم ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٥٢- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** - تأليف الإمام ابن هشام الأنصاري ٧٦١هـ - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - المكتبة العصرية -١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٥٣- **ملخص قواعد اللغة العربية** - فؤاد نعمة - الطبعة السادسة.

الرسائل:

٢٥٤- **البلاغة في خواتم الآيات المنتهية بصفات الله تعالى** - ماجستير د. مرفت فرغلي ٢٦٣ - إشراف د. أحمد شرشر ١٩٨٧م.

٢٥٥- **التزييل في آيات الأحكام** - ماجستير في علوم القرآن - د: أيمن حسن إبراهيم (٦٦٠٣).

٢٥٦- **الفاصل القرآنية ومكانتها من الإعجاز** - رسالة ماجستير د. فايزة عثمان أبو زيد (٣٨٢) - إشراف د. حمزة الدمرداش.

٢٥٧- **المناسبات في ترتيب آيات القرآن وسوره** - دكتوراه د. محمد احمد يوسف القاسم. ١٣٦٢هـ/ ١٩٧١م.

مُحتويات الكتاب

المقدمة ٥

الباب الأول: أسماء الله الحسنى ١٣

تمهيد ١٥

الفصل الأول: الأسماء الحسنى والدعاء بها ٢١

المبحث الأول: تعريف الاسم وإثباته لله ٢١

المبحث الثاني: مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء إجمالا ٢٥

المبحث الثالث: الدعاء بأسماء الله الحسنى وأنواعها ٣٠

المبحث الرابع: حقيقة الإلحاد في أسماء الله وأقسامه ٤٢

الفصل الثاني: إحصاء أسماء الله الحسنى ٤٥

المبحث الأول: الأحاديث التي ورد فيها ذكر أسماء الله الحسنى ٤٥

المبحث الثاني: عدد أسماء الله الحسنى واختلاف العلماء في ذلك ٥٤

المبحث الثالث: المراد بإحصاء الأسماء الحسنى ٥٧

المبحث الرابع: الثابت من الأسماء الحسنى ٦٠

المبحث الخامس: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى ٧٣

المبحث السادس: التصنيفات الدلالية لأسماء الله الحسنى ٧٨

الباب الثاني: أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورتي البقرة والنساء ٨٣
الفصل الأول: أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة البقرة ٨٥
تمهيد ٨٥
المبحث الأول: أسماء متعلقة بقدرته تعالى (مجموعة القدرة) ٩٣
المبحث الثاني: أسماء تدل على احاطته تعالى الكاملة ورقابته الشاملة
لكل من سواه ١٤٧
المبحث الثالث: أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة وتدل على
جمال الله ورحمته ٢٢٤
المبحث الرابع: أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة) ٣٢٢
الفصل الثاني: أسرار ختم الآيات بأسماء الله الحسنى في سورة النساء ٣٧٤
تميهد ٣٧٤
المبحث الأول: أسماء تدل على تدبيره تعالى لشئون خلقه ٣٧٨
المبحث الثاني: اسماء تدل على احاطته الكاملة ورقابته الشاملة
لكل من سواه ٤٠٤
المبحث الثالث: أسماء تدل على صفتي الحب والرحمة وتدل على
جمال الله ورحمته ٤٤٦
المبحث الرابع: أسماء تدل على جلال الله وعظمته (مجموعة العظمة) ٤٦٥
المبحث الخامس: أسماء تدل على قدرته تعالى (مجموعة القدرة) ٤٧٠
ملخص نتائج البحث ٤٧٥
فهرس المراجع والمصادر ٤٨٧
محتويات الكتاب ٥١١

تم بحمد الله